

- أصداف الشاعرين
- محنة الضمير العلمي في مجتمعاتنا العربية

منذ ثلاثة آلاف سنة: القدس هي القضية

هدية: لوحة الغلاف

د. يوسف صايغ يتحدث عن:

الإنماء.. والأمن.. والنفط في الوطن العربي

المحاضرة الهامة التى القاها الدكتور يوسف صايغ ضمن برنامج مشروع دراسات التنمية لاقطار الخليج العربى بجامعة قطر تحت عنوان (العلاقة المتبادلة بين الانماء والأمن والنفط فى الوطن العربى) .

والدوحة إذ تنشر هذه المحاضرة بما جاء فيها من اراء بالغة القيمة والاهمية إنما تدعو المفكرين والباحثين العرب إلى مناقشة ما جاء فيها وتناوله بالتعليق والتعقيب ..

لا اريد لهذه المحاضرة ان تكون ممارسة فى الندب والرثاء ، لانى ساتحدث عن الانماء والامن بحالتيهما المؤسفة فى الوطن العربى حاليـــا ولانى كذلك سانطلق ـ فى حديثى ـ من مساوىء الوطن العربى الراهنة التى هى مساوىء اساسية ، وذات اثر بعيد يصعب التغلب عليها فى فترة قصيرة . واقصد بها : التخلف ، والانكشاف الأمنى ، والتفتت ، والتبعية ! إننا ـ فى مواجهة هذه التحديات الأربعة ـ يليق بنا ان نتوجه بافكارنا صوب الانماء والحس الأمنى . ولا اقصد بالأمن هنا الأمن البوليسى ، إننى أعنى الأمن القومى الذى يراد به الحفاظ على المصير ، ورعاية المستقبل . علينا ان نتذكر منذ البداية انه مما يزيد من صعوبة هذه التحديات : حالة الانبهار النفطى الذى يعانى منه الوطن العربى الآن ، خاصة فى المنطقة النفطية ! مثلما علينا ان نتحدث بصراحة تامة ، لأنه من الضرورى ـ فى مواجهة تلك التحديات الضخمة ـ ان نحقق فهما افضل للانماء والأمن .. طبيعتهما .. وتفاعلهما . وكذلك فهما افضل للنفط بصفته اداة فى خدمة الانماء والأمن .

النمو المتصــــل

من الضرورى إذن ـ والحالة هذه ـ ان نقوم بتقديم تعريف للتنمية ، تعريف ينقل التنمية الى ما هو ابعد من النمو . إن النمو يتحول الى تنمية باستيفاء عدد من الشروط اولهما ان يكون هناك نمو متصل لا يخضع لذبذبات وتموجات خطيرة . وان يكون نموا ناتجا عن اراء المجتمع والاقتصاد القوميين ، لا عن اراء جزر تكنولوجية غريبة مقيمة في القطر او الوطن العربى ككل . مثلما ينبغى ان ينطلق هذا الاداء من اقتصاد ذى قاعدة متسعة قدر الامكان . وكلما كثرت القطاعات التى تسهم فى هذا الأداء ، كلما كان الأداء افضل . وكانت التنمية اقرب مثالا .

وهنا بالطبع فى منطقة كمنطقة الخليج ، يصعب الحديث عن قاعدة متسعة بسبب محدودية الموارد الزراعية . ومن هنا نتحفظ بعبارة «قدر الامكان» . على ان المجتمع ينبغى ان ينمى جميع الامكانيات التى تتيح لاكبر عدد ممكن من القطاعات ان تزدهر وان تتقدم باسهاماتها الاقتصادية ، وبالتالى الاجتماعية .

إننا لو نظرنا إلى الوطن العربى ، وجدناه بالرغم من المحاولات الجادة ـ فى احيان كثيرة بعد الحرب العالمية الثانية ـ فى إقامة قاعدة تصنيعية ضخمة . لم ينجح بما يقترب به من الطموحات . فلا يزال القطاع الصناعى ـ بمجمله فى الوطن العربى ـ يسهم بما لا يزيد عن ٧٪ من جملة الناتج المحلى الاجمالى ، ولا تزال قوة العمل بالقطاع الصناعى فى حدود ٧ إلى ٨٪ من إجمالى قوة العمل فى الوطن العربى . اما الزراعة فنصيبها اسوا . إذ ان القطاع الزراعى فضلا عن كونه يعانى من هبوط فى الناتج القومى فهو قياسا ببقية القطاعات يسجل ادنى معدلات للنمو فى الاقتصاد العربى ككل . ويزيد من خطورة الأمر ان جميع البلدان العربية متكشفة غذائيـــا ، إن كل قطر عربى دون اســـتثناء اصبح مســـتوردا صافيا للقمح ، وإن نســـبة الاستيراد تتراوح بين ١٠٪ من الحـــاجات القطرية و ١٠٠٪ فى بعض البلاد . مثلما بلغت جملة المستوردات الغذائية الصافية ـ اى بعد خصم المصدرات ـ فى عام ١٩٧٨ ، استنادا إلى اخر الاحصاءات ، ما يقرب من ٧ مليارات دولار من المستوردات الغذائية . وسوف أعود للحديث عن دلالة هذا الرقم فيما بعد .

القدرة الذاتية

ياتى الشرط الثانى لتحقيق التنمية ، وهو ارتفاع القدرة الذاتية الانتاجية . وذلك من خلال التعليم ، والتربية الملائمة الخلاقة عن طريق التدريب المهنى ، والكفاءات ، والمهارات المهنية والحرفية ، ومن خلال امتلاك القدرة التكنلوجية

وهنا يجدر بنا ان نقف أمام خطا خطير وشائع هو مفهوم نقل التكنلوجيا . وكانما التكنلوجيا سلعة ننقلها من يد إلى يد ، من بريطانيا إلى الامارات ، من فرنسا إلى الكويت ، من السويد إلى مصر . ولا زلت اذكر ما صرح به مسئول فى محاضرة عن النفط ، فى سبتمبر الماضى ، حين قال : « نحن ننقل التكنلوجيا نقلا ناجحا فى بلدنا ، بدليل اننا نستورد معدات والات ومصانع باكملها ، وننقل معها خبراءها وتقنييها ، الذين يشيدونها بحضور رجالنا » .

هذا النقل التكنلوجى الذى يوحى بانه طريق مختصر لاكتساب القدرة التكنلوجية الذاتية ، ليس فى الواقع إلا الطريق الأطول . اما الطريق الاقصر حقيقة ، فهو الطريق الذى يعززه العلم ، والبحث ، والاختبار ، والتدريب ، والتعليم من خلال التجربة والخطا .

واليابان مثال صارخ على صحة ما اقول .

الشرط الثالث لتحقيق التنمية هو ان التنمية ينبغى ان يرافقها اتساع فرص العمل المنتج والمجزى ، وتكبير حجم العمالة ، والاستخدام . وانا اكره الكلمتين « العمالة والاستخدام » فالعمالة لها مدلول سياسى . والاستخدام كلمة بشعة . اقول ينبغى تعظيم حجم العمالة إلى القدر المتاح . ذلك ان تنمية يرافقها بطالة متزايدة لا تكون تنمية نرغبها ولا نسعى إليها .

الفجوة التنموية

حين يراد للتنمية ان تكون حقيقية وعميقة ، ينبغى ـ وهذا هو الشرط الرابع ـ تضييق الفجوة التنموية داخل كل قطر وفيما بين الاقطار العربية . والمقصود هنا الفجوة فى القدرة على الانتاج ، والقدرة على الأداء الاقتصادى . وذلك

● ليس ممكنا أن نعتمد على الخبراء الأجانب لكي يحققوا لنا الأمن ، فقد نستيقظ يوما لنكتشف أنهم كانوا هم أنفسهم مهددي الأمن في بلادنا

● ليس معقولا أن يعتمد الوطن العربي بأسره اعتمادا شبه كلي في حاجته للقمح على مصادر أجنبية لا تبيع القمح إلا مربوطا بشروط سياسية

● لابد لنا من قدرة تكنولوجية نكتسبها عن طريق الدموع والعرق والآلام ، وليس عن طريق الاستيراد

● لماذا يبيعون لنا الدواء بأسعار تبلغ أربعة أضعاف السعر الذي يبيعون به للآخرين ؟

يتم فى المرحلة الأولى برفع أرضية الاداء الاقتصادى بما يرافق ذلك من رفع للدخل والثروة خضوعا لمنطق الحساب الاقتصادى . اقول اننا سنشهد اتساعا فى الفجوة كما شهدنا فى الحقبتين الماضيتين . لكننا علينا ان نسعى ـ دون تباطؤ ـ إلى تضييق الفجوة الانمائية . اى فجوة القدرة الانتاجية . ومن ثم نسعى إلى تلك الاجراءات الاقتصادية والمالية التى من شانها تضييق الفجوة الدخلية بالتالى . هذا على الصعيد القطرى . اما على الصعيد القومي فنحن مضطرون ـ وبحاجة ماسة ـ للمزيد من التدفقات المالية الاستثمارية او التثميرية من اقطار السعة المالية إلى اقطار الشحة المالية . وهذا وجه من اوجه التدفق ، وهناك وجه آخر هو تدفق القوة العاملة من البلدان ذات السعة البشرية والشحة المالية ، إلى البلدان التى لم تتح لها تجربتها التاريخية بعد أن تنمى جميع مواردها البشرية .

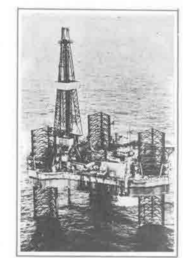
وأيضا سأعود إلى هذه النقطة فيما بعد .

المواصفات الصحيحة

الشرط الخامس : لكى تتوفر مواصفات صالحة للتنمية ، نحن بحاجة لأن ترتفع قدرة المجتمع على توفير الافكار والمؤسسات والاطر التنظيمية والفنية اللازمة للتنمية . إن مجتمعا يعتمد فى توفير هذه الشروط على المجتمعات الخارجية ، فيستورد الأفكار والمؤسسات والأطر ، هو مجتمع لا يزال بعيدا عن التنمية . وبالتالى نحن بحاجة إلى توفير هذه المؤسسات والأفكار والأطر والحوافز .

الشرط السادس : واساسه المشاركة . لابد من توسيع قاعدة المشاركة فى اتخاذ القرار ، بالاحرى وضع التصورات ثم صياغة القرار . القرار الاقتصادى والسياسى على السواء . لأنه اذا لم يتح المجال لمشاركة واسعة النطاق ، لما امكن بلورة التصورات الانمائية بلورة سليمة تستجيب لحاجات ومطالب الجماهير . ومن ثم لن يتوفر الالتزام بالأعباء والجهود التى تتطلبها عملية التنمية .

يبقى الشرط الرابع والأخير . ومؤداه انه لا يمكن ان تكون هناك تنمية حقيقية مع وجود وبقاء حالة خطيرة من التبعية للعالم الصناعى المتقدم ، غربية او شرقية . هذه التبعية تتخذ اشكالا متعددة . فهى تبعية تكنولوجية ، وتبعية استيراد وتصدير تجارية ، وتبعية ادارية ، وتبعية فكرية . نحن فى الواقع لا نستورد فقط انماطا من السلوك ، وانماطا من الاستهلاك ، الخطير حقا اننا اصبحنا نستورد انماط التفكير وفى حين اردنا ان نخطو بالمعاصرة والتحديث



خطوات الى الامام ، فاننا رمينا بالعناصر الجيدة والخيرة من تراثنا ومن اصالتنا .. من النافذة !!

مفهوم .. ومفهوم

انتقل الآن الى الامن :

ومن الضرورى ان ابين ان هناك عناصر متعددة مشتركة بين مفهوم الأمن ومفهوم الانماء وسوف نكشف عن هذا من خلال عرض لعدد من الشروط الاساسية فى مفهوم الامن القومى .

الشرط الاول لتوفير الامن القومى هو توفير التدريب والتعليم اللائقين والخلاقين والمبدعين للموارد والقوى البشرية . فان الأمن لا يتحقق مهما كثر عدد الطائرات والدبابات والمدافع . طالما ان المعطيات البشرية متخلفة . وكذلك لا يمكن ان نشترى الامن او نستاجره . وليس ممكنا ايضا ان نعتمد على الخبراء الاجانب بالوفهم العديدة لكى يحققوا لنا الامن . فقد نستيقظ يوما ما لنكتشف انهم كانوا هم مهددى الامن بالذات .

من الضرورى بعد هذا تامين القدرة على التصنيع الاساسى الهندسى . ينبغى ان نبدا بالصناعات الهندسية ، لأنها العمود الفقرى للتصنيع بشكل عام . وبالتالى ينبغى ان ننمى الصناعات العسكرية لكى يتوفر لنا مقدار ما من الاستقلال .

وعلينا ان نحقق الامن الغذائى ايضا . فليس معقولا ان يعتمد الوطن العربى باسره اعتمادا شبه كلى فى حاجته الأساسية للقمح على مصادر اجنبية . لا تبيع القمح إلا مربوطا بشروط سياسية .

إن الامن القومى الذى نستهدفه ، ينبغى ان يقوم على قاعدة كبرى ، هى مقدار مقبول من القدرة التكنلوجية الذاتية . يكتسبها عن طريق الدموع والعرق والالام . وليس عن طريق الاستيراد . قدرات تكنلوجية تنسجم مع

الإنماء..والأمن..والنفط
في الوطـــن العـــربي



معطياته من حيث المواد والمرافق ، من حيث الحضارة والأصالة ، ومن حيث القيم . اى ان نتوصل الى إيجاد مزيج سليم من الحداثة التكنلوجية والأصالة العربية . وهذه مهمة صعبة ومعقدة ينبغى ان تلتقى حولها افكار المثقفين ، والمفكرين ، والصناعيين ، والمزارعين ، وصانعى القرار السياسى فى وقت واحد .

هناك ايضا القدرة على الانتقاء عند قبول القيم والمفاهيم وانماط السلوك ، وانماط الاستهلاك ، فلست استطيع التصور ان القومية بالمعنى الصحيح والسليم فى حالة استيراد لا تميز فيه ولا قدرة على الانتقاء لجملة من المفاهيم .

و .. شرط اخر كمدخل للامن ، هو القدرة الردعية .

ينبغى ان نحقق قوة ردعية ، هى نتيجة تمازج من التحرك السياسى والدبلوماسى ، والقـدرة الاقتصادية ، والاعلامية ، والعسكرية . فاذا لم تتح لنا القدرة على اخذ المبادرات الامنية ، فليكن لدينا على الاقل رادع ما نستخدمه . وهنا ياتى دور النفط كرادع لما سوف اشير اليه لاحقا .

النقطة الاخيرة التى اود التعرض لها ، هى ان من اهم ركائز الامن القومى وجود استقرار ، والمقصود هنا الاستقرار الناتج عما يسمى بالتوافق ، مما يؤدى الى الانسجام الاجتماعى ، او التماسك الاجتماعى . هذا عنصر هام من عناصر الأمن القومى ، والطريق الى تحقيقه هما - كما قلت من قبل - الحرية والمشاركة .

النفط وثلاثة معايير

والآن ، ياتى الحديث عن النفط .

فى البداية ينبغى ان اشير إلى ان النفط ليس على المستوى ذاته كالانماء والامن . اى انه ليس من نفس الفئة كما يقول المناطقة . الامن والانماء غايتان مجتمعيتان . بالطبع هناك غايات اخرى غاية فى الأهمية . لكن الانماء والأمن غايتان اساسيتان .

اما النفط فهو اداة . إنه وسيلة . وبالتالى ينبغى الا نضعه فى مصاف الانماء والامن كغاية نهائية .

ولنتوســـع قليلا فى الحـــديث عن النفط ، لكى يســـهل فيما بعـــد ربط النفط بموضـــوع الانماء والامن ... لقد بدا النفط يظهر ويصبح قطاعا هاما منذ نصف قرن . والتجربة العربية لحركة قطاع النفط مرت بثلاث مراحل : مرحلة الثلاثينات والاربعينات ، ومرحلة الخمسينات والستينات . ثم مرحلة السبعينات .

ونحن إذا جئنا نتفحص مدى النجاح فى اندماج قطاع النفط فى الاقتصادات العربية بالاقتصاد القومى ككل ، احتجنا الى استخدام ثلاثة معايير :

- المعيار الأول : قدرة هذا القطاع على توليد دخول او إيرادات ذات شان فى الاقتصاد القومى
- المعيار الثانى : قدرة هذا القطاع على ان يلعب دورا محركا فى الانماء .
- المعيار الثالث : قدرة السلطة السياسية على اتخاذ القرار الحاسم بالنسبة لقطاع النفط . اى : اين هو موقع اتخاذ القرار ؟

.. فى قطاع النفط ، وباستعراض سريع نجد ان الثلاثينات والاربعينات لم توفر أيا من هذه المعايير . فلا كان هناك مردود مالى ذو شان . ولا اسهم النفط مساهمة تذكر فى عملية التنمية . ولا كان القرار بيد السلطة الوطنية ، وإنما كان القرار بيد الشركات ذات الامتياز . والانماء كان إنماء فى العالم الصناعى الذى كان يستورد النفط باثمان بخسة . وكانت الاموال تتجه الى نفس العالم الصناعى فلما جاءت الخمسينات والستينات باتفاقية المناصفة - مناصفة الأرباح - بدا المردود المالى يتحسن ، وبدا شىء من الاستخدام المتزايد للعائدات النفطية فى صنع النمو . ولا اقول التنمية . ولكن ظل موقع القرار فى شركات الامتياز .

غير أن الستينات شهدت بوادر صراع ، اخذ يتزايد حتى نهاية الحقبة ، من اجل أن يتحول موقع القدرة على اتخاذ القرار من شركات الامتياز إلى البلدان العربية ذاتها .

ثم جاءت السبعينات فحدث خلالها تبدل اساسى بالنسبة للمعايير الثلاثة ، إذ تزايدت الاحجام المالية تزايداً ضخما ، واستخدمت مقادير كبيرة من هذه الاموال من اجل التنمية ، «وإن ابدت الكثير من التحفظات على طبيعة وانماط هذه التنمية كما بينت» . ثم انتقل القرار إلى السلطة الوطنية بالنسبة للتسعير ، وبالنسبة لحجم الانتاج ، وبالنسبة لجهات التصدير « إلى من نصدر وعمن نحجب النفط ؟» خاصة فى حرب اكتوبر المجيدة .

غير ان هذا التحول الكبير بالنسبة للمعايير الثلاثة هو تحول ناقص إلى حـــد كبير . فاذا امعنا النظر ، وجدنا ان هذا الاندماج ، او ما يبدو انه اندماج ، لا يزال يشكو من ثغرات خطيرة وواسعة . خاصة بالنسبة لقيام صناعات كثيرة فى التكرير ، وصناعة البتروكيماويات ، وفى النقل . وسوف اعرض الآن لبعض هذه الثغرات .

إن الاسعار المرتفعة التى ادت إلى مداخيل مرتفعة خلقت شيئا كبيرا من الانبهار بالعائدات المالية ، وكانما اصبح العائد المالى غاية فى ذاته والنتيجة اننا وجدنا انفسنا ننتج اكبر من حاجاتنا القطرية والقومية ، بل وما نعتقد اننا نحتاجه من اجل مسئولياتنا الدولية معا . وهذا يؤدى إلى فوائض مالية .. فماذا يحدث لهذه الفوائض ؟ إنها تتجه صوب الاسواق المالية الغربية حيث تتاكل قيمتها نتيجة التضخم ، ونتيجة تارجح قيمة الدولار . وتتاكل قيمتها ايضا نتيجة السياسة السعرية التمييزية التى تمارسها الدول الصناعية عندما تبيع سلعا وخدمات للبلدان النفطية العربية . وهذا شىء ثابت . إننى اذكر ثلاثة بيانات من حكومة المملكة العربية السعودية تشكو فيها من هذه الممارسات

وفى أحد البيانات مثل محدد ومؤداه كيف ان شركة ادوية كبرى باعت للمملكة ادوية باسعار تكاد تبلغ اربعة اضعاف ثمن الأدوية ذاتها المباعة للأردن . والسبب لهذا التمييز السعرى هو ان السعودية «قادرة» على الدفع ، بينما الاردن «ليس قادرا» على الدفع !

إننى بكل بساطة اقول :

الانبهار المادى من جهة . ومن جهة اخرى وجود تصور - واسمحوا لى ان اقول - خاطىء لمسئوليتنا الدولية ، يجعلنا نستمر ، ليس فقط ، بانتاج مقادير ضخمة من النفط ، وإنما مقادير احيانا متزايدة فى بعض البلدان ، بالرغم من ان هذا يؤدى إلى توليد فوائض مالية لا نستفيد منها نحن ، بل تستفيد منها البلدان التى تتجه الاموال إليها . وبالتالى فاننا نعمل بذلك على نفاذ هذا المورد النادر الاستراتيجى قبل اوانه .

ولابد لى ان ابين ان المسئوليـــة الدوليـــة هى خط سير فى اتجاهين ، حيث لا ينبغى ان اشعر بمسئوليتى تجاه الولايات المتحدة الامريكية ، او بريطانيا ، او رومانيا ، دون ان تشعر واحدة منها بمسئوليتها تجاهنا ، إزاء ثلاثة نواح :

- الاولى : تمكيننا من التكنلوجيا الملائمة .
- الثانية : مساندة قضيتنا العادلة المقدسة .. قضية فلسطين .
- الثالثة : التوافق معنا على إقامة نظام اقتصادى عالمى جديد ، يكون اكثر عدالة ، واقل هدرا للموارد .

الأموال العربيـــة

ثم ..هناك مشكلة اخرى هى : مشكلة الاموال العربية !

إن هذه الأموال اصبحت جهاز ضغط يمكن ان يستخدم ضدنا . وفوق هذا فالغرب لوح باستخدام البة الضغط المتصلة بتصدير المواد الغذائية اكثر من مرة . وكذلك فهو يستخدم البة ضغط اخرى هى التصدير التكنلوجى ، التى يتقيها هو بما يتفق مع مصالحه ، وتصدير السلاح .

نحن إذن امام حالة مخيفة !

ففى حين كان بامكاننا عام ١٩٧٣ ان نستخدم النفط جهاز ضغط فعال فى خدمة القضية الفلسطينية ، فانه ليس بمقدورنا الآن ان نستخدمه مرة ثانية إلا إذا رضينا ان نتعرض لضغط معاكس ، فى حقول تصدير التكنلوجيا .. تصدير الغذاء .. تصدير السلاح .. وتجميد الأموال !

وبالطبع يمكن الرد على هذا الخوف بان نتخذ احتياطات مسبقة كتخزين الغذاء ، وتنويع مصادر الاسلحة ، وتوزيع مصادر الغذاء نفسه كالأموال .. وضع أموال متزايدة فى العالم الثالث وفى العالم الاسلامي ، وفى الوطن العربى . وهذا كله يتطلب إرادة سياسية متجهة لهذا الاتجاه .

إذن : النفط بالنسبة لعلاقته بالانماء والامن ليس أداة إيجابية مائة بالمائة .. إن له سلبيات خطيرة جداً . بل إنها سلبيات مصيرية . وقد يؤدى تحرك هذه السلبيات إلى إبقائنا منكشفين امنيا ، وإلى إبقاء امننا متعسرا كما بينت فيما سبق .

بعض السلبيات

سوف اتحدث عن بعض هذه المظاهر السلبية الاقتصادية .

ولناخذ : النفط وانماط الاستهلاك .

بفضل الموارد النفطية المالية ، ليس فقط فى البلدان النفطية ، وإنما فى البلدان العربية الاخرى بسبب التدفقات المالية . وبسبب عدوى انماط الاستهلاك ، كان الناتج المحلى الاجمالى العربى ـ وذلك من واقع التقديرات الرقمية لعام ١٩٧٩ ـ ثلاثمائة الف مليون دولار . اى ثلاثمائة مليار دولار . وكان حجم الاستهلاك ١٦٠ مليارا . يعنى ٥٢٪ . قسم كبير منه طبعا فى البلدان النفطية .

هذا فى حد ذاته لا يوضح الخطورة .

وجه الخطورة هو أن العائدات النفطية ، او بالاحرى القيمة السوقية للانتاج ذلك العام ، وكان حوالى ٢٣ مليون برميل نفط فى اليوم ، بمعدل وسطى للسنة باكملها ١٩ دولارا . كانت القيمة السوقية للانتاج النفطى ١٦٠ مليار دولار ايضا . فكاننا انفقنا القيمة السوقية الكاملة لانتاجنا النفطى . طبعا هذا لم يتم . بعبارة اخرى : هناك استهلاك المغرب والأردن وبلدان اخرى غير نفطية ، ولا يوجد اى بلد نفطى استهلك كل مردوده المالى من النفط .

ولكن إذا التقطنا صورة تجميعية للوطن العربى ككل ، وجدنا ان حجم الانفاق الاستهلاكى غير الاستثمارى ، كان يعادل القيمة السوقية للانتاج النفطى باكمله .

> ● لا يمكن أن نشتري الأمن أو نستورده

هناك مؤشر اخر .

فى مطلع السبعينات كان الاستيراد + التصدير يشكل ٦٠٪ من الناتج المحلى الاجمالى فيما أذكر .

لكنه فى عام ١٩٧٩ ـ وهذا عن ثقة ـ بلغت المصدرات + المستوردات ٩٢٪ من جملة الناتج المحلى الاجمالى .

هذا الاعتماد الخطير والثقيل على القطاع الخارجى شيء ينبغى أن نتوقف عنده . إن هذا الحجم الكبير ٩٢٪ بالنسبة للمستوردات يعنى اننا نحول نسبة كبيرة جدا من القدرة الشرائية من اقتصاداتنا الوطنية ، إلى الاقتصادات الصناعية فى الخارج . إذن فان القطاع النفطى يندمج بشكل متزايد بالاقتصادات الأجنبية ، لاننا نغذيها بقدرتنا الشرائية .

هذا فى جانب المستوردات .

اما فى جانب المصدرات فالوضع اشد خطورة

إن المصدرات العربية إذا اخذناها كلها ، وجدنا ان النفط يشكل ٩٠٪ منها فى الوطن العربى ككل . ولكن لو اخذنا البلدان النفطية وحدها وجدنا ان النفط يشكل ٩٩٪ من صادراتها بل ما هو اخطر ، ان بلدانا كانت مزدهرة قبل الثورة النفطية ، هبط تصديرها لبعض السلع الزراعية الصناعية هبوطا بالأرقام المطلقة .



وإذا اخذنا النفط على حدة ـ وهذه فقط رياضة رقمية ـ إذا خلعناه من حساب الناتج المحلى الاجمالى ، وجدنا ان مستورداتنا تزيد بكثير جدا عن صادراتنا ، بحيث لا نستطيع ان نمول صادراتنا !

هذه بعض المؤشرات على خطورة الوضع الذى انبهرنا به بسبب المردود المالى الكبير الذى ادت إليه الصادرات النفطية .

نقاط ضعف اساسية

● يبقى ان ابين ان هذا كله ناجم عن ثلاث نقاط ضعف أساسية :

● الأولى : غياب التصور المتكامل للوضع الاقتصادى والمجتمعى فى الوطن العربى الذى ينبغي فى ضوئه أن توضع السياسات الاقتصادية .

● ثانيا : غياب السياسات الشمولية الاقتصادية التى تتحكم فى تصرفاتنا بالنسبة لقطاع النفط ، وبالنسبة للتنمية وغيرها من الامور .

● ثالثا : حتى عندما يوجد تصور واضح لهذه القضايا . وحتى عندما توجد سياسات اقتصادية تعنى بهذه القضايا .. فليست هناك إرادة العمل من اجل الحرص على المستقبل العربى الاقتصادى والاجتماعى والامنى .

هذا الوجه للخطورة يصبح اشد ، إذا ذكرنا ان تصوراتنا ، وسياساتنا وإرادتنا تظل مجزاة ومشتته ، لانها تصورات وسياسات ، وإرادة قطرية وليست قومية ، وبالتالى فنحن لا نزال عاجزين عن ان ننهض بمستلزمات التصدى الفعال .

●●

وبعد ..

فان الحالة خطيرة . والاهمال معناه تعريض المصير العربى باكمله للخطر ! لكن يبقى ان بالامكان رفع مستوى القدرة العربية إنمائيا وامنيا ، إذا توفرت الارادة ضمن تصور قومى واضح ومتكامل لما نريد ، تكون التصورات القطرية منسجمة معه . وهذا شرط اساسي . وإذا تبعنا هذه التصورات باهداف نحددها بدقة . واتبعنا ذلك برسم استراتيجية تحرك الارادة العربية . ثم اتبعنا ذلك ايضا بسياسات رشيدة وحكيمة ، وبخطط عمل رشيدة وحكيمة .. وانطلقنا .

وعندئذ نستطيع ان نرسي ركائز المجتمع العربى المنشود . مجتمع يحقق التنمية .. والحرية .. والوحدة .. والعدالة ..

د. يوسف صايغ



بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

.. والعلم ممنوع على العرب !

منذ حرب حزيران عام ١٩٦٧ م والعرب تلح عليهم الأحداث والصدمات لمعرفة المعنى الحقيقي لاسرائيل ، وصانعي اسرائيل ولكن يبدو أنه يتوجب على العرب قبل كل شيء معرفة المعنى الحقيقي لانفسهم . من هم ؟ وماذا يريدون ؟ وإن الذى لا يعرف نفسه على حقيقتها .. لن يعرف عدوه على حقيقته !!

كتب تيودور هيرتسل مفلسف الفكرة الصهيونية فى أواخر القرن التاسع عشر (علينا أن نكون جزءاً من سور للدفاع عن أوربا فى اسيا ، ومركزاً اماميا للحضارة ضد البربرية) .

وفى هذا الربع الأخير من القرن العشرين ، أرسل مناحيم بيغن طائراته الأمريكية الصنع لضرب المنشآت العلمية العربية فى العراق تأكيداً لاستمرار دور «المركز الامامي اليهودى للحضارة الغربية والأمريكية فى اسيا» ضد ما اسماه جده تيودور هيرتسل بالبربرية .

وبالطبع فان العالم المتحضر لن يجرؤ على سؤال اسرائيل من هو البربرى ؟ اهو الذى يبنى العلم أم الذى يقصفه بالطائرات ؟!

فالحضارة يريدونها حكراً فى هذه المنطقة على اليهود ، والبربرية كما قدرها هيرتسل ، يجب أن تظل قدر العرب . وإذا ما قرر بعض العرب معاندة هذا القرار والعمل على اكتساب العلم الحقيقيّ والحضارة الحقيقية فالجواب هو ضربهم بالطائرات الأمريكية اليهودية (المتحضرة) وارجاعهم الى البربرية بالقوة .

هل تحتمل الغارة الاسرائيلية على منشآت العراق النووية أقل من هذا التفسير ؟وهو أن العلم والحضارة ممنوعان على العرب بقرار صهيونى وبأدوات امريكية . ذلك واضح كالشمس حتى لأبعد المراقبين الأجانب .

ولكن ماذا نقول لبعض اتجاهات التفكير السياسى العربى التى تحاول بحسن نية تحويل الأفعى الاسرائيلية الى خيط من حرير ، وتحويل النمر الى قط أليف ، فتجعل من نفسها فى النهاية كالنائم فى جحر الأفعى ، وكراكب النمر لا يدرى متى ينقلب عليه !

المشكلة اذن ليست فى ايجاد دولة لليهود فى فلسطين ، ولا فى اعتراف العرب بالكيان الاسرائيلى ضمن حدود آمنة وعلاقات طبيعية على فداحة ذلك : فلو أن المشكلة كانت كذلك لنهجت اسرائيل طريق الحل والتهدئة بين عرب أقدموا على



بلفور



بيجين

هرتزل

الاعتراف بها واقامة العلاقات معها ، وعرب آخرين ينتظرون فقط صيغة أفضل للحل لينهوا المشكلة .

ولكن اسرائيل تأبى إلا أن تصرخ فى وجه كل العرب بلا استثناء ، بأنها ليست تلك الدولة ذات الحدود الآمنة التى يتصورون ، لأن حدودها الآمنة تقع فى قلب بيروت وفى قمة جبل لبنان وفى عمق المشرق العربى كله وصولاً الى صرح المنشآت العلمية العربية فى أقصى المشرق بالعراق ، مروراً غداً بآبار النفط وأرضه ، رجوعاً بعد غد الى اجهاض أى تقدم يتحقق فى وادى النيل ، لأن اسرائيل ــ كما يؤكد بيجن ــ هى التى تقرر مصادر الخطر عليها بغض النظر عن أية أعراف أو اتفاقات دولية .

إذن فهذه اسرائيل الحقيقية ، كما حددها هيرتسل فى الأصل ، وكما يجسدها بيجن اليوم وغداً وبعد غد ، بلا وهم ولا تزويق : هى تدمير للتعايش العربى الحضارى فى لبنان وغير لبنان ، وهى محاولة لايقاف مسيرة العلم فى العراق ، وهى تسميم للعلاقة العضوية بين العربى وأخيه ، هى كل ذلك قبل أن تكون اخراجاً للفلسطينى من وطنه .

والكبار الذين خلقوا اسرائيل لم يخفوا أغراضهم أيضاً ، ولم يقولوا انها دولة مسالمة لليهود المسالمين ، بل قال بلسانهم (كامبل بانرمان) رئيس الحكومة البريطانية عام ١٩٠٢ وقبل صدور وعد بلفور بسنوات ما يلى بالنص الحرفى : «إن هناك قوماً يسيطرون على أرض واسعة تزخر بالخيرات وتسيطر على ملتقى طرق العالم وتجمع هؤلاء القوم ديانة واحدة ولغة وتاريخ وآمال واحدة . وليس هناك حاجز طبيعى يعزل القوم عن الاتصال ببعضهم ، ولو حدث واتحدت هذه الأمة فى دولة واحدة فى يوم من الأيام لتحكمت فى مصير العالم ، ولعزلت أوربا عنه . ولذلك يجب زرع جسم غريب فى قلب هذه الأمة ، يكون عازلاً من التقاء جناحيها ، ويشتت قواها فى حروب مستمرة ، ورأس جسر ينفذ اليه الغرب لتحقيق مطامعه» .

هذا ما قاله رئيس وزراء بريطانى عام ١٩٠٢ .

وبالأمس بريطانيا : واليوم أمريكا ، ولا جديد فى جعبة الغرب غير تجاهل العرب والدعم غير المحدود لعدوان اسرائيل حيثما وصل .

ومنذ حزيران عام ١٩٦٧ والعرب تلح عليهم الأحداث بل الصدمات لمعرفة المعنى الحقيقى لاسرائيل ، والمعنى الحقيقى لصانعى اسرائيل ، بلا أوهام أو تبسيط أو تقليل ، ولكن يبدو أنه يتوجب عليهم معرفة المعنى الحقيقى لأنفسهم قبل كل شىء ، وتقرير من هم ، وماذا يريدون ، لأن الذى لا يعرف نفسه على حقيقتها لن يعرف عدوه على حقيقته .

والمعرفة المطلوبة ليست بياناً يعلن ، بل هى ارادة تفعل وترد وتتحرك . وربما كان أخطر من اسرائيل على العرب بطء استجابتهم لخطر اسرائيل .

إن بعض استجابة الأمم ضد التحديات هى أخطر من التحديات ذاتها لأن من التحديات ما يوقظ الهمم ويدفع للعمل .

والمطلوب من العرب معالجة ضعف استجابتهم للخطر وتحديد علة ذلك الضعف . أما الخطر ذاته فهو واضح ويعلن عن نفسه كل يوم بأشد الأسلحة تقدماً وفتكاً ، وبما يتعدى الضفة الغربية وغزة بكثير فى الامتداد وفى العمق !

جناح شجن يحاول أن يرتفع



بقلم : عبد الله جفري

الكاتب السعودى الكبير عبد الله جفرى يلتقى مع قراء الدوحة شهريا ابتداء من هذا العدد ... والدوحة يسعدها ان تلتقى مع قرائها بالكاتب الكبير وبما عرفناه عنه دائما من صدق وشفافية وأمانة فى التعبير والتفكير.

ـ «ترى .. امازلنا نستطيع ان نطير يا صديقى ، ام وحدها الأيام تطير» ؟!

أستاذن صاحب العبارة التى قراتها من سنوات ، فنسيت من قائلها .. واستعيرها اليوم ، واجول بها فى ساحات العمر .. جناح شجن يحاول لن يرتفع فلا يقدر ، وتحاول الجاذبية لن تهوى به الى السقوط فلا تقدر .. فكان شجن الانسان فى لحظات التذكر منديل حائر .. لا يدرى هل يلوح بالوداع .. أم يلوح باللقاء ؟!

التساؤل يتردد : نستطيع أن نطير نحن .. أم الأيام وحدها تطير ؟!

فى الزمن القديم .. كما نبسط الأوراق لنكتب ، فتتحول الحروف الى شموع تذوب وهى تحاول أن تضىء . ويتحول القلم الى صاروخ ينطلق ليزور الصدور فيثير كوامنها ، ويتوقف عند العقول فيستفز تحفزاتها . فلذا الكلمة «دنيا» من الضوء والحياة !!

كان ذلك .. حينما لم تكن الأجوبة اسئلة جديدة حائرة ..

كنا نستطيع أن نطير نحن ، وتبقى الأيام تتجدد ولكنها لا تطير .. تتبلور معانى جديدة .. غنية الحس .. عميقة العطاء .

كنا نطير فى افاق المعرفة ، ونسافر أبدا الى المعانى الولود !!

كنا نشعر حينذاك أن الكلام حديث ، وأن الحديث تنفيذ الوجود !

كنا نحس كما قال ذلك الكاتب الفنان : «ان ما فى القلب يهجم على الكلمات فتصير كل كلمة جزيرة من شجر الآه ، وتتجمع الجزائر فى خصر واحد يعتصره الحب بجنون لهفته ، وتصبح اللغات كلها هدية فقيرة الى الحبيبة» !!

ذلك كان .. يوم كنا نطير نحن ، والأيام لا تطير وإنما تتجدد .. تتلون .. تفيض بحضارة العشق ، وبمدنية المعانى !!

فلما جاء إعصار الاحتلال لمساحات واسعة من أرضنا .. تكدرت الكلمة ، فنزفت قهر الأرض ، وعذاب الذين سرقت منهم الأرض !!

كانت سنوات يدكها النسيان لتمتلىء به !!

فهل نسينا أرضنا ، وحقولنا ، وعشقنا ؟!

إنزرع «شجر الآه» فى صدورنا .. غابات حزن كثيفة .

إمتلأت حدقاتنا بالانتظار لقنديل يضىء العتمة .

فما أوحش الليالى الوحيدة !!

سنوات طويلة بليدة .. تحولنا فيها الى ليالى وحيدة !

الموال مشروخ ..

والكلمة يتيمة .. عارية ..

والنغم حزين .. يخرج من حنجرة مذبوحة !!

أصبحت الأيام تطير ، ونحن مقعدين

فى زوايا الحزن والضجر !!

الزمن يركض .. والعالم يركض ، وهو يصنع المدنية ، ويبتكر المعرفـــة الجديدة !!

وحينما كان الشبلب فى أوربا يرقص «التويست» .. كان جندى الصهاينة يطوح باصحاب الأرض فوق فلسطين ويدلى أعناقهم !!

وحينما كان «ارمسترونج» يصعد الى سطح القمر .. كان الاستعمار يدفن جثث الضحايا فى أرضهم ، ويغمرها فى البحر !!

وحينما كانت «اليزابيث تايلور» تمثل افلام الاغراء ، وتتحدث عن الحرية والمدنية فى أفلامها .. كانت تدفع المعونات لليهود ليستوطنوا أرض العرب المسروقة ، ويشردوا أهلها !!

وامتلأت أوراقنا بدمائنا ..

الكلمة التى كنا نكتبها .. نطرحها مذبوحة .. لها معالم من الدم !

وكان ذلك الألم هو وقود ننصهر فى حرارته لنفيق من جديد !

وكانت السماء التى نتوق أن نطير اليها وفى طياتها .. تشهد على جريمة يرتكبها الانسان ضد الانسان !!

كنا نفتش عن منديل نلوح به .. أما أن يعطى معنى الوداع ، فتافل هذه الأمة ولا تقوم لها قائمة . وإما ان يعطى المنديل بشائر اللقاء .. فتعود هذه الأمة بميلاد جديد يتلفت العالم اليه !

وحينما كان السلاح غائبا .. كانت الكلمة خائرة .. مستضعفة ، وكان الانسان العربى موال ذكرى ، واغنية فراق !!

كانت سنوات يدكها النسيان .. تمتلىء به !!

أما مشكلة الانسان فكانت تتمثل فى اهانة العشق !!

أهان عشقه للحرية .. ففشل أن يكره أعداءه !!

أهان عشقه للمعانى ، فسقط فى ماديات الحضارة .. حتى علت أمواج الرغائب فأغرقته !

أهان عشقه لدلائل القلب .. فأصبح يتعامل بالغريزة الذاتية المادية !!

غاب اليقين .. فبهتت معالـــم الحقيقة !!

غاب الايمان .. فازدهرت انانية النفس ، وانتعش إلحاد العقل !!

كانت سنوات .. تعطلت فيها المعانى عن إضاءة روح وعقل الانسان !

كان زمن غريب .. يزرع الأشجار ويحرقها !!

وضعفت قدرة المنطق فى كثافة المغالطات !!

وانتهى الزمن القديم .. يوم كنا نبسط الأوراق لنكتب ..

فتتحول الحروف الى شموع ، وافترش النفوس زمن غريب .. عاصرنا فيه «حالة» الكاتب الذى يبسط الأوراق ليكتب .. فتتحول الحروق الى حرائق ، ودماء .

وانبجس من وراء الجراح صوت الشاعر الذى طرده اليهود من أرضه .. ففكر أن يقاوم بالقصيدة ، وبالنشيد .. جنبا الى جنب مع الفدائى الذى يقاوم بدمه وحياته بواسطة السلاح المتوفر له !!

وارتفعت اصوات الجراح ..

صارت الجراح تطير ، والايام تطير ، والانسان واقف يتفرج ، ويئن ، ويتشرد !!

صارت القصيدة .. هدية الى الحبيبة الفقيرة !!

صارت الأغنية .. شجرة ام ضائعة فى غابة العالم !!

صار الانسان مسفوحا فى العذاب .. منسيا فى منطق القوة !!

● ●

وابتدأ زمن جديد .. فكيف كانت بدايته ؟!

هل البداية .. تنطلق من التأكد بحيازة سلاح ؟!

كان لدينا ــ ذات مرة ــ سلاح ، فتحطم دفعة واحدة .. حينما كان أغلى ما يمكن أن نحافظ عليه مهدراً !

هل البداية .. مسببة بحشد جنودنا وتدريبهم ؟!

كنا ــ ذات مرة ــ قد حشدنا الجنود وأضعناهم فى التيه !!

كانت كل التقارير وحسابات الكومبيوتر تؤكد أن العدو قوى العدة والعتاد ، وأننا نواجه معركة مخيفة .. استعداد عدونا ووسائله والعون له من الخارج يفوق استعدادنا ووسائلنا . ورغم ذلك تقدمنا بالخطوة الأولى .. فحققنا دلائل الانتصار !

وتساءل العربى بعد ذلك : كيف انتصرنا ؟!

وأجاب على سؤاله قائلا : بالايمان .. الايمان أساسا . حينما تسلحنا ــ أولا ــ بالايمان تقدمنا .. فكان الايمان هو الخطوة الأولى التى أذهلت العالم ، وأربكت العدو ، وخالفت حسابات الكومبيوتر ، وتفوقت على استعدادات القوة !!

وكان ما حدث .. هو البداية الحقيقية للزمن الجديد !!

كانت مخاض وحدة عميقة التأثير فى النفس والعزيمة والمنطلق . أن نؤمن أولا ثم نعمل بفاعلية ذلك الايمان .

وعندما استعدنا ايماننا .. أصبحت ملامح الزمن الجديد .. تقول : يكفى أن نمسك بالسلاح لنهزم عدونا ، وأن نمسك بأيدى بعضنا البعض لتكون كلمتنا سيدة المواقف ، وأن نوحد خطوتنا لنصل الى الهدف الذى نرمى اليه !!

وكما قال مبدع حرف : «كان يكفى أن نجلس أمام الورق حتى يمتلىء الورق بالنجوم ، وتصبح الطاولة بساط الريح ، ويكفى أن نمسك القلم حتى يصبح سراجا يتوهج فوق عمود الليل» !!

● ●

ذلك كله .. استرجاع لزمن قديم ، ولزمن غريب ، ولزمن جديد .. جاء ميلاده فى عودة الايمان !!

ذلك كله .. مخاض آلام صهرت الفرد والجموع . حصيلة جراح روت دماؤها أرض الكفاح ، ونتيجة عمل .. ما كان له أن ينطق لولا فاعلية الايمان فيه !!

ومرة ثانية .. أستأذن صاحب تلك العبارة التى قرأتها منذ سنوات ، فنسيت من قائلها .. لأجيب اليوم على تساؤله الضاج والمرهق فى زمن كتابتها .. استأذنه فأقول :

ــ الآن .. نستطيع أن نطير يا صديقى نحو آفاق جديدة ، وحياة جديدة ، وعمل جديد . وتبقى الأيام تتجدد بمزيد من الانتصارات ، وبمزيد من الرؤية الواضحة العظيمة لمستقبل يلد الأجيال القادمة .. القادرة على صناعة أجوبة لكل الأسئلة الحادة !!

الآن .. يصبح الايمان يقينا .. مادام أنه ركائز أقدارنا !!

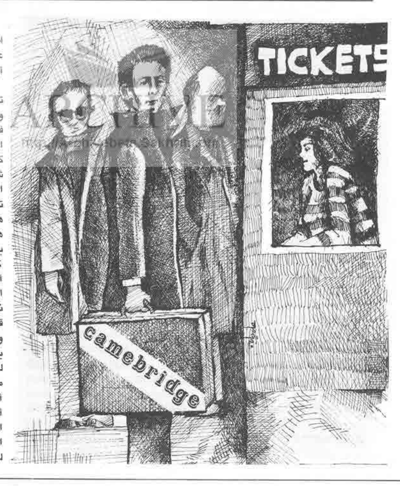
الآن .. أصبح جناح شجن يحاول أن يرتفع باصرار لا يتعب !!

كامبردج وكيمبردج وأخلاق الشعوب

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

الحديث في المقهى ذو شجون . وفي احدى الحلقات انتهى الحديث الى الكلام عن مميزات الشعوب والفوارق الاخلاقية او السلوكية بينها ، فقال أحد الجلساء :

ــ اذا كنت مسافراً فانك تستطيع أن تعرف من كلمة ، أو تصرف ، أو من حادث واحد ، ابرز مميزات الشعب الذى تحل في بلاده . خذوا على ذلك مثالا مر بي في انجلترا . كنت في لندن وكنت أريد زيارة كمبردج ، فقصدت المحطة وتقدمت الى شباك التذاكر وذكرت للبائعة فيه اسم المدينة الجامعية المشهورة . وانتم تعرفون ان اللغة الأجنبية التى اتقنها هى الفرنسية ، لذا فقد نطقت الاسم هكذا : كامبردج ، بفتح الكاف . فرفعت بائعة التذاكر رأسها وسألتنى : كيمبردج ؟ لافظة الاسم بكسر الكاف . فلم أفطن انا الى الفرق بين تلفظى لاسم البلدة وتلفظها لها ، وقلت لها مكرراً : نعم ، كامبردج ، بينما أعادت هى السؤال قائلة : كيمبردج ؟ وهكذا كررت انا طلبى وكررت هى استفهامها . وكان الناس يقفون ورائى صفاً طويلا ينتظرون دورهم لقطع تذاكرهم . إلا ان السيدة كانت مصرة على ان لا تعطينى البطاقة ما لم أطلبها بلفظ انجليزى صحيح . ولولا أن الرجل الذى ورائى حسم هذه المحاورة العقيمة بقوله : نعم يا سيدتى كمبردج ، ان السيد أجنبى على ما يظهر .. لظللت حتى اليوم واقفا امامها أقول



كامبردج ، فتسالنى كيمبردج ؟ .. اليس هذا ينطق ببرودة الانكليز ، وبحرصهم على الأصول ، وبعنادهم فى سبيل الوصول الى ما يريدونه من غاية ؟

● الاضراب عن اللطف

قال جليس اخر ..

ـ هذا يصدق كذلك على الفرنسيين اذا أردت مثالا على أسلوب حياتهم العاطفى المتميز ، وعلى تلطفهم فى الحصول على ما يبغون ، فلن أجد احسن من هذا الذى رأيته على الحدود الفرنسية البلجيكية فى احدى رحلاتى . كنت اقصد باريس قادماً من بروكسل فى سيارتى . فلما بلغت الحدود الفرنسية أدهشنى ان أجد الطريق مسدوداً امامى بصف طويل ، طويل جداً ، من السيارات التى لا تكاد تتحرك من مكانها . ولما طال انتظارى واشتد الزحام أمامى وورائى نزلت كما نزل عشرات الناس ، بل مئاتهم ، لتساءل عن سبب هذا الازدحام غير العادى . وهنا قصوا علينا الحكاية المضحكة التالية : لقد كان لموظفى الجمارك الفرنسيين بعض المطالب المعاشية التى طالما تقدموا بها الى رؤسائهم فلم يجدوا منهم اذناً صاغية . فلما أعيتهم الحيل اعتزموا أن يلجأوا الى أسلوب يفرضون به على المسئولين الاصغاء الى مطالبهم ، وقرروا أن يقوموا باضراب من نوع جديد ، اضراب سموه الاضراب عن اللطف . ذلك انهم قرروا تطبيق القانون بحذافيره على كل سيارة قادمة الى الأرض الفرنسية من بلجيكا ، بايقاف السائق والتطلع الى هويته وورقة الميكانيك لسيارته ، وتفتيش الحقائب حقيبة حقيبة ، ورفع المقاعد للبحث عما تحتها ، الخ ... وبالطبع فان هذه الاجراءات كانت تستدعى وقتاً طويلاً ، اذا ضرب بمئات السيارات والآلاف من التى تجتاز الحدود فى كل يوم عرفنا اى شلل فى حركة السير نجم عنه . وبالطبع فان خط السير الطويل كان يضم سيارات لوزراء وسفراء وقواد جيوش وموفدين خاصين ، ولأناس مرتبطين بمواعيد عاطفية هى أهم عندهم من المواعيد الدولية . فاهتزت لكل هذا اسلاك التليفون والبرق بين الحدود وباريس تستصرخ المراجع الجمركية العليا . ولكن ما الذى تستطيعه مديرية



الجمارك مع موظفيها ؟ لقد كان اقناعهم بمخالفة القانون مستحيلا . ولم تمض ساعات حتى حصل موظفو الجمارك على مطالبهم وأنهوا ذلك الاضراب العجيب . الاضراب عن اللطف ..

● فى سهول الأندلس

قال ثالث من جلساء الحلقة :

ـ انا استطيع ان اؤيد ما تقولونه بقصة من اسبانيا ، حكاية جرت لى فى قطار الكوريوس فى الطريق من مدريد الى غرناطة . وقطار الكوريوس ، او قطار البريد قطار عجيب ، يمشى على مهله مخترقاً سهول قشتالة والأندلس ، باتجاه واحد ، فلا يلاقيه قطار اخر حتى يتم دورته . يقف فى كل قرية ويكاد ينام على الشريط وقت القيلولة ، مثل كل الاسبان . وكنت راكباً فى احدى عرباته المزدحمة ، ولاحظت ان ثمة عربة فى اخره فارغة فنقلت امتعتى وكتبى اليها ، واضطجعت على أحد دواوينها لوحدى اقرأ على مهلى . ووقف القطار فى احدى المحطات واحدة من وقفاتـــــه المعهودة . وبعد دقائق سمعت حركة القطار وصفيره مبتعدين عنى بينما كانت عربتى ثابتة فى مكانها . لقد سار القطار بعد ان فصلت العربة التى كنت فيها عن القافلة . فقفزت راكضاً حتى تعلقت بالعربة الأخيرة . وكان فيها احد موظفى القطار فاشرت اليه بيدى نحو العربة الواقفة وانا اقول : ليبرو ، سومبريرو .. كتبى وقبعتى ! وكان عجيباً أن يفهم منى ، واعجب منه ما حدث بعد ذلك . فلقد صفر بصفارته وأشار بعلم أحمر فى يده الى سائق القاطرة فى المقدمة ، فوقف القطار وانحدر الموظف الى العربة الواقفة ثم عاد منها يحمل القبعة والكتب . ولما رانى مطمئناً مد يده بعلمه وصفر بقوة فاستانف القطار سيره مخترقاً سهول الاندلس الى غرناطة وصحراء اجدادنا الكرام فيها . اتريدون دليلا اوضح على امتزاج الكرم بالفوضى فى طباع الاسبان ؟ لاحظوا انى لا انقدهم بهذا ، وانى احب فوضاهم كما احب كرمهم ...

● وتصريف الأفعال

وكان فى الحلقة استاذ للغة لم يكتب له ان يخرج مرة عن محيط بلده . كانت رحلاته لا تتعدى كتبه وأمثاله مقتبسة من دروسه . تنحنح ، قبل أن يعقب على حكايات رفاقه ، ثم قال :

ـ هل تعرفون قصة الانكليزى الذى عبر القنال الى فرنسا فقضى على الشاطىء الفرنسى ساعة ثم عاد الى انجلترا ؟ لقد امطرت السماء فى تلك الساعة فالتجأ الى حانة تخدم فيها فتاة حمراء الشعر تقدم لزبائنها نبيذ الروم . ولما ساله أهله عن فرنسا كيف وجدها قال : فرنسا ؟ انها بلد لا تنقطع فيه الأمطار ، نساؤها حمر الشعور وهم لا يشربون من المشروبات غير الروم وانتم كذلك . ان مقاييسكم لمعرفة أخلاق الشعوب خاطئة .

قال واحد من المتحدثين فى ضيق :

ـ وما مقياسك انت يا أستاذ لهذه الغاية ؟

ـ ان اللغة اوسع المقاييس وأكثرها شمولا . خذ منها مثلا تصريف الأفعال : الفرنسى انسان عاطفى ، فان اول فعل يصرفه هو فعل الحب : جيم ، تو ايم ... أنا احب ، أنت تحب هو يحب . والانكليزى عنده التملك قبل كل شىء ، واول ما يصرفه فعل التملك : اى هاف ، يو هاف ، انا أملك انت تملك ، الخ . أما العربى ... العربى يبدأ بفعل الضرب : ضرب زيد عمرواً ...

فضحك الجلوس وقال أحدهم : يا أستاذ انت تستحق ان تضرب على هذه الأمثلة التى تسوقها .

قال الأستاذ : اذا فعلتم هذا دللتم على شيئين : على انى قلت الحقيقة ، وعلى انكم اصلاء فى نسبكم !

وضحكوا جميعاً ، بينما انصرفوا الى طرف جديد من الحديث .



الغريب OUTSIDER



شعر : محمد الفهد العيسى



أنا انسان يعيش الغربة
بين البشر ...
مع كل الناس ..
هنا ... وهناك
ضلت عيناه ..
هداه بدربه
....
الغربة أحياها الليل ..
كل نهاري ..
كل نهاراتي ..
نقشت في أجنحة من سربه
....
لا أعرف كيف أتيت ... !!
كيف أعيش ؟؟
برغم حياواتي
بين البشر .. إنسانا !!!!
أنا انسان ..
علق انساني في هدبه

(٢)

أحرف كلماتي تتكسر فوق شفاهي ..
على مشنقة لهاتي تغتال ..
تنكسر ... تخنق !!!!
أنا الانسان الضائع ..
في وجدان البشر ..
الانسان المذبوح ..
على مائدة الغيلان الموبوءه
....
الانسان الوجدان . !! ؟
بنات من عشق ..
وئدت في « جاهلية » القرن العشرين .



د. حافظ الجمالي

الليبرالية في الفكر

أدونيس — محمود درويش — قسطنطين زريق

إن الأخذ بكل صور التصنيف ـ عندما يتحدث أبناء الجيل الصاعد عن مذاهب المفكرين ـ يجعلنا ننتهى الى القول : إننا قوم لم نرزق بين مفكرينا لا سلامة الفكر ، ولا حسن النية ، ولا رصانة الثقافة . ومع أن التاريخ كرس من بيننا شعراء مثل أدونيس ، ونزار قبانى ، ومحمود درويش ، فقلما ينعقد الاجماع عليهم ، على الرغم من عشرات الألوف الذين يهرعون ليحضروا أمسية شعرية لواحد منهم !! .

عندما يتحدث أبناء الجيل الصاعد عن مذاهب المفكرين ، الذين سبقوهم بعض الشيء الى الوجود والحياة ، فانهم كثيراً ما يستعملون أداة تصنيف ، ماركسية الأصل ، ليسموا هذا المفكر بانه اشتراكى ، والآخر بانه قومى ، شوفينى ، والثالث ، بانه ليبرالى ، ولو اننى قلما أسمع بان لهذا المفكر أو ذاك نزعة ستالينية .

وبطبيعة الحال ، فان الأوصاف التى استخدمتها ، ليست كل الأوصاف ، ولا أكثر الأوصاف . إنها جزء «مهذب» من كل ضخم ، قلما تجد فيه إلا الاتهام ، والاشارات السوداء ، ومايقرب من كل شيء إلا من الطهارة والسلامة وحسن النية ، والتوازن العقلى . ولو رحنا نستبعد من قائمة المفكرين كل من يصنف عند ابناء الجيل الصاعد ، فى فئة غير مقبولة ، او اخرى ، لوجدنا ان من يبقى من مفكرينا قائماً على رجليه ، يتمتع بحق الحياة ، عدد جد ضئيل . ومع ذلك فليس الذى يستبقى حياً فى تصنيف احدى الفئات ، يبقى كذلك فى تصنيف الاخرى ، بل يحيا هناك قوم ، يجب أن يموتوا هنا ، والعكس بالعكس ، مما يجعلنا ننتهى الى القول ، لو اخذنا بكل صور التصنيف : إننا قوم لم نرزق بين مفكرينا لا سلامة الفكر ، ولا حسن النية ، ولا رصانة الثقافة ، ولا هم يحزنون . ومع انك تجد بين الناس من «كرسهم» التاريخ والتاريخ الثقافى ، على الأقل ، مثل أدونيس ، ونزار قبانى ، ومحمود درويش فانت قلما تجد الاجماع منعقداً عليهم ، على الرغم من ان عشرات الألوف من الناس العاديين والمثقفين معاً ، يهرعون ، باكبر السرعة ، ليحضروا أمسية شعرية لأى من هؤلاء ، أو أمثالهم ، وأذكر على سبيل المثال أن لأدونيس كتاباً هاماً جداً ، حول الثابت والمتحول ، يقدم فيه أطروحات ضخمة ، مثيرة ، ذكية ، مثيرة للاهتمام قطعاً . ومع ذلك فأكاد على تتبعى الدائم لما يكتب هنا وهناك ، لا أعثر على اية دراسة جدية تناولته بالتحليل والنقد ، حتى لكأن الكتاب لم يكتب قط . وكذلك نشر الدكتور قسطنطين زريق كتاباً عن «المستقبلية والمستقبل العربى» بعنوان : نحن والمستقبل ، وهو كتاب هام جداً ، ولا

الليبرالية في الفكر



بسمارك — نابليون — شارل العاشر

احسب ان مثقفا بين اى نوع ، يمكنه ان يستغنى عنه . ومع ذلك فقلما وجد من يتناوله بالتعليق .. ومنذ مدة قليلة قرات لأحد المفكرين العرب ، ممن طوتهم الأيام على عجل ، جملة يقول فيها إن العقل العربى برميل بلا قعر ، لا يتراكم فيه شىء ، ولا يبقى فيه شىء . واظن انى اجد مناسبات كثيرة لتصديق مثل هذا القول

● ● ●

لكن هذه مقدمة ، اعود منها الى العنوان الذى انطلق منه او الموضوع الذى احب ان ابسط القول فيه . إنه الليبرالية والفكر . واقول : إن الدرجة (الموضة) الشائعة لدينا ، هى أن نصم مباشرة باسوا النعوت كل من نشم مما يكتب صورة ما من صور الليبرالية ، كما لو ان هذه «عار كبير» متى علق بالانسان ، فلا طهارة له منه الى ابد الآبدين . وتامل قليلا : ايمكن ان يوجد بين المفكرين من يمكن ان يكون ليبراليا ؟ ولقد قرات للدكتور عصمت سيف الدولة مجموعة كتب ، ابرزها : نظرية الثورة العربية ، والاشتراكية العربية . ولاح لي ان هذا الرجل ، المخلص والرصين ، بالتاكيد ، يعرض حول الجدلية المادية افكاراً يجب ان تحملنا على الايمان مباشرة بانه ليس للجدلية المادية من قيمة علمية ، بل هى مخالفة للعلم . إلا ان من الطريف ان هذا المفكر يعقد فصلا لنقض الليبرالية «نقضاً حاسماً» لينتهى الى القول : بجدل الانسان ، بدلا من الجدلية المادية . وبمقدار ما افهم ، فانه يصعب علي ان اجد فرقاً واضحاً بين الليبرالية الفكرية ، وبين جدل الانسان ، او بين الديمقراطية السياسية جملة ، وبين هذا الجدل . واتساءل : ترى الم يضع الدكتور سيف الدولة اسم جدل الانسان ، كبديل عن الديمقراطية ، خوفاً من «سوء السمعة» التى احاطت ، تاريخيا ، بكلمة الليبرالية ؟ اتساءل عن هذا وجلا ... واقول : مادمت انظر الى هذا الرجل نظرة

● لماذا كانت الليبرالية سيئة السمعة؟

ملأى بالاعجاب والتقدير . فهل يمكن ان اتساءل ، بصدده ، مثل هذا السؤال ؟ او يجوز بل او يمكن لأمثاله ان يتنكر وراء كلمات معينة ، او تعابير جديدة يخترعها ليرفع من قدر افكاره ، او ليدفع عنها ما قد يحيط بها من اللبس الذى نسجه التاريخ ؟ ومرة اخرى اقول : ما اقل ما كان لهذا الكتاب ، او لمجموعة كتب سيف الدولة ، وكتب نديم البيطار ، التى يتكرر طبعها ، باستمرار ، من شان فى الحياة العامة . فكان هذه ايضا لم تكتب قط . وسواء اوجد الاف من الناس يقراون هذا الكتاب او ذاك ، ام لم يوجد من يقرأ البتة فان المهم ان ما يقرأ — ولا سيما الهام جداً — يجب ان يحدث اثرا ما فى بلورة الافكار ، وتعيين الاتجاهات ، وتحديد معالم الطريق ... فاذا لم يحدث هذا الاثر فكان الذى قيل لم يقل قط .

● ● ●

ولكن لماذا كانت الليبرالية «سيئة السمعة» ؟ لا شك ان الليبرالية ترادف الديمقراطية السياسية التى عرفت فى الغرب ايام التوسع الاستعمارى . وبالتالى فقد التصق الاستعمار بالنظام الليبرالى ، واصبح كل واحد منهما صورة للآخر . ولما كان الاستعمار بغيضا فقد اصبحت الليبرالية بغيضة ايضا . ويذكرنى هذا بما كان الغزالى يتحدث عنه فى كتابه المنقذ من الضلال : إن المحجمة التى يوضع فيها العلق المستخدم لامتصاص دم الانسان كدواء لبعض الأمراض ، تثير فى نفوسنا بعض الاشمئزاز ، فلو غسلتها وطهرتها مرات كثيرة ثم ملأتها عسلا صافيا لما استطعت مدافعة القرف القديم الذى ارتبط بتداعي الافكار ، وهذه تماماً هي حال الليبرالية . وكما ارتبطت المحجمة بمنظر العلق ، فكذلك ارتبطت الليبرالية بالاستعمار ، واصبح كل من هذين الطرفين يذكر بالآخر ، حكماً . فلابد إذن من الشعور ببعض القرف ، بشكل طبيعى ، ولو ان المنطق الخالص يفصل بينهما فصلا تاما . فالعسل الذى يوضع فى المحجمة بعد غسلها من اثار العلق ، ليس اقل حلاوة من العسل الذى يوضع فى صحون من الذهب . إلا ان الانسان ليس «عقلا» فقط ، بل هو مجموعة مشاعر اخرى ، لا تمت الى العقل بأدنى صلة . ولابد ان نحسب حساباتنا ، على ان الانسان ، كحيوان عاقل ، ليس كل الانسان ، بل بعضه فقط ، واحيانا الحد الادنى منه ، بالتاكيد .

لكن سببا آخر ساهم فى اثقال الليبرالية بسوء السمعة ، وهذا السبب هو شيوع النزعات الماركسية وافكارها . وحقاً فان الليبرالية كانت تعنى دوماً حرية العمل ، وحرية الكسب ، وحرية التجارة والتبادل ... وكانت تعنى هذه كلها باكثر مما تعنى حرية الراى ... وكما كان يقول ستالين : من هو الذى يستطيع ان يعبر عن رايه فى بلاد البورجوازيين ؟ اوليس هذا وقفاً على الأغنياء دون الفقراء ، وعلى من يملك الصحف ، دون من لا يملكها ، وعلى من يستطيع شراء المطابع ، لا على من لا يستطيع شراءها ؟ وإذن ، فلا شك ان الليبرالية تعنى الفروق بين الطبقات ، والقبول المسبق ،

بهذه الفروق ، واعتبارها أشياء طبيعية وأخلاقية معاً . وماذا تريد لمفهوم ، كالليبرالية ، يقترن بالاستعمار من جهة أولى ، ثم بانقسام الناس الى أقلية غنية مستثمرة ، وأكثرية كبيرة فقيرة ، أقول : ماذا تريد لمفهوم أن يكون أكثر من هذا ، حتى يصبح بغيضا ؟

● ● ●

ومع ذلك فانى أجد الليبرالية الفكرية ضرورة لا مفر منها فى أى نظام اجتماعى معقول ، أو مقبول ، مهما يكن شأن الليبرالية كمفهوم بغيض أو غير بغيض والأحظ أن الليبرالية لم ترافق الاستعمار دوما . إذ أن الثورة الفرنسية ، البورجوازية ، ربما أقرت حرية العمل والتجارة ، ولكنها لم تقرر حرية الرأى ... وظلت هذه معرضة للاضطهاد ، كالشعوب المستعمرة تماماً ، منذ بدء الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ، حتى عام ١٨٧٠ . وطبيعى أن جو الثورة الفرنسية لم يكن يسمح إلا بحرية الرأى لفريق محدود جداً من الناس . وكذلك لا ينتظر أحد أن تكون هذه مقبولة فى عهد نابليون ، ولا عهد لويس الثامن عشر ، أو شارل العاشر ، ويصح هذا حتى فى عهد ملك الفرنسيين لوي فيليب عام ١٨٣٠ ... وأظن أنه من غير المعقول أن يتوقع أحد أن تكون هنالك حرية رأى فى عهد الامبراطور نابليون الثالث . وبالجملة فان أكثر الاستعمار قد تم عندما لم تكن هناك ليبرالية فكرية .

وليس هذا الأمر بصحيح على فرنسا وحدها ، بل هو صحيح على أكثر الدول الغربية المتقدمة ، كألمانيا بسمارك وغليوم الأول والثانى ، أو كملوك هولندا وبلجيكا وايطاليا ... وأنا لا أشك أن كل الاستعمار إنما تم ، عندما تم ، فى عهود الليبرالية الاقتصادية حقاً ، ولكن لا فى عهود الليبرالية الفكرية .

ومن المفارقات الكبرى أن الليبرالية الفكرية التى يفترض حكماً أنها مرافقة أو قرينة لليبرالية الاقتصادية ، دون أن ترافقها فعلا ، هى التى أتاحت ، لدى قيامها واستقرارها ، ظهور الأحزاب والصحف الداعية الى أكبر عدالة اجتماعية . وحتى أولئك الفقراء الذين لم يكونوا قادرين على التعبير عن آرائهم ، صاروا بعد تجمعهم قادرين على ذلك فعلا ، وأصبحت لهم مكاتب ، ودور نشر ، ومجلات تملأ الساحات الفكرية كلها . فكان الليبرالية الفكرية عندما وقفت على قدميها ، لم تقف إلا لتندد بالاستعمار والظلم ، والفروق بين الطبقات ، واللامساواة بين الناس ، بل لم يعرف هذه الآثام كلها من يحسن التنديد بها ، إلا فى أيام الليبرالية الفكرية .

واخيراً أصحيح أن النشر كان موقوفاً دوماً على الأغنياء ؟ إن تراثنا وتراث الأمم الأخرى غنى بأسماء العباقرة ، من كل لون . وهؤلاء هم الذين عرفت كتبهم وانتشرت ، قبل المطبعة وبعدها ؟ فهل كان هؤلاء جميعاً أغنياء ؟ ولماذا يعتب مثل أبى العلاء المعرى على أنه أعطى الحكمة دون «الورق» أو المال ؟ إن نشر الأفكار وذيوعها منوط بمستوى العبقرية لا بمستوى الثروة أو الجاه .

● ● ●

لكن الليبرالية الفكرية تجد ما يدعمها وراء هذا كله ، وحتى بدون هذا كله . فلو لم تكن هنالك سلطة وشعب ، وحاكم ومحكوم ، لما كان هنالك أية مشكلة حول الليبرالية ، التى أسميها بشكل أفضل باسم «الحرية الفكرية» . ولكن وجود الحاكم أو السلطة هو الذى ينشىء هذه المشكلة بطبيعة الحال . إذ أن كل سلطة فى الدنيا تميل الى أن تستقر فى الحكم ، دون أية معارضة . وبالتالى فانها محمولة بصورة طبيعية على كم الأفواه ، وكبت الحريات ، وإبطال النقد .

لكن المشكلة هى أن السلطة شىء حى ، وهى مدعوة دوماً لاتخاذ هذا القرار أو ذاك . وقد تكون هذه القرارات صغيرة الشأن ، كتحديد أسعار البضائع المختلفة . ولكنها قد تكون أهم وأعظم ، كاعلان الحرب . وهنالك ما هو وسط بين التافه والمهم . وعلى الدولة أن تتخذ فيه دوماً قراراً أو آخر .

آه ... كم كنت أتمنى أن توجد سلطة معصومة لا ترى إلا الحق ، ولا تقرر إلا الأمثل والأعدل والأنبل ... وعندئذ نستغنى جميعاً عن حرية أفكارنا تجاهها . لكن المشكلة أنه لا يوجد فى الأرض مثل هذه السلطة ... ثم أن قرارات كهـذه تهم الشعـب بالدرجـة الأولى والأخيرة ، ولا تهم السلطة إلا فى الحد الأدنى ... ولقد أصبحنا نستشير الفتاة فى أمر زواجها ، أفلا يجب أن نستشير الشعب فى أخص قضاياه ... أم مازلنا مع هذا الشعب ، كالآباء القدماء فى عصر الحجاب ، يفرضون على بناتهم الزوج دون استشارتهن ؟ وعهدى أن هذا كان مذمة توضع على حساب الرجعية . ومع ذلك فليت الأمر أو الأمور العامة كانت فقط كالزواج القديم ... فتهون المسألة عندئذ ، ونقول : كل زوج يمكن أن يقوم بوظائف الآخر ، أو بوظائفه الأساسية . ولكن ألا نرى أن الأمور العامة أخطر بكثير من قصة الزوج ، وأنه ما كل زوج هنا يقوم بالوظائف نفسها التى يقوم بها الزوج الآخر ؟

وأخيراً فليست السلطة إلا أفراداً قلائل جداً من مجموع الشعب .. ولن تعانى أو لن يعانوا من قراراتهم أو من جرائها إلا الأقل من القليل ، أو لا شىء أبداً ... أما الذى سيعانى ، وسيدفع الثمن ، وتقع على رأسه المغارم ، ويطالب بكل التضحيات ، فهو الشعب كله ، من أطفاله الى رجاله . أفلا نستشير إذن فى قراراتنا هؤلاء الذين سيعانون بالدرجة الأولى من نتائج هذه القرارات؟

إن السلطة ليست معصومة عن الخطأ ، ولا هى مختارة بالضرورة من أرقى العقول وأعظم الكفاءات . أفلا يكون من حق هذه العقول إذن أن يكون لها رأى ما فى صورة الحياة التى يراد لها أن تحياها ؟ أم أنه متى ارتفع الانسان فى السلطة ، فقد ارتفع فى الوقت نفسه ، فى حسن الرأى ؟

د. حافظ الجمالى

نزار قباني



عبد الكريم بن ثابت

شاعر وجودي من فاس

بقلم : عبد الكريم غلاب

عاش عمراً قصيراً عب فيه من الحياة حلوها ومرها . فلم يكن يحفل للحياة كثيراً . كان يعنيه فقط أن يرضى نفسه وضميره ، فى النضال .. أو فى الحب . ولم يكن يهمه أن ينجح هذا الحب . يكفيه أنه يغنى فى الجمال . وأنه عاشق للحياة حتى .. الموت !!

عشرون سنة مرت على وفاة الشاعر المغربى عبد الكريم بن ثابت .

وتعود بي الذاكرة الى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، ونحن يومئذ فى القاهرة نفتح أعيننا على عالم جديد ، العالم الذى ستفرزه الحرب : عالم مشرق ؟ أم هو الظلام الذى رمى بالانسانية الى أتون الحرب سيمد جناحيه من جديد على الآفاق التى أظلمت نفوس الانسانية فيها من جراء الظلم والاستعمار والاستغلال ؟

وكان عبد الكريم بن ثابت من الشبان المغاربة الذين تخرجوا من كلية الآداب بالقاهرة ، وهو مثلهم يتطلع الى حرية بلاده ويعمل مع المجموعة ضمن «رابطة الدفاع عن مراكش» ليحقق لبلاده الحرية التى ينشدها شعبها . ولم يكن يقف من الحرية موقف المتردد ، وهو الشاعر الذى يهيم فى شاطىء النيل يناجى القمر المنير فى سماء القاهرة الصافية ، ولم يكن ينسى حرية بلاده وهو العاشق الولهان الذى يترك حبات قلبه عند معبد الحب فى مصر الجديدة أو أثينا القديمة ...

ومن صميم قلبه الشاعر هتف :

أتراه فى يديا أم ترى فى قدميا
ذلك القيد الذى يضحك منى وعليا
ودموعى كلما أرسلتها من مقلتيا
شرب الدمع ولما يروه دمعى ريا
أين ذاك القيد أين ؟



عبد الكريم بن ثابت

أتراه اليوم عين ؟

ونشرت القصيدة «مجلة الكاتب المصرى» التى كان يصدرها العميد طه حسين ، وتلقفتها مجلة أدبية فرنسية تصدر فى باريس وكتبت عن الشاعر الوجودى المغربى ، والوجودية يومئذ المذهب اللامع بين المذاهب الفلسفية ـ الأدبية فى سماء أوربا . وكانت المجلات الفرنسية تتلقف النماذج الأدبية لهذه المذاهب التى أفرزتها الحرب ، والتجأ زعماؤها اليها يتلمسون فيها حلا للمشاكل الانسانية والفكرية التى عمقتها الحرب ولم تحلها .

تكامل الصورة

لفت الشاعر اليه أنظار قراء الشعر الجيد فى الوطن العربى ، كما لفتت الحركة السياسية والنضالية فى المغرب أنظار المناضلين الى هذا البلد الذى تمرد من جديد يناضل من أجل الحرية ويسعى للاستقلال .

فى المغرب نضال وطنى قومى سياسى .
فى المغرب شعراء ينشدون الشعر الجيد.

تكاملت الصورة فى جزء من بهائها ، ومن خلال هذه الصورة البهية دخل المغرب نادى الوطن العربى متحدياً الارادة الاستعمارية التى كانت تسعى لأن تظل أبواب هذا النادى مقفلة فى وجهه .

وتتالت قصائد الشاعر فى المجلات المصرية ، وبلاده يومئذ لا تملك مجلة يخاطب من خلالها قراءه ، ولكنه كان معروفاً فى المغرب وهو بعد طالب ينشد شعر الحب والجمال فى طابعه الرومانسى الحبيب الى نفس قراء ذلك الزمان .

وظل عبد الكريم بن ثابت يحن الى هذا الأسلوب الرومانسى وهو ينشد شعراً فكرياً فلسفياً مناضلا . القيد الذى

● لم يكن يقف من الحرية
موقف المتردد .. وهو الشاعر الذي
يهيم في شاطئ النيل ومناجاة القمر



● توالت قصائد الشاعر في المجلات
المصرية . ولم تكن بلاده يومئذ
تملك مجلة يخاطب من خلالها قراءه

تساءل عنه فى مطلع القصيدة :
اتراه فى يديا ام ترى فى قدميا
مايزال يعمق البحث عنه . يجول فى الآفاق ليكتشف مكامنه :

هو فى الفكر وقد ران عليه من زمان
قبل ان يوجد إنسي على الأرض وجان
قبل أن نعرف : ما العز وما ثقل الهوان ؟
قبل أن نعرف : من نحن وفى أى مكان ؟
أين ذاك القيد اين ؟
أتراه اليوم عين ؟

فى هذا المقطع — الصورة يتخلص الشاعر من الذات الى الفكر ، الى التاريخ الى ما وراء الانسان .

فى الصورة الأولى يبحث عن آثاره فى يديه ، فى قدميه ، فى سخريته منه ضاحكاً ملتذاً بدموع الشاعر ، بل انه يلتهم دموع الشاعر ولا يرتوى .

الشك هو طابع التعامل مع هذا القيد الذى يملأ الآفاق ، يسلب الحرية من الكون والكائن ، ثم هو لا يبين : هو فى اليدين ؟ فى القدمين ؟ضحكاته الساخرة ترن فى الآفاق ، متعطش لا يرحم حتى دموع الشعراء ، بعيد بمقدار ما هو قريب :

أين ذاك القيد اين ؟
اتراه اليوم عين ؟

تبدأ الصورة بالتساؤل وتنتهى بالتساؤل .

وتلك ماساة الانسانية .

وتبلغ الماساة عمقها حينما يدرك الشاعر انه ليس الضحية الأولى : القيد فى الفكر قبل ان يوجد إنسي على الارض وجان ، قبل ان نفرق بين العز والهوان ، قبل ان نعرف من نحن ؟ وفى اى ارض نعيش ؟ .

ويعمق الشاعر الماساة فيقدم صورة اخرى أكثر روعة :

هو فى الروح التى ما عرفت قط السكينة
هو فيها قبل ان تظهر فى الأرض حزينة
هو فيها قبل ان توضع فى الجسم سجينة
رابض فيها كليث ثائر يحمى عرينه
اين ذاك القيد اين ؟
اتراه اليوم عين ؟

ماساة الحياة وهى تاسر الروح ، فما عرفت بعد ذلك سكينة فى الأرض ، الروح المتمردة فى سجنها الجسمى ، الثائرة ، المرتدة الى حزنها امام طغيان الحياة التى احتوتها كما لو كانت ليثاً غاضبا ثائرا يحمى هذا السجن الكبير . وهى — القيد — مع ذلك تدعو الى التساؤل : اين ... اتراه عين ؟ .

وتنتهى الصورة بالاستسلام ، بانهزام الانسان أمام القيد الأبدى : الحياة ، قيد ثقيل لا حيلة للانسان فى الانعتاق منه . ويستسلم بعد ان بح صوته فى التسال :

اه من سر خفي مبهم مثل الضباب
اه لو يسمعنى اليوم وقد حم المصاب
انا فى الدمع غريق وهو فى الصمت مذاب
بح صوتى وانا أساله بعض الجواب :
أين ذاك القيد أين ؟
أتراه اليوم عين ؟

مجموعة من الصور الفلسفية ، تطبعها شاعرية أصيلة ، يتراوح اسلوبها بين التقرير الذى توحى به الفكرة ، والتصوير الذى يوحى به الفن ، والتساؤل الذى يكشف عن جهل الانسان وعجزه عن أن يكشف أسرار الكون ، والتراوح بين الحديث عن النفس — التجربة — الذى تبدأ به القصيدة : فى يديا .. فى قدميا .. كنت منذ جئت الى الأرض اغنى للجمال ... وينتهى بنفس التجربة : انا فى الدمع غريق .. بح صوتى ، وبينهما يهيم الشاعر فى الكون .. فى النور ... مع الحبيبة وهى تروى اقاصيصها .. فى الفكر .. فى الروح ... وينتهى به المطاف الى السر الخفى الغارق فى الضباب : الضباب الذى توحى به هذه اللازمة الآسية المؤسية التى تنتهى اليها كل صورة فى كل فقرة . لازمة يصطدم بها القارىء اذا كان من الذين يطمعون ان يحل لهم الشاعر أسرار الكون — القيد ...

اتجاه وجودى

.. فى القصيدة اتجاه وجودى يبلوره هذا الاحساس الشاعر بالقلق على كل مقومات الانسان : الفكر ، الروح ، العمل ، الغناء للجمال ، القلق من الشعور بالقيد دون أن يعرف الانسان : أين هو ؟ ما مصدره ؟ هل له وجود محسوس تشهده العين ؟ الشاعر يحس بمسئولية أمام الكون ، امام نفسه ، امام مشاعره ، أمام فكره . ولكن القلق يغمره على مصير هذه المسئولية ، وينتهى به الى الاستسلام كما استسلم الانسان منذ ادرك وفكر وفلسف الحياة ، والتجا اخيراً الى الغيب والى التساؤل : أين ؟ والى اللاجدوى من السؤال .

فى هذا الاطار الفلسفى عاش الشاعر نوعاً من التناقض الذى هو الحياة الحقيقية للانسان المفكر منذ كان الفكر . كان عبد الكريم بن ثابت يلهب ظهر الحياة وهو يسعى فى يومه مناضلا مع المناضلين ، ومفكراً فى قضية بلاده ، وعاملا بقدر ما يستطيع — مع العاملين — ليحققوا لها الحرية فيصطدموا بالقيد . وفى ليله يلجا الى حياة الشاعر ، يقرأ الشعر فى الوجوه الصباح ، فى النجوم ، فى القمر البهى يتلألأ على صفحات مياه النيل الرقراق ، فى الفلك تسلم عنانها للريح الرخاء ، ووراء مقلاعها صوت حنون يغنى وحيداً مع الليل والنهر والقمر والنجوم والسماء ، جائع ، شبعان . لا يدرى ولا يود أن يدرى . ويعود الشاعر الى بيته وفى قرابه أكثر من قصيدة . فى ليله الحافل بالجمال يعيش مع حبيبته تلك التى تركها فى فاس تفصلهما الاف الأميال وسنوات الحرب . مع الجميلة التى أطلت عليه فى سماء الكلية بعينيها الخضراوين ، لونها القمحى ، شعرها الأشقر . واختفت فلم يعرفها بعد مدرج ولا فتحت عينيها

عبدالكريم بن ثابت
شاعر وجودي من فاس

الجميلتين على كتاب . مع بنت «الأكربول» الفاتنة ذات العينين الحافلتين بالعمق ، الوجه الشاحب فى بياضه كانما صبت الحياة فى أجمل تمثال صنعه فنان الشعر السبط الناعم المندفع فى حيويته . ويذكر الليلة الراقصة التى اسفرت عن صباح ... عن الصباح الذى ادرك شهرزاد ... عن الحياة الآسرة . وكان «ليل ... وصباح» عنوان قصيدة أخرى من نفس مستوى «قيد» :

سهرت وكان شعاع القمر
ينام ويحلم فوق الغصون
وبت اشاهد ظل الشجر
كانى اشاهد بعض الظنون
ونام الأنام وحل السهر
لمن أتلفته سبيل الفنون
ومن بات يشكو الأسى والضجر
ومن قاده الحب نحو الفتون
ومن ظل يطلب خير البشر
ومن البسوه رداء الجنون
وناديت يا نفس هل تعلمين
لماذا وكيف اقضي السنين
فباءت بصمت عميق رهيب
وفاضت دموعى وهل تنفع

هكذا يحيي الشاعر حياته بكل أبعادها فى السهر مع شعاع القمر ، مع الآمال والآلام ، مع الحب ، مع الأسى والضجر ، مع العقل والجنون ... ويسأل : لماذا وكيف اقضي السنين ... ؟ فلا مجيب إلا الصمت العميق الرهيب .

صور الحياة

ويطوف خيال الشاعر مع صور الحياة فى جمالها وقبحها فى خيرها وشرها ، فى تناقضاتها وعنف جحودها ويصطدم مع هذه الصورة :

هنالك شيخ وقور جليل
لقد مات - رباه - موت اللئيم
هنالك طفل وديع جميل
يعذب مثل الشقى الأثيم
وحب شريف وقلب يميل
الى الخير يشقى بنار الجحيم
وبغض عنيف وروح ذليل
وضيع يلاقي حظوظ العظيم
حياة قد امتزجت بالعليل
من الحق مثل امتزاج القويم

وناديت يا نفس هل تعلمين
لماذا وكيف اقضي السنين ؟
فباءت بصمت عميق رهيب
وفاضت دموعى وهل تنفع

دفقات قوية من المشاعر الانسانية تملأ خيال الشاعر وهو يقتبس صور الحياة ومفارقاتها وآفاقها البعيدة والقريبة فى الزمان والمكان ، فى

عاش عبد الكريم بن ثابت عمراً قصيراً عب فيه من الحياة حلوها ومرها . ولم يكن يحفل للحياة كثيراً . كان يهمه أن يرضي نفسه وضميره ، فى النضال أو فى الحب ، لا يهمه أن ينجح هذا الحب . فهو عاشق الى الأبد . يغني فى الجمال . تمثل الجمال فى هذا الوجه او ذاك سيان ، تمثل فى الطبيعة ، فى السماء ، فى القمر ، فى النهر ، فى صوت جميل يغني ، فى هزار فريد يغرد ، فى كل مكان عاش فيه يبحث عن سر الجمال لا عن متعة الحياة . يبحث عن سر الجمال فى فاس (مسقط رأسه حيث عاش طفولته وجزءاً من شبابه) فى ضواحيها الجميلة ، بحث عنه فى القاهرة (ملجاه اثناء دراسته ونضاله) فى ضواحيها وشاطىء نيلها وحدائقها وأسمارها ، بحث عنه فى الرباط (مركز عمله لفترة من حياته) بحث عنه فى تونس (حيث عمل فى سفارة المغرب بها بعد الاستقلال) فى ضاحيتها الجميلة سيدى بوسعيد ، فى سواطئها الفاتنة : سوسة ، الحمامات ، موناستير .

كانت اماله فى الحب والحرية أكبر من دنياه وأطول من عمره . واصطدمت آماله فلم يبق له من دنياه غير ما صوره فى قصيدة آسية :

أملى من رماك من عليا
بعدما قد ألفت جو السماء
ما دهانى وقد تضاءلت فى عينى
واصبحت ضيق الأرجاء
ما ارى فيك غير شكل كئيب
مفعم بالشجون والباساء
وعجوزاً أراك حطمها الدهر
تهادى من ضعفها فى انحناء

الشيء الذى كان يؤرق الشاعر هو هذا السجن الكبير ، هذا الوجود المثقل بالآلام والآثام يأسر الروح ويطغى بظلمه على العدل ، ببغضه على الحب ، بظلامه على النور . وكثيراً ما صور هذا الطغيان فى شعره «بائع الذكريات» احدى روائع ديوانه «ديوان الحرية» يحكى فيها قصة شريد يحاول أن يقايض كل ذكرياته فى الحياة بنهر النسيان . القصة - القصيدة تبدأ هكذا :

كان مساء ... وكان برد وهواء
وكان صوت العاصفة يدوى فى الفضاء
وكان صديقى يسير مخيفاً كالشبح



الشاعر بين الرئيس بورقيبة والطيب سليم ممثل تونس فى الأمم المتحدة

منتصبا كأفكار المتشائمين
والظلمة حوله كثيفة كئيبة
توحى الحزن وتبعث الهلع
قابلته صدفة

قال لي ، والدموع تنهمر من عينيه :

النفس والروح ، فى الحياة والجماد ، فى الفناء والخلود ، فى العقل والجنون ، فى الوفاء والجحود ، فى الضياء والظلام ، ويسال اخيراً : لماذا ؟ وكيف اقضي السنين ؟ فلا يجد الرحمة حتى من نفسه بين جنبيه ، تبوء بالصمت العميق الرهيب . ولا يجد بين يديه غير دموع الأسى .. وسرعان ما يسأل : وهل تنفع ؟

ليل داج عاش فيه الشاعر حتى يكاد لا يجد غير اليأس القاتل والدموع التى لا جدوى منها . ولم يكن عبد الكريم بن ثابت من الذين يستسلمون لليأس القاتل فاهتدى . وأنهى القصيدة الرائعة بهذا المقطع :

وبعد زمان ... اطل الصباح
كطفل على مهده يبسم
كعذراء بين مروج البطاح
تتيه وترقص أو تحلم
كثغر الورود كخد الأقاح
على حزن ضاحك ينعم
ونادى المنادى : الكفاح ، الكفاح
وداووا به يأسكم تسلموا
فما من سلام وما من نجاح
بغير الجهاد فلا تسأموا
وناديت يا نفس هل تعلمين
لماذا وكيف اقضي السنين ؟
فقالت : لأجل الخلود الحبيب
تعيش وتخلق ما ينفع
ينير دياجي هذا الأجل
جهاد وحب وصدق الأمل

الشاعر الفيلسوف ضاقت به الحياة وهو يتجول فى أبعادها .

المناضل الفيلسوف ينتصر فى الأخير كما ينتصر الصباح الجميل كطفل ، كوجه عذراء ، كثغر ورود ، كخد أقاح على ظلام ليل عبوس قاتم . ويجد دواء اليأس فى الجهاد والنضال والحب والأمل الصادق.

بحث الشاعر طويلا عن سر الحياة فى دفقات شعرية قوية فكرية وفلسفية . واكتشف الصباح بعد الليل المدلهم . كان صباحه أقوى من ليل الحياة . وكان الاجابة الواضحة عن القيد الذى ظل

● الشيء الذي كان يؤرق الشاعر هو هذا الوجود المثقل بالآلام والآثام والظلام والبغض !



يسال عن اسراره فلم تنكشف له ، لأن عينا لا تراه ولأن أحدا لا يعرف أين ؟

بمثل هذا النغم ظل عبد الكريم بن ثابت يغنى نحواً من عشرين سنة فى عمره القصير غنى لهن جميعاً ... وغنى للحقيقة ينشدها :

ترى أين ولى ؟ وكيف اختفى
أفى مهمه الغاب والظلمات
ومن ذا يغنى وينشد فى
سكون عميق جمال الحياة
ومن ذا الذى تحتويه العيـ
ـون وتاسره تلكم النظرات
يعربد فى الليل مثل الهزا
ر ليقتل فى جوفه السكتات

وغنى لثورة بلاده :

أيها المستبد في عالم غفل
وفى عالم كثير العناء
مر من ها هنا أخوك وقد كان
مخفياً فى قوة ودهاء

اغنية للخلود

غنى للخلود فى قصة اندماجية رائعة . ظن وصحبه انهم قد خرجوا من دنيا الناس :

وجهلنا الأرض والناس وما
بات فوق الأرض من ذل ودون
ورياء وهوان وشقاء
وسموم واحتراب وظنون
ها هنا نحن تخطينا الدنا
وتحدينا المآسي والمنون
حسبنا أن ما يأسرنا
من زمان مات فى أرض السنين
تلكم الأرض وما أشامها
نحن فيها فى قيود وسجون
كلما طافت بنا صورتها
أرعبتنا وكأنا فى جنون
انه سجن كبير قيده
هذه الأعمار بئست والسنون

اتشترى منى ذكرياتى ؟
قلت بكم يا صديقى ؟
قال : بنجمة لامعة وكوب مضيء ينير لي السبيل علّي أعثر على نهر النسيان .

التخلص من القيد

تسير القصة ـ القصيدة هذا المسار يبحث فيها «الشريد» عن نهر النسيان يسال عنه الشيخ العجوز ، والرجل الكالح الوجه ، والجمال الذاوى الذى امتصت السنون بهاءه والصديق رفيق الصبا .. حتى اذا اعياه البحث بدا له بصيص من نور سار فى اثره وهو ينشد عند الهداية :

صاح النور : اتبعنى أيها المسكين
فسأدلك على نهر النسيان
ومضى النور وصاحبي يسيران
وحدهما فى ليلة حافلة بالأحزان
ووسيلتهما ركوب متن الزمان
آه من الزمان ...
آه من الزمان ...

القصة بسيطة يؤكد فيها الشاعر مذهبه فى التخلص من القيد الذى يتخلص منه رغم طول اناة ، من العالم المليء بالآلام ، من الوجود المثقل بالآثام ، ولكنه لا يفر من القيد إلا إليه ... حتى النسيان لا يجد سبيلا اليه إلا الزمان .

عاش الشاعر حياته كما أرادها شاعرا ينشد قصائده ، يكتبها ويعتز بها ثم لا يلبث أن يهملها فى أوراق ممزقة ، فى مجلات مبعثرة عاش للشعر قولا وحياة . عاش للحب ، ولم يرس شراع حبه على شاطىء . تخلى عن كل شيء ، عن الأصدقاء كما كان يهمل كل ما حفلت به حياته حتى اشعاره ، تخلى عن كل شيء ودخل مستشفى عمومياً فى الرباط اثر نوبة كبد ...

بعد بضعة ايام لم تكتمل أسبوعاً كانت إدارة المستشفى تبحث عن أحد من أصدقائه لتخبره انه مات ... فريداً وحيداً من كل من ربط بهم حياته العملية ، حياته الشعرية ، حياته البوهيمية . وظل شعره ينبض بالحياة . بعد أن ودع الحياة .

رحمه الله .

عبد الكريم غلاب

علماء اللغة في رياض الجمال

بقلم : عبد الرزاق البصير

.. ومهما يكن من أمر .. فان الواقع يشهد أن كثيراً من « علماء اللغة » يختلفون مع الرأى القائل إن « علم اللغة » مادة جافة لا يصبر عليهاغير أولئك الذين انصرفت نفوسهم إلى الجد كل الانصراف . وإن هؤلاء الكثيرين يملكون حاسة فنية فريدة ، وإحساساً مرهفا بالجمال . ذلك أنهم لم يقفوا عن حدود الغوص ، والبحث ، والتدقيق فى « علم اللغة » . وإنما حلقوا باجنحة خضراء فى سماوات الشعر . وقالوا اعذب الكلمات .

ربما يتصور الكثيرون أن علماء اللغة ابعد ما يكونون عن الحس الفنى الذى يتصف أصحابه برقة المشاعر ورهافة الأحاسيس ، مما يجعل فى عطائهم رقة وجمالا تستقبلها النفوس كما تستقبل الأسماع أعذب الألحان واشجى الأنغام كما هو الحال فى عطاء الأدباء والشعراء إذ انك تجد فى ثمرهم ما يبهج القلب ويطرب السمع من وصف للجمال ، سواء كان ذلك الجمال نابعا من الطبيعة البشرية او نابعا من الطبيعة الجغرافية كتصوير الوجوه الحسان او رياض الربيع او تموج البحر . وما الى ذلك من منابع الجمال . ويعود سبب هذا التصور الخاطىء الى ان اللغـــة ـ وهي المادة التى ملأت نفوس علماء اللغة عشقا لها وكلفا بها ـ مادة جافة لا يصبر عليهـا إلا من انصرفت نفسه الى الجد كل الانصراف . فترى علماء اللغة يحدثونك عن اللفظة الثلاثية والرباعية والخماسية وعن المصدر الصناعى ومصدر الهيئة وعن اسم الفاعل وعن الاشتقاق وعن كيفية اختلاف مرامى اللفظة حين تكون لازمة او متعدية ببعض حروف الجر . وكمثال على ذلك نأخذ لفظة «ارب» فان أصل لفظة ارب بالكسر والسكون هو الدهاء والبصر بالأمور ، واشتق من هذه اللفظة اسم الاريب وهو المتبصر بالأمور . واذا اضيفت هذه اللفظة بهمزة مضمومة الى الكلب صارت قلادته التى يقاد بها . والأربيان بالكسر ، سمك ، عن ابن دريد وهو اسم معروف لدى عرب الخليج أفصح ، وارب فى الامر بلغ فيه جهده وطاقته وفطن له وارب الرجل اذا احتاج الى الشىء وطلبه . فمن ذلك حديث عائشة ، قالت : كان رسول الله أملككم لأربه اى لحاجته . وارب الدهر اشتد وارب بالشىء ظن به وشح واربت معدته



● كثير من علماء اللغة يملكون حاسة فنية
ونفوساً مقبلة على تصوير الجمال

● لغة القرآن تنمّي في نفوس عاشقيها أنهار الشعر والأدب

● عالم لغوي : قصائده تزيل
الهموم عن القلوب الحزينة

فسدت . فانت ترى ان اللفظة تتغير معانيها حين تضاف الى بعض الاشياء او حين تتعدى ببعض الحروف . وقد ذكر علماء اللغة معانى كثيرة لهذه اللفظة نكتفى بما اوردناه لانه يوضح ما قصدنا اليه من ان العمل باللغة يقتضى الجد والتدقيق وهو امر لا يصبر عليه الا المتخصصون ، مما يجعل دراسة المعاجم ثقيلة على نفوس معظم الناس ، فما بالك بمن ينفق عمره فى العمل بها ؟ . وليس من شك أن علماء المعاجم قد قدموا لهذه الأمة اجل الخدمات ،فلولا انصرافهم الى هذا العمل الشاق لما عرف قدر هذه اللغة وقيمتها ومكانتها .

الحاسة الفنية

ومهما يكن من امر ، فان الواقع يشهد أن كثيراً من علماء اللغة يملكون حاسة فنية ونفوساً مقبلة على الجمال تقدره أعظم التقدير مما ادى بهم الى ان ينطقوا بارق الشعر واعذبه وذلك يشهد بأن لهم نفوسا شاعرة خضراء فانت اذا تاملت تاريخ اكثر علماء اللغة ، تجد فيه عذوبة ترتاح اليه نفسك أعظم الارتياح ، واسطع دليل على ذلك ما نجده فى ترجمة ذلك العالم اللغوى الخليجى محمد بن الحسن المعروف بابن دريد وهو عالم شهد له جميع اصحاب التراجم بانه نادرة من نوادر الدهر ، سرعة فى الحفظ وقوة بالبديهة واثراء للغة . اما ما يدل على قوة ذاكرته فان عمه الحسين ابن دريد رأى مؤدبه يرويه معلقة الحارث ابن حلزة التى اولها (اذنتنا ببينها اسماء) فاراد عمه زيادة تشويقه ليقبل على حفظ هذه القصيدة وذلك بأن يهب له من المال ما يرضيه ، وكان عمه مدعوا على مائدة عند بعض الأعيان ، واقبل صاحبنا ابن دريد على حفظ الشعر واذا به يحفظ الديوان باكمله . وما أن خرج عمه وعلم بذلك حتى امتلأ قلبه سرورا وزاد فى عطيته . وقد بلغ من سعة اطلاعه أنه كان يسابق من يقرأ عليه دواوين شعر العرب وقد بلغ من تفوقه انه كان يقارن بالخليل بن احمد الفراهيدى . اما عطاؤه اللغوى والادبى فقد بلغ عشرين مؤلفا شهد العلماء بقيمة كل مؤلف من مؤلفاته اشهرها مقصورته التى شرحها كثير من العلماء وعارضها كثير من الشعراء وهى تدل على رسوخ قدمه فى اللغة وملكته للشعر . وانت اذا اردت ان تستشهد منها بابيات تاخذك الحيرة لانها كلها من النظم المختار . خذ منها مثلا قوله :

يا دهر ان لم تك عتبى فاتئد
فان اروادك والعتبى سوا
رفه على طالما انضيتنى
واستبق بعض ماء غصن ملتحى
لا تحسبن يا دهر انى جازع
لنكبة تعرقنى عرق المدى
مارست من لوهوت الأفلاك من
جوانب الجو عليه ما اشتكى

وما اعتقد انى فى حاجة الى توضيح ما فى هذه الأبيات من صور ترسم قوة تعبير هذا العالم الفرد فى اللغة وثقته بنفسه ، فان هذه الأبيات واضحة الدلالة والمقصورة تجرى كلها على هذا النسق الرفيع . ومما يحبب هذا العالم اللغوى الى النفس تقديره للموسيقى ، فقد كان يزين منزله بادوات الموسيقى غير مبال بما يكلفه هذا السلوك من نقد المتزمتين الذين يرون أن هذا امر لا يليق بالعلماء .

أشعر العلماء

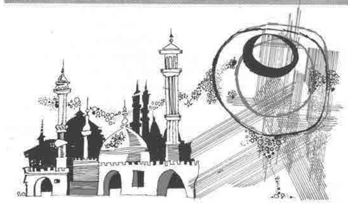
ومما يدل على رقة احساس هذا الأديب الموهوب انفعاله وهو فى طريقه الى عمان بهذا المشهد الشاعرى ، ذلك انه رأى فاختتين تتناجيان تحت شجرة الحب تظللهما نخلتان ، واذا باديبنا ينشد :

اقول لو رقاوين فى فرع نخلة
وقد طفل الامساء أو جنح العصر
وقد بسطت هاتا لتلك جناحها
ومر على هاتيك من هذه النحر
ليهنكما ان لم تراعا بفرقة
وما دب فى تشتيت شملكما الدهر
فلم أر مثلى قطع الشوق قلبه
على انه يحكى قساوته الصخر

وهنا ينبغى ان نتذكر بان اديبنا لم يكن الوحيد الذى شاهد هذا المنظر فقد كان فى قافلة كبيرة قاصدين الى وطنهم العماني ، ولم تتحرك خالجة من نفوس افراد تلك القافلة ، ولعلهم جميعاً لم يلتفتوا الى هذا المشهد المؤثر لأن نفس الشاعر هى التى تتوقف عند مثل هذه الأمور ، كذلك فلنقرأ قوله :

عانقت منه وقد مال النعاس به
والكاس تقسم لطفا بين جلاسى
ريحانة ضمخت بالمسك ناضرة
تمج برد الندى فى حر انفاسي

علماء اللغة
في ريـــاض الجمـــال



وهذه ابيات تدل على ان هذا العالم الأديب يستحق قول من قال بانه أشعر العلمـاء وأعـلم الشعراء .

والحق انى لو طاوعت نفسى لأصبح هذا المقال كله مقصورا على الحديث عن هذا الأديب الموهوب والعالم المتعمق فى اللغة والانساب والذى شاء الله له أن يتنقل من بغداد الى البصرة الى عمان والى بعض جزر الخليج وان يقيم فى كل من هذه الاقطار فترة طويلة ينشر فيها علمه وفضله ويصبح فى كل منها زهرة يتضوع طيبها بين الناس ، غير انى أريد أن انتقل مع القراء الى أفنان أخرى نشات فى نفوس بعض علمائنا اللغويين لأؤكد أن لغة القرآن إذا رسخت فى نفوس العاشقين لها أنمت فيها أنهار الشعر ورياض الأدب فتراهم يعطون العلم حقه والنفس حقها فحياتهم مزاج من العلم والنعيم ، وما الطف مثل هذه الحياة التى تتكون من هذين المزاجين .

اللغوى الطائـر

وحين نصل الى اللغوى المعروف بالجوهرى واسمه اسماعيل بن حماد المتوفى سنة ٣٩٣ هـ ، صاحب كتاب مختار الصحاح ، الذى سار ذكره فى جميع الآفاق ، نجده فى سيرة هذا العالم احداثا تستوقف النظر ، فان جميع مترجميه يقولون عنه بانه كان اماما فى علم اللغة والأدب وانه كان يؤثر السفر ويفضله على الاقامة فى البلاد .. كل ذلك فى طلب علم اللغة .

اتسع خياله حتى تصور له بانه قادر على ان يطير ، فصنع جناحين من خشب ، ربطهما بحبل ، وصعد سطح مسجد ، ونادى الناس قائلا ، لقد صنعت مالم اسبق اليه ، وساطير الساعة ، فازدحم أهل نيسابور ينظرون اليه ، فتابط الجناحين ، ونهض بهما ، فخانه اختراعه ، فسقط الى الأرض ، فكان ذلك سبب وفاته .

ولسنا نعرف ما إذا كان هذا العالم اللغوى عرف بخبر عباس بن فرناس الذى توفى قبله بمئة وعشرين سنة ، فان ذلك غير مستبعد .

وعلى اى حال ، فان هذين العالمين كانا أول من توصل خيالهما الى علم الطيران، وحاولا أن يحققا ما حلما به ، لكنهما لم يفلحا ، وذلك لا يغض من شانهما ، فان العلم قد حقق أكثر مما كانا يحلمان به .

وللجوهرى نفثات شعرية مختلفة ، نقتطف منها هذه القطعة الشعرية الجميلة :

يا ضائـع العمـر بالأمانــى
أما تـرى رونـق الزمـان ؟
فقم بنـا يا أخا الملاهـى
نمضى الـى نهـر نشتقـان
لعلنـا نجتنـى سـرورا
حيث جـنى الجنتـين دان
كأننـا والقصـور فيهـا
بحافـتى كوثـر الجنـان
والطير فـوق الغصون تحكـى
بحسـن اصواتهـا الأغانـى
وأرسل الـورق عندليبـا
كالزيـر والبـم والمثـانى
وبركـة حولهـا أناخـت
عشر من الدلـب واثنتـان
فرصتـك اليـوم فاغتنمهـا
فكل وقـت سـواه فـان

موسوعة المفردات العربيـة

وهناك عالم لغوى آخر تفنن فى قول الشعر حتى اصبحت مقطوعاته تزيل الهموم عن القلوب الحزينة ، وذلك هو محمد بن مكرم المعروف بابن منظور مؤلف كتاب « لسان العرب » الذى اصبح المرجع الوحيد لمن يريد أن يتوسع فى معرفة المفردات العربية طيلة ثلاثة قرون من الزمن ، حتى جاء الزبيدى مؤلف كتاب « تاج العروس » ، فاستطاع أن يجعل الناس مستغنين عنه ، لأنه ألم به وبغيره من كتب اللغة .

ولسنا فى مجال المقارنة بين معاجم اللغة ، لأن لذلك مجالا آخر ، ولكننا أردنا أن نؤكد بان كثيرا من علماء اللغة يملكون نفوسا متفتحة للجمال . يقول ابن منظـور :

الناس قد أثمـوا فينا بظنهـم
وصدقـوا بالـذى أدرى وتدرينـا
مـا كان ضرك فـى تصديق قولهـم
بـأن نحـقق ما فينـا يظنونـا
حملـى وحملك ذنبـا واحـدا ثقـة
بالعفـو أجمل من أثم الورى فينـا

ومن شعـره قولـه :

باللـه ان جـزت بـوادى الأراك
وقبلت عيدانـه الخضر فـاك
ابعـث الـى المملوك من بعضـه
فاننى واللـه مـالى سـواك

وفيما أوردناه دلالة ساطعة على أن لغـة القـرآن تزيد فى جمـال النفـوس وفى استنارة العقـول .

عبد الرزاق البصير

أكثر من نافذة مضاءة

إلى مناضلات الشعب الأريتري

م. كجراي

فى لحظة التوهج النازف عبر ساحة النضال
رأيتها كانت هناك شعلة تضيء فى معارك القتال
أغنية تعشقها الرياح فى السفوح والجبال
أروع مما قيل أو يقال
أبدع من قصائد الشعر ومن تألق الخيال
كانت مهاة حلوة تحلم بالفجر وبالحريه
أجمل من حوريه
يلمع فوق خصرها طوق من الرصاص
وفى الذراع الأسمر الصامد بندقيه
وحينما تدفق الرصاص كان وجهها كالهالة النوريه
يضيء فى تألق الملامح الرائعة الثوريه
ولم تعد بطاقة وردية منسيه
سيدتى البتول
تنمرت كالغضب الساحق حين أمطر الرصاص
انطلق الزناد تحت يدها يفتح درب النور والخلاص
كانت هناك تصنع التاريخ بالفداء والجراح
تقتحم الجحيم فى صلابة الصخور فى جسارة الرياح
يا رفقة السلاح
الفجر فوق صدرها وشاح
وهأنا أفتح باب الشعر لا أملك غير نغم
ينساب فى أمسية الذهول
ماذا بوسع الشعر أن يقول
أدعوك يا أميرة السفوح والسهول
يا وردة تعبق فى رمالنا
بالعطر حين تجدب الرياض والحقول
نامى كطفل رائع يحلم بالخضرة فى حدائق البراءه
للنصر فى ربوعنا أكثر من نافذة مضاءه

د. محمد عمارة

مهام جديدة لاجتهاد جديد

امام الاستعمار الجديد .. وشركاته المتعددة الجنسية .. والنمط الاجتماعى الذى تخلقه حضارته الاستهلاكية .. والكيان العنصرى الاستيطانى الذى يحرس مخططاته ... ماذا نصنع ؟ ... وكيف تكون المواجهة ... وهل لدينا من تراثنا الحضارى ما يحدد ملامح «البديل» ؟! ..

لن تجد اليوم ، من علماء الاسلام ، من لا يتحدث عن أهمية الاجتهاد ، وضرورة فتح بابه الذى أغلقه «علماء» عصر الانحطاط ، عندما عاشت امتنا تحت سلطان المماليك وتسلط العثمانيين ، فتوقف الخلق والابداع ، وسادت مقولة : « ما ترك الأولون للآخرين شيئا ؟! » ..

ولن تجد اليوم ، من علماء الاسلام ، من لا يحدثك عن حدود الاجتهاد ، وكيف انه لا اجتهاد مع وجود « النصوص » ، قطعية الثبوت وقطعية الدلالة .. فمع وجود هذه « النصوص » – يقولون – : إنه لا اجتهاد ، هكذا باطلاق وتعميم ! ..

ولن تجد من هؤلاء العلماء إلا من يحدثك عن شروط المجتهد ، من مثل : المعرفة باسرار الكتاب والسنة ، وآيات الاحكام ، والمحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ ، والمطلق والمقيد – فى القرآن الكريم – .. الخ .. الخ .. وقبل ذلك : العلم بعلوم العربية ، التى هى الأدوات والسبل لفقه آيات الكتاب وفهم أحاديث الرسول ، عليه الصلاة والسلام ..

كل ذلك معروف .. ومكرر .. ومشهور !. لكن الحق والأهم – فى قضية



الاجتهاد ـ هو ماوراء هذا المعروف ، والمكرر ، والمشهور ؟! ..

ففى نطاق « الفكر » الاسلامي نجد لدينا عالمين « متميزين » ، لا ترقى علاقاتهما إلى « الاتحاد » ولا تنزل إلى «الفصل» .. نجد :

ا ـ « الدين » ، بما له من « أصول » ، وما لهذه « الأصول » من « فروع » :

وأصول الدين هذه هى « وضع إلهي » نزل بها الوحي من عند الله ، فلا مجال فيها للرأى ولا مكان فيها للاجتهاد ، لأنها « ثوابت » لا يعتريها التطور أو التغير بمرور الزمن أو اختلاف المكان أو تمايز الحضارات أو تغاير الظروف والملابسات

أما « فروع » هذه الأصول وتفصيلاتها .. فهى التى كانت موضوعاً لاجتهاد المجتهدين منذ عصر النبوة وحتى تبلور المذاهب الفقهية فى عالم الاسلام .. والاجتهاد فى هذا الميدان لم يكن « اختراعاً » ولا « إبداعاً » ولا «إضافة» ، وإنما كان « تفريعاً » ، وفروضاً ، وإلحاقاً للفروع بالأصول بواسطة الاستدلال ... ولقد أنجز الاجتهاد الاسلامي ، فى القرون الماضية ، أغلب المهام التى تستدعي الاجتهاد فى هذا الميدان .. بل ووضع الفروض والبدائل التى قد يصعب على الكثيرين تخيلها فى الكثير من المسائل والأوقات !

فالاجتهاد فى « أصول » الدين غير وارد ... والاجتهاد فى « فروعه » غير ملح ولا تستدعيه الضرورات ! .. بل ربما كان ذلك هو السبب الحقيقي في أن « إغلاق باب الاجتهاد » لم يحدث أضرارا كبرى بفكرنا « الديني » ، اللهم إذا نحن استثنينا أضرار تراكم الخرافات والبدع على جوهر قطاع من هذا الفكر « الديني » هذا عن الدين ، أصولا ، وفروعاً ..

ب ـ وغير « الدين » ـ فى نطاق «الفكر» الاسلامي ـ لدينا شئون « الدنيا » :

وهى تلك التى تكتفى فيها الوحي الالهي ـ لحكمة وبقصد ـ بتحديد «المثل العليا» ، والحديث عن « المقاصد والغايات » ، ورسم « الأطر العامة » فى «كليات» تتسم بالمرونة والعموم ...

● اقتصاد الوحي الإسلامي في الحديث عن الغيب والطبيعة والخلق وأصل الكون جعل بالإمكان أن نكون فلاسفة ومؤمنين في نفس الوقت



ولقد كانت للوحي ـ كما قلنا ـ حكمة فى العدول عن التحديد والتفصيل فى شئون « الدنيا » هذه ، فلم يكمل أمورها كما أكمل أمور « الدين » ، وذلك لأن نظم الحياة الدنيا وتشريعات مجتمعاتها وقوانين معيشتها متطورة دائما وأبدا مع تعاقب القرون ، متميزة حتما باختلاف المواطن وتغير الظروف والملابسات ... تلك كانت الحكمة ... ومن ثم كان القصد هو إطلاق العنان للعقل الانساني المسلم كي يبدع ويخلق ويضيف ويجدد ويغير فى نظمه الدنيوية ، دونما قيد يقيده ، اللهم إلا «مصلحة جمهور الأمة» المسترشدة بالتجربة الانسانية ، و « بالكليات » و «المقاصد» و « المثل العليا» «التى جاء بها الوحي » فلسفة « للنظم الدنيوية و «اطرا» لها ، لا « نظما » و « قوانين » تحدد القوالب وتضع التفصيلات ..

هنا ، فى هذا الميدان .. ميدان « دنيا » المسلمين ـ وليس « دينهم » ـ تلح الضرورات كل الالحاح على أهمية «الاجتهاد» ..

فنحن قد تخلفنا لعوامل ذاتية وأخرى خارجية .. ما هي تلك العوامل ؟ .. لابد ، كي نجيب ، من « الاجتهاد » ! ..

ونحن أمة مستهدفة من أعداء كثيرين وعلى مر العصور ، ولذلك نواجه اليوم بتحديات كثيرة ، عسكرية واقتصادية وفكرية ، وتشرذم اقليمي ، وهى جميعاً تصب فى تحد حضاري يهددنا بالسحق القومي وبتحويلنا الى هامش لحضارة الأعداء ... فكيف السبيل لمواجهة هذه التحديات ؟ .. لابد ، كي نجيب ، من «الاجتهاد» ! ..

ونحن أمة ذات تراث حضارى غنى وعريق .. وهذا التراث ، بحكم أنه ابداع تيارات فكرية متعددة ، بل ومتناقضة ، يبعث الحيرة عند قطاع من المعاصرين ، ويصيب الكثيرين بالكثير من التمزق ، وذلك بدلا من أن يوحد جمهور الأمة ويشحن شبابها بالكبرياء المشروع ! فمنا من يرى« سلفه الصالح » فى « علماء » عصر « الحواشى » و «التعليقات» و «الهوامش» و « المحسنات البديعية » وحكاكات الألفاظ ، عندما توقف الخلق والابداع .. بل ويرى فى هذه الآثار الهابطة « دينا » يتقدس عن « النظر والرأى والاجتهاد » ! ..

ومنا من يرى فى « التعبد بالنصوص» النهج الآمن والمفيد ، فيغض من شأن العقل مكتفيا بالنقل والمأثورات ، حتى عندما تتهافت ، أمام العقل ، مضامين هذه المأثورات ! ..

ومنا من يرى فى شروح فلاسفتنا على الفكر اليونانى وتعليقاتهم على مقولات فلاسفة اليونان الابداع الحقيقي فى تراثنا ، فيدعون إلى مواصلة هذا المسعى وإكمال هذا الطريق ! ..

ومنا من يرى لحضارتنا طابعاً « وسطياً » متميزا ، وازنت به بين الأقطاب ، وألفت فيه بين ما عد فى حضارات أخرى متناقضات لا سبيل إلى الجمع بينها ، فضلا عن التوفيق .. موازنة بين « العقل » وبين « النقل » .. بين « الدين » وبين « الدنيا » .. بين «الدنيا» وبين «الآخرة» .. بين « الحكمة » وبين « الشريعة » .. بين « الفرد » وبين « المجموع » .. حتى لقد تدينت فيها الفلسفة كما تفلسف الدين ؟! .. وعز فيها وجود تيار إلحادي تاريخي ـ كما حدث فى الحضارة اليونانية وامتدادها الأوربي الحديث ـ لا لقصور فى أفق فلاسفتنا ومحدودية فى نطاق حريتهم الفكرية ، وإنما لأن اقتصاد الوحي الاسلامي فى الحديث عن الغيب والطبيعة والخلق وأصل الكون قد جعل بالامكان أن نكون « فلاسفة » و «مؤمنين» فى ذات الوقت .. فرأينا ، فى تراثنا ، من

مهام جديدة لاجتهاد جديد



قالوا بقدم العالم والمادة : مؤمنين ، بل ونساكا زاهدين ، لو أقسموا على الله ، سبحانه ، لأبرلهم الايمان ! ..

فأي صفحات من تراثنا نستلهم ؟ .. واي تيار من تياراته نتخذه « سلفا صالحا » نمد بيننا وبينه الخيوط والاسباب والانساب ؟! .. هنا موطن — بل مواطن — « للاجتهاد » ! ..

فالاجتهاد ، إذن ، يجب أن يخرج ، وأن نخرج به من ذلك الاطار الضيق الذى عرفه تراثنا الفقهى ، والذى لا يزال يفكر فيه دارسو الفقه وقلة من الفقهاء وكثرة من أشباه الفقهاء ! .. فهؤلاء ليسوا وحدهم المطالبون بالاجتهاد ، بل إن المطالب به هم علماء الأمة وأهل الخبرة العالية والمكثفة فيها ، ومن كل المجالات والتخصصات ، لأن ميدانه الحقيقى هو امور الدنيا ونظم معيشتها ونمط حضارة المسلمين ، وليس إلحاق فروع الدين باصولها ، لأن هذه الأصول قد تمت بتمام الوحي ، وتلك الفروع قد أوسعها الأقدمون بحثا واجتهادا ، فلم يبق فى ميدانها للاجتهاد إلا هامش محدد ! ..

● ●

والأمر الذى لا شك فيه أن هذه النظرة للاجتهاد تستدعى إعادة النظر حتى فى تعريفه الذى استقر له فى تراثنا الاسلامي.... فلأن أسلافنا قد حصروه فى نطاق « الفقه » ، الذى هو « علم الفروع » ، قالوا فى تعريفه : « إنه استفراغ الفقيه الواسع ليحصل له ظن بحكم شرعي » .. ووفق هذا التعريف كان ولا يزال باستطاعة من يبذل وسعه لاستخراج الفروع الفقهية من اصولها ، أو رد هذه الفروع الى تلك الأصول أن يسمى نفسه مجتهدا ، حتى ولو كان جاهلا وغافلا عن أمهات المعضلات التى تواجه الأمة فى حضارتها وحياتها الدنيوية ! ..

وعلى سبيل المثال .. فان بعض المذاهب الاسلامية ، التى لم تغلق باب الاجتهاد ، زاخرة باعداد لا باس بها من « المجتهدين » .. ومع ذلك فلم يحدث أن رأينا واحدا من هؤلاء « المجتهدين » يتخذ موقفا نقديا من الأساطير التى يتمحور حولها تراث مذهبه الاعتقادى ؟! فأين « الاجتهاد » هنا ؟! .. وماذا على المجتهد أن يصنع إذا هو لم يجدد حياة الأمة منطلقا من تحرير عقلها وتجديد عقائدها التى طمس تألقها ركام الأساطير ؟! ..

نعم .. قد لا تكون تلك خاصية يتفرد بها هؤلاء « المجتهدون » .. فنحن نشهد فى « العلم الطبيعي » « علماء » أفذاذا فى مجالات تخصصهم ، ومع ذلك نراهم أسرى للخرافات والخزعبلات ! .. وفي الحركة الصهيونية — على سبيل المثال — نجد « علماء » لامعين ، ومع ذلك يتملك عقلهم الايمان باساطير العهد القديم ، بل ويسعون إلى تحويلها إلى قومية ودولة وواقع معاش !! .. هنا غاب المنهج العلمي ، وتخلف التكامل الثقافي ، وتراجع التنسيق بين فروع المعرفة ، فكان لدينا — فى الحقيقة وواقع الأمر — : رجال مهرة ونابغون فى « حرفهم » و «صنائعهم» ، (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) ، ولكنهم لا يرتقون إلى مرتبة «العلماء» المالكين للمنهج العلمي والتصور المتكامل لفروع الثقافة ومجالات العلوم .. وبالمثل ، فان «المجتهد» الذى يقبع في ميدان الفقه — بعد أن انتهت المعارك الحقيقية فى هذا الميدان — لا يمكن أن يكون فارس العصر ، فهو ليس « المجتهد » بالمعنى الحقيقى والمعاصر للاجتهاد ؟ ! ..

فليس « الفقه » — بالمعنى والحدود التقليدية له — هو الميدان الذى يلح علينا كي نفتح الباب للاجتهاد ... وليس طلاب علم الفقه هم أهل الاجتهاد الذين يحتاجهم العصر الذى نعيش فيه .. وليس الفقهاء وأشباه الفقهاء فى بلادنا — وحدهم — هم فرسان ميدان الاجتهاد !

إن أمتنا تقف — حقا لا مبالغة فيه — فى مفترق الطرق :

● أمام الاستعمار الجديد ... وشركاته المتعددة الجنسية .. والنمط الاجتماعي الذى تخلقه حضارته الاستهلاكية .. والكيان العنصرى الاستيطاني الذى يحرس مخططاته ... ماذا نصنع ؟ .. وكيف تكون المواجهة ؟ .. وهل لدينا من تراثنا الحضارى ما يحدد ملامح « البديل » ؟! ..

● وأمام التخلف الحضارى ، وخاصة أسبابه الذاتية والداخلية ، ماذا نحن صانعون كي نفلت من قيوده ؟ .. وماهو النموذج الذى علينا أن نبشر به ونسعى لتسويده ؟ .. وأى عصر من عصورنا الحضارية والتاريخية هو بالنسبة لحاضرنا ومستقبلنا نقطة الانطلاق ، وتربة الجذور ، والأوتاد التى نمد إليها الخيوط ؟؟ ..

● وإذا كانت قضيتنا ، فى الجوهر والأساس ، هى « التخلف » .. فهل يحلها أن نسعى للحاق بالغير ، حتى ولو أصبحنا وإياهم أبناء حضارة واحدة ؟!.. أم أن لأمتنا ، حضاريا ، طابعا متميزا ، الأمر الذى يفرض علينا أن نحارب « التبعية » حربنا « للتخلف » ، بل ربما أكثر ، إذ بدون « الاستقلال » الحقيقى ، وعلى رأس بنوده « التميز » الحضارى ، لن نتجاوز التخلف ، اللهم إلا إذا فقدنا ماهو أعز من « التقدم » فقدنا الهوية والذات ؟!..

فى هذه القضايا ، ومثلها ، يجب الاجتهاد ... وإلى هذه الميادين يجب أن تستنفر الأمة فرسانها المؤهلين للاجتهاد فى هذه الميادين .. فذلك هو الاجتهاد الحق .. وهؤلاء الفرسان هم أولو الأمر ، الذين أوجب الله طاعتهم ، وهم الأئمة الحقيقيون لاجتهاد العصر الذى نعيش فيه .

د. محمد عمارة

بنفسجة الغياب




فوزى العنتيل

ارسلت اليه اساله عن ديوانى «أزل النار فى أبد النور» واحدثه فى شئون الشعر، ولم اكن اتصور ان خطابه الاخير سيجىء مع نبا وفاته، فالى روح الشاعر النبيل فوزى العنتيل، أهدى هذه القصيدة.

أبكيك ؟
أم أبكى الوطن ؟
أبكيك ؟
أم أدع البكا للنيل ..
حتى يسترد فضلة الحزن القديم ..
ويتزنْ ؟!

أبكيك أم أبكى الوطن ؟
أبكيك .. أم أشكوك ؟
أم آتيك أم أرجوك ؟
إنى اليوم لن أرثيك ..
إلا أن تقر بأن سترثينى غداً !!
فدع القصائد تتشّى بالدمع ..
دع شعرى وشعرك يبكيان دماً ..
ودع شعرى وشعرك يذهبان سدى ..
وضع كل «العَروض» معاً ..
وقل :
لله درك يا بنفسجة الشجن

• • •

وصل الخطاب
ووصلت أنت ..
فيالوقت فر من وقت !!
ويالكما ذهاباً فى إياب !
قل لي بربك :
كيف كنت وقد اتى الآتى اليك ــ عليك ؟
.. كيف نضا الإهاب
عن حُر وجهك ..
دون أن ترمى بسهم الشعر طلعته ؟!

لماذا لم تدع لي فرصة حتى أرد عليك
كيد الشعر ؟
أو أدع الدواة ترى خيالك فى الكتاب ؟!

أولم يكّن ما بيننا يكفى لكى يتقهقر الآتى الغريب
وينتحي ؟
أولم يكن هذا الرسول ليستحى ؟!
أولم يكن هذا العتاب .. ؟!!
إن القصيدة حرضتنى ضد موتك
.. والقصيدة أوغرت صدرى عليك
فلم أجرب فيك ماء الحزن
لا وأبيك لم أبك
القصيدة خاصمتنى فيك ..
ويحك ..
لا تظن بى الظنون ، فما بكيتك .. إنما
وتر الرباب
هو ما يئن الآن تحت مناسبات الدمع
.. أو يتلو عليك بقية الرد الذى لم تنتظره
.. ويقتضيك صدى الجواب
ــ ولا جواب !

• • •

إن القصيدة راودتنى منك عنك
.. فما بكيتك ..
بل ضحكت ضحكت حتى كبلتنى الروح
.. ثم شربت حتى أطلقتنى !
لا تظن بى الظنون
.. فليس ما فى الكأس خمر
إنه شعر مذاب
فاشرب الى أن يستتب لك الزمان
.. ويستضيء بك التراب
وقل : التحية للصدى النائى
الوداعُ لصورة المرئى فى الرائى !
وقل :
لا در درك يا بنفسجة الغياب
لا در درك يا بنفسجة الغياب

د. محمد الدسوقي

معنى إنزال القرآن في رمضان

مما لا مراء فيه ولا خلاف عليه أن القرآن الكريم لم ينزل جملة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما نزل منجماً تبعاً للحوادث فى بعض الأحيان، وقد بين الكتاب العزيز سر هذا التنجيم فى ايتين من اياته ، يقول الله تعالى : « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا » (٣٢ ـ الفرقان) ، اى انزلناه مفرقاً ليقوى فؤادك على حفظه وفهمه ، إذ كان النبى امياً لا يعرف القراءة والكتابة ، ومن العسير على مثله ان يحفظ القرآن جملة واحدة .

ويقول الله تعالى أيضاً « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث و نزلناه تنزيلا » (١٠٦ ـ الاسراء) اى انزلناه مفرقاً لتقرأه على الناس على مهل وتؤده ، فيكون ذلك أيسر لحفظ الناس إياه وأعون على فهمهم له ، وعلمهم بما فيه .

وإذا كان القرآن قد نزل مفرقاً طوال عصر البعثة وهو نحو ثلاثة وعشرين عاما ، فما معنى إنزال القرآن في رمضـــان ؟ « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (٨٥ ـ البقرة) .

لقد اختلف المفسرون والفقهاء فى معنى انزال القرآن فى شهر الصيام ، فمنهم من ذهب الى ان القرآن نزل جملة فى رمضان من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا فجعل فى بيت العزة ، ثم انزل على الرسول مفرقاً بعد ذلك ، ومنهم من يفسر نزول القرآن في رمضان بابتداء نزوله ، ويقبل هذا الرأى كثير من المفسرين قديماً وحديثاً .

ويرى بعض المعاصرين أن ما ذهب إليه الفقهاء والمفسرون من تفسير لمعنى إنزال القرآن فى رمضان غير سديد ، لانهم قصروا النزول على المعنى المادى من الانتقال والهبوط ، وليس هذا كل معنى الكلمة ، فقد استعملها القرآن فى حسيات ليس فيها انتقال ولا هبوط ، كقوله : « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » (٢٥ ـ الحديد) ، ولا هبوط فى الحديد ولا انتقال من مكان الى مكان ، وقوله تعالى: « يابني ادم قد انزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم » (٢٦ ـ الأعراف) . وليس يعنى الانزال هنا الانحدار من الأعلى إلى الأرض .

«وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا»

إن من معاني الانزال تقريب الشيء والهداية إليه ، وبهذا يمكن تفسير معنى انزال القرآن فى رمضان بتقريبه الى الناس وهدايتهم إليه وإيناسهم به واقبالهم عليه ، وهذا المعنى ـ وإن كان لا يتناقض او يتعارض مع ما ذهب إليه عامة المفسرين فى الماضى والحاضر ـ يضفى على شهر الصيام معنى روحياً طيباً ، وهو انه شهر القرآن ومدارسته والانتفاع بهديه ، والاغتراف من ينبوعه الذى لا يفيض .

وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من تلاوة القرآن فى رمضان وان جبريل عليه السلام كان يعارضه بما نزل من القرآن فى كل سنة مرة فى رمضان ، وانه عارضه به مرتين فى العام الذى قبض فيه الرسول .

فرمضان شهر القرآن تنزيلا ومراجعة وترتيلا وتدبرا وهداية ، فهو اعظم الشهور على الله ، ذكر اسمه فى كتابه دون سائر الشهور ، فلم يرد فى القرآن اسم شهر سوى رمضان .

إن إنزال القرآن في رمضان إذن يعنى تقريبه الينا حتى يكون لنا نورا فى حياتنا ، نهتدى بهديه ، ونحكمه فيما شجر بيننا ، او فيما يجد من احداث ونواجه من مشكلات لا نحيد عن ذلك ولا نفرط ، وإن نحن فعلنا ما امرنا الله به كانت لنا العزة فى الدنيا والفوز بدار السلام فى الآخرة .

وحين نصت الآية الكريمة على انزال القرآن فى رمضان ، ذكرت أن هذا القرآن « هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » وكان من الممكن استغناء الآية عن هذه العبارة دون ان يتاثر المعنى الذى من أجله نزلت ، وهو بيان ميقات الصوم المفروض على المؤمنين ، ولكن ذكر هذه العبارة ينبه الأذهان إلى أن القرآن لم ينزل لأمة خاصة ، وإن كان بلسان عربي مبين ، فهو هدى للناس ، وكلمة الناس تتسع فى مدلولها لتشمل البشرية كلها منذ بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، كذلك ينبه ذكر هذه العبارة إلى المقصد الأول من إنزال القرآن ، فهذا الكتاب العزيز الذى لا ياتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه قد جاء للناس هداية لهم ، جاء للناس ليعملوا به ، وليكون فرقاناً بين الحق والباطل ، فليس المقصد الأول منه تلاوته فى المحافل وعلى المقابر ، أو حمله على الصدور كالتمائم أو وضعه فى حجرات البيت كلوحة جميلة تزين الجدران .

وهذه العبارة تتضمن معنى ثالثاً تشير إليه ولا تتحدث عنه صراحة ، وقد ورد هذا المعنى فى قوله تعالى : « وبينات

من الهدى والفرقان » أى أن هذا القران الذى هو هداية للناس فيه الدلائل والشواهد التى تفرق بين الحق والباطل، وسبيل الوقوف على هذه الدلائل هو التفكير والنظر العقلى ، فكان تلك العبارة تبين أن الايمان الراسخ والاعتقاد الصحيح الذى لا تنال منه رياح الشك والظنون هو الذى يقوم على دعائم من التدبر والتفكير فى النفس الانسانية ، وفى خلق السموات والأرض، وما أودع الله فيهما من كائنات » وفى انفسكم افلا تبصرون » (٢١ ــ الذاريات)

«إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب » (١٩٠ ــ ال عمران) » قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » (١٠١ ــ يونس)

والآيات القرآنية فى هذا المجال كثيــرة ، وهى تشهد بأن الاسلام دين العقل والتفكير ، وأن على المسلمين أن يتدبروا و يتفكروا ويبحثوا وينظروا ، ليحققوا معنى العبودية الخالصة ، وليحققوا كذلك سيادة كلمة الله فى دنيا الناس بالايمان والعلم والعمل .

إن رمضان فرصة سنوية للطاعات والقربات ، وفرصة ايضا تذكر المسلمين بأن القرآن الكريم كتاب يهدى للتى أقوم، لعل هذه الذكرى تنفعهم فلا يعتصمون بغير كتاب الله ، ولا يتبعون سبيلا سواه فهو وحده السبيل المستقيم » وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » (١٥٣ ــ الأنعام) .

دكتور محمد الدسوقي
جامعة الفاتح

هكذا تكلم جمال الدين الأفغاني

● إن الطبيعة احكم فيك ، فهي تدبر نفسها ومن يترك شيئا عاش بدونه .

● احقر الناس من يطلب موت الناس ليحيا . واعظمهم من يستميت ليحيى ولو واحد من الناس .

● صاحب القلم لا يحتاج الى عصا ..

● ما مات احد فى حب امته ، إلا واحيته .

● لا امة بدون اخلاق ، ولا اخلاق بغير عقيدة ، ولا عقيدة بغير فهم .

● احقر صناعة لنحات ، انفع من تقعر النحاة ..

● من عجز عن اصلاح نفسه ، كيف يكون مصلحا لغيره .

● من تولى زمام امور الجمهور ، لا غنى له عن مرآة وكتاب تاريخ صحيح ، فكما أن المرآة تريه شخصه على علاته ، هكذا التاريخ ينقل اعماله فى حياته .

● الأديب فى الشرق يموت حيا ويحيا ميتا .

● من قال أن الدين يأمر بالعسر دون اليسر وبالضار دون النافع لمجرد التقليد والمألوف فهو كذاب .

● المعوج الظاهر من الناس اقل ضررا من الملتبس بالاستقامة .

● محدث النعمة بالمال يستعرضه فى كل مكان ومحدث النعمة بالعلم يلقيه على كل انسان .

● من الغرائب فى طبائع الانسان انه إذا رضي استحسن القبيح واستسهل الصعب ، وإذا غضب عكس الأمر فيستقبح الحسن ويستصعب السهل ، فلو مزج الانسان ساعة رضاه فى ساعة غضبه لوقع على الهيئة المتوسطة وفاز بالفضيلة .

● كل عناصر الوجود فى هذا العالم الفاني خاضعة للعقل المطلق الانساني ، فكل مستحيل اليوم فى الطب والصناعة سوف يكون غداً ممكنا .

● انصرفنا عن الأخذ بروح القرآن والعمل بمعانيه ومضامينه إلى الاشتغال بالفاظه وإعرابه ، فوقفنا عند بابه ولم نتخط إلى محرابه .

● لو يحاسب الانسان نفسه كما يحاسب غيره ، لقل خطؤه وقرب من الكمال .

● الأعمى من يظن جميع الناس بدون ابصار .

● تبلغ المرأة بضعفها ما لا يبلغه الرجل بقوته .

● هل من حاجة للاتيان بالأدلة وضرب الأمثلة على أن أصغر الأمم ناهضت اعظم الدول وظفرت بحاجتها ونالت حريتها واستقلالها .

● إن هذا « الاستعمار » لغة ، واصطلاحا ، مصدرا واشتقاقا ، لا أراه إلا من قبيل اسماء الأضداد وهو أقرب الى «الخراب» و « التخريب » وإلى « الاسترقاق » و « الاستعباد » منه الى « العمار والعمران والاستعمار » !

إعــــلان

دولـــة قطـــر
وزارة الماليـــة والبـــترول

تعلن ادارة شئون الموظفين بوزارة المالية والبترول بدولة قطر عن حاجتها لشغل الوظائف التالية بادارة الطيران المدنى بوزارة المواصلات والنقل وفقا للشروط التالية :

الوظيفة	المؤهل العلمى والخبرة العملية	الدرجة الحلقة	المرتب الشـــهرى من	الى	الجنسية
١ ــ محاسب	بكالوريوس تجارة شعبة محاسبة مع خبرة مدتها ثلاث سنوات فى مجال المحاسبات الحكومية ولديه المام باللغة الانجليزية .	د٢/ح٣	٢٨٥٠/ــ	٣٢٥٠/ــ ريال	قطرى أو من ابناء الخليج والدول العربية
٢ ــ رئيس شئون الافـــــراد	بكالوريوس تجارة شعبة ادارة أعمـــال	د٤/ح٢	٣٧٥٠/ــ	٤٥٠٠/ــ ريال	قطـــــرى
٣ ــ باحث قانونى	ليسانس حقوق مع خبرة مدتها سنتين فى مجال العمل .	د٤/ح٢	٣٧٥٠/ــ	٤٥٠٠/ــ ريال	قطـــــرى
٤ ــ مسئول متابعة	الشهادة الثانوية العامة او مايعادلها مع خبرة مدتها ثلاث سنوات فى المجالات الادارية بعد الثانوية التجارية او خمس بعد الثانوية العامة .	د١/ح٣	٣٢٥٠/ــ	٣٦٥٠/ــ ريال	قطـــــرى
٥ ــ مشرف خدمات	الشهادة الثانوية التجارية مع خبرة مدتها سنتان اذا كان مؤهله الثانوية العامة .	د٢/ح٣	٢٨٥٠/ــ	٣٢٥٠/ــ ريال	قطـــــرى
٦ ــ سكرتير	الشهادة الثانوية التجارية او الثانوية العامة مع خبرة لمدة سنتين فى مجال العمل بالنسبة للقطرى واربع سنوات في اعمال السكرتارية بعد الثانوية التجارية بالنسبة لابناء الخليج والدول العربية .	د٢/ح٣	٢٨٥٠/ــ	٣٢٥٠/ــ ريال	قطرى أو من ابناء الخليج والدول العربية
٧ ــ طابـــع	الشهادة الثانوية التجارية مع خبرة لا تقل مدتها عن اربع سنوات في اعمال السكرتارية والضرب على الالة الكاتبة وان يجيد اللغة الانجليزية .	د٣/ح٣	٢٤٥٠/ــ	٢٨٥٠/ــ ريال	قطرى أو من ابناء الخليج والدول العربية
٨ ــ كاتب حسابات	الثانوية العامة أو ما يعادلها ويفضل من لديه خبرة فى مجال الحسابات .	د٣/ح٣	٢٤٥٠/ــ	٢٨٥٠/ــ ريال	قطـــــرى
٩ ــ مساعد مراقب عمليات جوية	الثانوية العامة أو ما يعادلها بالاضافة الى دورات فى مجال العمليات الخاصة بالطيران مع خبرة عملية لا لا تقل مدتها عن أربع سنوات فى مجال العمل	د٢/ح٣	٢٨٥٠/ــ	٣٢٥٠/ــ ريال	قطرى أو من ابناء الخليج والدول العربية
١٠ ــ مشرف محطات ارصاد جوية	شهادة رصد من معهد للارصاد الجوية معترف به او ما يعادلها مع خبرة لا تقل مدتها عن سبع سنوات فى	د٢/ح٣	٢٨٥٠/ــ	٣٢٥٠/ــ ريال	قطرى أو من ابناء الخليج والدول العربية

الوظيفة	المؤهل العلمى والخبرة العملية	الدرجة . الحلقة	المرتب الشـــهري من	الى	الجنسية
	مجال الرصد ويفضل من عمل سابقا مشرفا فى احدى محطات الرصد وان يجيد اللغة الانجليزية .				
١١ ـ راصد جوى	شهادة رصد من معهد للارصاد الجوية معترف به أو ما يعادلها مع خبرة لاتقل مدتها عن خمس سنوات في مجال الرصد باحدى محطات الارصاد الجوية أو البحرية.	د٣/ح٣	٢٤٥٠/ـ	٢٨٥٠/ـ ريال	قطرى اومن ابناء الخليج والدول العربية
١٢ ـ كاتب مخازن	الشهادة الاعدادية ويفضل من لديه خبرة فى مجال العمل	د٤/ح٣	٢٠٥٠/ـ	٢٤٥٠/ـ ريال	قطـــــرى
١٣ ـ عامل هاتف	الشهادة الابتدائية أو دورة تدريبية من احد المعاهد وسبق له أن عمل على التلكس وملما بأعمال البدالة .	د٢/ح٤	٢٠٥٠/ـ	٢٤٥٠/ـ ريال	قطـــــرى



يمنح من يقع عليه الاختيار لشغل احدى هذه الوظائف كافة المزايا الملحقة بها كالاجازة الدورية والعلاوة الاجتماعية وعلاوة بدل السكن ومكافاة نهاية الخدمة وذلك كله طبقا للقواعد المقررة بقانون الوظائف العامة المدنيــــة .

تقدم الطلبات خطيا باسم السيد / مدير ادارة شئون الموظفين بوزارة المالية والبترول (قسم التعيينات) ص.ب ٣٦ ـ الدوحة ـ قطـــر خلال ٣٠ يوما من تاريخ نشر هذا الاعلان ، على ان يتضمن الطلب جميع البيانات الخاصة بالطالب كالسن ـ الحالة الاجتماعية ـ المؤهل العلمى والخبرة العملية ـ العمل الحالى والسابق التفاصيل الكاملة عن جواز السفر اربع صور حديثة وصور عن المؤهل العلمى والخبرة معتمدة من السلطات المختصة . يكتب على الظرف الخارجى طلب وظيفة .

حســـان عطـــوان

الاتجاه الواقعي الملتزم في شعر الخليج العربي

في عـــدد سابق .. نشرت « الدوحة » الجزء الأول من هذه الدراسة تحت عنوان « اتجاهات الشعر الخليجى فى مرحلة ما بعد ظهور النفط » . وهذا هو الجزء الثانى والأخير من الدراسة :

أ ـ التيار السياسى الملتزم:

هذا الاتجاه يضم أعمق نماذج الشعر العربى الخليجى : فيه تحس بتجذر الشعر والشاعر الى حد الفناء بالأرض .. وفى قلب كل شاعر سيف .. وفى عينـه تموج رؤى بلا حدود .. ورغم كل شـىء .. تجد نورا ما بين قلوبهم وعيونهم .. ولا أغالى إذا قلت أن التزام الشعراء الخليجيين بالأرض والانسان : يعتبر نموذجا فريدا فى النقاء والوعى ..

يا أيهـــا الخليـج

وكيف انت ازرق على جدار قاعة
السلطان واخضر على خرائط الغزاة
وكيف انت أحمر تضج بالأنين »

وأكاد اعتبر الشاعر (البحرينى) (على عبد الله خليفة) احد اهم الأصوات الشعرية الخليجيةبله العربية .. إنه لا يغادرك قبل أن يودع فى سرك « أمرا » يحلفك أن تأتمنه : إنه الوطن النائم المشرش حتى الكآبة ..

فى هذه المجاهل الموغلة الكابة
مابين هجعة النخيل فى العراء
وامتداد حزن غابه
سأحضن المعزف بعد غيبة طويلة ..

ولأن (عليا) وعى الجرح والمظاهرات الحاشدة فى مارس ١٩٦٥ .. وسقوط الكادحين برصاص الاستعمار .. يكتب ..

قطرات من دمائك صبغت حائط بيت
فى طريق للمدارس
وصدى طلقة نار
سجل الرابع والعشرين صبح
الأربعاء
كان يوما نابضا من شهر مارس
يافعا بين الزحام
عندما اجتاح لظى النيران اشتات
المواكب .
واقفا ظل .. ونادت صرخة المحكوم كلا
ايها الأطفال فى كل زمان
اه ما جدوى حياتى .
اطلع الشمس وإلا .. شمعة أوقد فى
قلب الظلام
صامدا ظل .. وطاشت فى وجل
وهنـــا ،
قبل الأرض طويلا ..
واشتعل ..

إن نضج الرؤية الشعرية الملتزمة سياسيا لدى « على عبد الله خليفة » و « قاسم حداد » و «علوى الهاشمى» تجعل منهم مدرسة متميزة فى الشعر الواقعى الخليجى الملتزم .. فقد صدروا جميعا عن رصد القضايا الوطنية والقومية .. وحللوها تحليلا موضوعيا .. وليرسموا الطريق الأمثل للانسان بعيدا عن (الترهل) و (الدوغماتية) و (التبسيطية)

يكتب (علوى الهاشمى) .. عن الوطن

أعرف انك مثلى .. تصنع من حزنك
ارغفة وتطوف بها كل بيوت الفقراء
تكتب فوق الأبواب الموصدة /
بالجوع وبالنسيـــان /
« قمر الحزن رغيف ابيض »
وتسافر كالريح الثلجية
عبر تجاعيد الصحراء
لكنك ياوطنى / تتالق مثل النجمة /
فى خاطرة الظلمة /
والفرس العربى الكابى مازال على
ساحات الموت . رهين الكبوه ..

هنا .. حيث لا مناص من أن يعترف الشاعر (الهاشمى) .. أن الموت يترصد ويتحين الفرصة فى هذا الوطن ولكن لابد من عناق الأرض بالدم .. فلا سبيل الى اليأس .. فيقول :

وطنى ان أكتب شعرا فيك
يعنى أن أمشى فوق جسور النار
يعنى أن افقد هذى الأرض توازنها
تطأ الأقدام الحافية التيجان
ويصير العالم ميدانا لصهيل الفرس
العربية .
هذا جسدى وردة عشق تتفتح فى
كل مناخات الأرض الدموية
تطلع فى كل فصول الموت الوحشية
تنمو مابين الحافر والحافر
تحت الفرس الكابى .
وتطول على السيف وقامات السيافين

ب ـ التيار الاجتماعى الملتزم :

وشعراء هذا التيار من شعراء الخليج العربى ؛ يصدرون عن وعى شمولى .. واحساس دافق وحار بمعاناة الانسان الخليجى .. ولا سيما وهو يصارع الطبيعة .. ويكابد أهوال البحر : باحثا

محمد الفايز


علي عبد الله خليفة

عن لقمة العيش بشرف وكرامة .
ويمثل هذا التيار الاجتماعى الوطـنى الملتزم ..
(على السبتى) و (محمـد الفايز) .

(فعلي السبتى ١٩٣٥ – ...) يؤكد على حرية المجتمع وامتلاكه لخيراته وثرواته .. ولكن وعيه يتحدد من خلال رؤية شمولية للغد وما سيلاقيه الانسان إذا لم يتحرر، يقول السبتي :

مدينتى كأنها تمثال
ملون مزركش لكنه تمثال
حتى النساء فى مدينتى بلا آمال ..
يبيع يشترى يستأجر الرجال ..
فكل شىء فى مدينتى له ثمن
الجنس والأطفال والسكن

أود يا مدينتى ان اجمع الحجر
وأمر القـدر
فيغسل المدينة التى احبها من البشر
مدينتى متى اراك تزدهين بالبشر ..

ان وضوح (الأسود) و (الأبيض) وما بينهما من تناقض يجعل شعراء هذا التيار الاجتماعى الملتزم .. لا يزيفون الحقيقة .. ويجابهون بصدقهم المطلق ارتكاس الواقع ويرسمون الطريق الإيجابى للخلاص . (فليس المال كل شىء) هذا ما يريدون أن يؤكدوه فى نهوض الواقع وتخطيه لأزماته .. فالانسان هو الأهم (مدينتى متى أراك تزدهين بالبشر) هكذا تؤكد رؤية (السبتى) طريق الخلاص .. ولا ينسى (السبتى) أن يوجه انتقاديته لكل القيم السكونية والتى تآكلت وعفى عليها الزمن .. فهو يريد أن يفك أسر الحياة .. ويحررها .

أما (محمد الفايز ١٩٣٢ – ...) فيقف طويلا أمام معاناة انسان الخليج ومظاهر الطبيعة القاسية .. فهو يكابد الغياب فى المجهول من اجل صدفة : من أجل اللقمة الشريفة ، ولا يفتأ أن يعود منتصرا أو لا يعود .. مخلفاً وراءه الذكريات التى لا يمحوها الزمن ولا كر السنين .. يقول على لسان هذا البحار الجواب ..

اركبت مثلى «البوم» و «السنبوك»
و الشوعي « الكبيـر » ؟!
ارفعت أشرعة أمام الريح
فى الليل الضرير ؟
هل ذقت زادى فى المساء على حصير؟
من نخلة ماتت وما مات العذاب
بقلبى الدامى الكسير
أسمعت صوت «دجاجة» الأعماق
تبحث عن غـذاء ؟
هل طاردتك «اللخمة» السوداء
و « الدول » « العنيـد » ؟
وهل انزويت وراء هاتيك الصخور؟
فى القاع و «الرماى» خلفك كالخفير
يترصد الغواص .. هل ذقت العذاب
مثلى وصارعت العباب .. ؟!!..

هكذا إذ تبدو حياة انسان الخليج فى نظر هذا التيار الشعرى .. إنها محفوفة بالمخاطر يتغشاها الموت فى كل لحظة .. وهو يغوص باحثاً عن الرزق .. ولقد نقول إن هذا المظهر قد تراجع وانحسر الآن بعد الثراء .. – وإن ظل – موجودا فهو فى اطار محدود جدا .. ونرى لدى الفايز وهو يصور « دراما الخطر » شكلا شعريا يعتمد على (القص الشعرى الدرامى) .. فقصيدة البحار .. خير دليل على ذلك الجنس الأدبى .

الاتجاه الرمزى الميثولوجى

وهو اتجاه شعرى أصيل أيضاً فى أصوات شعراء الخليج .. استمد اصوله من حركة الحداثة الشعرية التى بدأها (السياب) و (البياتى) .. وأكدها (عبد الصبور) بعد ذلك .. فنجد معظم شعراء الحداثة .. يحاولون قراءة التاريخ العربى على ضوء نظرة معاصرة .. وهذا ما نجده فى معظم شعر الموجة الحديثة الجديدة .. وتكاد الشاعرة البحرينية (حمده خميس) ترد مثالا حيا على ذلك .. فهى لا تكتفى برصد الظاهرة العيانية .. بل تمزجها بخلفية ميثولوجية .. لاغناء الحدث الشعرى والرؤية الفكرية فى القصيدة .. ولعل الحديث عن الاتجاه الرمزى الميثولوجى فى شعر الخليج يقودنا آليا الى الحديث عن مسببات ودواعى الرمز .. ومحاولات استلهام الميثولوجيا ..

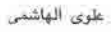
وتحديدا يمكن القول : ان هذا الاتجاه لا يرى الصورة العامة صورة مبسطة ولا ساذجة فهى (فعل مركب) .. يتفجر بالدلالات والرؤى اللانهائية .. والرمز أدعى وادخل فى النفس لأنه يحمل مضامين لا نهائية .. والرمز كأسلوب .. قادر على رصد الواقع والسمو فوقه وتعرية الزيف واماطة القناع عن الخور والجبن والنفاق .. وهذا الشكل الشعرى يحرر الشاعر من وطأة (المباشرة) الفجة الآنية التى تقول على الشىء باسمه ..
تكتب « حمـــدة خميس » عـــن السهروردى يستشرق :

جالس فوق صدرى أراقب حزنى
الذى يشبـه الشمعدان
هاطلا ظله فى ضلوعى /
يدى فوق قــلبى
واسمع فى داخلى موجة الاحتقان
تلوب / كان الجنون سماء فؤادى /
كان الندوب التى فى رمادى
صدى جائع؛ وكانى/ يدى فوق نبضى ،
وأعرف أن السجون ستكسر
وأن الضحايا مرايا بلادى /
وهذى الشظايـا
إذن ايها الرمح جاهر / ولا
توقف القلب عند العذاب
فهذا التراب الصباحى طفل
يزاول لعبته
والغياب البطولى نخل /يوزع
طلع الضحى للتفجر يثمر بحرا وحلما
فوزع غفاءك فى ساعدى
وخذنى
وخذنى ....

وبعـــد

كانت تلك اطلالة عامة على أبرز الاتجاهات الشعرية الخليجية فى مرحلة (مابعد ظهور النفط) .. حملت كل عمق المعاناة .. وحرارة الواقع .. ونبض الحلم الى غد أفضل .. وعسانى أعود لكل شاعر عربى خليجى .. فى دراسات تفصيلية .. ومتعمقة .. فهم يشالون ظاهرة تستحق التأنى والحوار ..

حسان عطوان


علوى الهاشمى



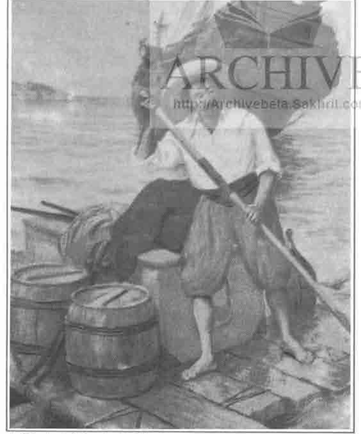
حمدة خميس

التأثير العربي في الأدب العالمي

حي بن يقظان وروبنسون كروزو

يوسف الشاروني

وصف الكاتب الاسباني « منندث بيلايو » فى كتابه « أصول الرواية » حي بنُ يقظان لابن طفيل بأنها أعظم آثار الأدب العربى اصالة وتفرداً ، ورغم ان الرأى الأكثر اعتدالا انها «من أعظم» وليست « أعظم » اذا وضعنا فى اعتبارنا عملا فنيا مثل « رسالة الغفران » لأبي العلاء المعرى وغيرها ، إلا أن هذا القول يدل على مدى ما تحظى به قصة « حي بن يقظان » لابن طفيل من شهرة عالمية وأثرها فيمن جاءوا بعدها . فلا شك ان التشابه شديد مثلا بينها وبين قصة « روبنسون كروزو » لدانيال ديفو (١٦٦٠ ـ ١٧٣١) حتى انه كثيرا ما يثار التساؤل عن مدى العلاقة بينهما .



أحد الاسكتشات المرسومة لقصة روبنسون كروزو

إن اقدم ترجمة لحي بن يقظان إلى الانجليزية هى ترجمة « جورج كيث » عام ١٦٧٤ ترجمها عن الترجمة اللاتينية لادوارد بوكوك والتى كانت قد نشرت قبل ذلك بثلاث سنوات (عام ١٦٧١) . كما ترجمها عن الترجمة اللاتينية ايضا « جورج اشويل » عام ١٨٨٦م ، وظهرت الترجمة الانجليزية الثالثة عام ١٧٠٨م عن المخطوط العربى بالمكتبة البودلية بجامعة اوكسفورد ، قام بها « سيمون اوكلى » استاذ اللغة العربية بجامعة كمبردج . ومعنى هذا أن « ديفو » كان فى الحادية عشرة من عمره عند نشر الترجمة اللاتينية ، وكان فى الرابعة عشرة عندما نشرت الترجمة الانجليزية الاولى ، وكان فى السابعة والعشرين عندما نشرت الترجمة الانجليزية الثانية ، وكان فى الثامنة والاربعين عندما نشرت ترجمة أوكلى فى عام ١٧٠٨ علما بان ديفو نشر روايته عام ١٧١٩م عندما كان فى التاسعة والخمسين من عمره .

دراسة مقارنة

ويعلن الاستاذ حسن محمود فى الجزء الأخير من رسالته (حي بن يقظان وروبنسون كروزو : دراسة مقارنة ، جامعة عين شمس ، مطبوعة على الاستنسل ، ١٩٨٠م) والذى خصصه لبيان اوجه المقارنة بين قصتي حي بن يقظان وروبنسون كروزو أن هذه الترجمات المتوالية لحي بن يقظان الى الانجليزية ـ ومن قبلها الى العبرية واللاتينية ، ومن بعدها الى اللغات الاوربية الأخرى كالألمانية ، والهولندية ، والفرنسية ، والاسبانية ، والروسية .. الخ ، توضح مدى الاهتمام بالدراسات العربية فى الجامعات الانجليزية فى القرن السابع عشر ، وأن هذا الاهتمام كان له اثره الذى لاينكر فى ذيوع قصة « حي بن يقظان » بين قراء الانجليزية .

ويعلن صاحب الرسالة فى شجاعة علمية انه

بالرغم من ان رسالته تفترض صلة تاثير وتاثر بين قصة «حي بن يقظان» لابن طفيل ورواية «روبنسون كروزو» لدانيال ديفو ، الا ان هذه الدراسة لا تدعى ، ولا ينبغى لها ان تدعى ، ان «حي بن يقظان» كانت المثال الوحيد الذى وضعه ديفو نصب عينيه عندما شرع فى كتابة روايته . ثم يستطرد قائلا انه لا يعيب دراسته ان تشير الى مصادر اخرى محتملة ربما كان لها أثر ـ قل او كثر ـ على الفنان ديفو بل ان الامانة العلمية تقتضى مثل هذه الاشارة . (المرجع السابق ، ص ٢٨٦) .

فمن المصادر المحتملة التى امدت « ديفو » بما انتفع به سواء فى القالب القصصي او في الافكار العامة التى ضمنها روايته ، كتب الرحلات التى كانت شائعة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، بل كانت اللون الأدبي المفضل لدى القارىء العادى . ولعل من اهم هذه القصص قصة البحار الاسكتلندى « اليكسندر سيلكيرك » المتوفي عام ١٧٢١م والتى نشرت عام ١٧١٢ اى قبل نشر رواية «روبنسون كروزو» بسبع سنوات . وقصة « سيلكيرك » مدينة فى ذيوعها الى كتاب « رحلة بحرية حول العالم » الذى كتبه القبطان الانجليزى « وودز روجرز » ونشره فى عام ١٧١٢م . وقد كان «سيلكيرك» فى رحلة بحرية مع القبطان « وليام دامبيار » فى ربيع عام ١٧٠٣ . وفى سبتمبر من عام ١٧٠٤م وصلت السفينة التى كانت تقل البحارة الى جزيرة « خوان فيرنانديث » وهناك دب خلاف بين «دامبيار» واحد بحارته كان من نتيجته ابعاد «سيلكيرك» وتركه مهجورا على ارض تلك الجزيرة بعد ان زوده ببعض المؤن والملابس وكتب العبادة ، وقد تعذب « سيلكيرك » فى الأشهر الثمانية الأولى بسبب الوحدة والرعب والحنين . ثم اخذ يتكيف شيئا فشيئا ، فبنى كوخين احدهما للسكن والآخر لاعداد الطعام ، واخذ يتغذى على لحوم الاغنام وانواع النباتات والفواكه ، وتعرض للموت اكثر من مرة . وظل « سيلكيرك » على هذا الحال حتى عام ١٧٠٩م عندما وصلت الى ساحل الجزيرة سفينة تتبع الحملة التى كان يقودها « وليام دامبيار » و «وردز روجرز» . فنقلاه معهما الى البر الانجليزى عام ١٧١١م وروى قصته لووردز روجرز بلغة انجليزية كانت قد صدئت من قلة استعمالها حتى انه لم يفهمه إلا بصعوبة بالغة .

وتلي قصة « سيلكيرك » فى الاهمية قصة القبطان الانجليزى « روبرت فوكس » التى كانت قد نشرت فى كتاب « قصه تاريخية من سيلان » عام ١٦٨١ . وكان « ديفو » على علم تام بها لانه اورد ملخصا لها فى كتابه « الكابتن سنجلتون » الذى صدر عام ١٧٢٠م

كان فوكس ووالده وعدد من الرجال قد نفوا الى جزيرة سيلان ، وفى ظروف الأسر هذه مات عدد منهم كان والد « فوكس » منهم . وبعد تسعة عشر عاما تمكن «فوكس» واحد رفاقه من الهرب فى ظروف محفوفة بالخطر والالتجاء الى احد المستعمرات الهولندية . ورغم ان «فوكس» لم يكن وحيدا بل معه رفاقه فى بلد ماهول إلا ان هناك اكثر من وجه شبه بينه وبين « روبنسون كروزو » . فقد كان على



دانيال ديفو

«فوكس» ان يحل مشكلتى الماوى والملبس . فقد ابتنى عددا من البيوت كما فعل «كروزو» ، وامسك بالماعز واستانس كثيرا منها ، وارتدى ملابس من صنعه هو ، وكان ينفق الكثير من وقته فى القراءة والتامل الدينى ، واورد وصفا للكيفية التى صنع بها اوانى خزفية وسلالا ، بل هناك مزيدا من التماثل فى طبيعة السرد القصصي كطريقة التعبير عن مرور الزمن فضلا عن الشبه فى الاسلوب واللغة .

ومن الكتب المهمة الاخرى التى يفترض انها من مصادر «ديفو» كتاب « رحلة جديدة حول العالم » الذى الفه القبطان الانجليزى المغامر « وليام دامبيار » ونشره عام ١٦٩٧ وظهر الجزءان الاخيران منه عامي ١٧٠٣ ، ١٧٠٩ على التوالى . ومما يعزز مظنه رجوع «ديفو» اليه انه الف كتابا هو ايضا يحمل نفس العنوان « رحلة جديدة حول العالم » نشر عام ١٧٢٤ وضمنه بعض المعلومات التى استقاها من كتاب « دامبيار » وغيره من كتب الاسفار التى كانت تحتويها مكتبته مع ملاحظة ان «ديفو» لم يكن بحارا ولم تقع عيناه على اى من الجزر او الشعوب التى اورد وصفا لها فى كتابه .

ثم ياتى كتاب سيمبليسزموس للكاتب الالماني « جريجلز هاوزن » الذى نشره فى عام ١٩٦٩م ، ويعنينا منه مغامرات البطل الاخيرة عندما تحطمت به سفينته بالقرب من ساحل جزيرة مدغشقر . ان بعض محاولات بطل هذه القصة صنع اوانيه من التراب ، وكذلك قياسه الزمن ، وتصرفات تشبه مثيلاتها فى المحاولات التى قام بها كروزو .

وهناك عدد اخر من الكتب المشابهة والتى تتباين فى التفصيلات لكنها كلها تروى قصص مجموعات او افراد وجدوا انفسهم على جزيرة مهجورة او ماهولة فعاشوا فيها سنوات حتى تم العثور عليهم او الهرب منها .

ويقلل البعض مثل « بول هنتر » من تاثير «ديفو» بمثل هذه الامثلة والتجارب ، ويرى ان «ديفو» كان يتصف بصفتين اساسيتين فهو صحفى وكاتب روايه معا . فهو كصحفى يهتم بالحدث وكروائى يهتم بالجانب الايدولوجى . وبذلك فهو يعنيه من الاحداث ان يعزز بها ايدولوجيته اى موقفه الفكرى والخلقى والدينى . ويضيف هنتر قائلا : ولكي نعرف الدور الذى قام به « ديفو » ينبغى لنا ان نعرف الى اى من الكتب تنتمى رواية «روبنسون كروزو» وذلك لان النهج الذى التزمه «ديفو» املاه عليه الهدف من الكتاب اكثر مما املته عليه كتب الرحلات التى يزيد تعدادها عن خمسمائة ... ولما كانت تلك المعلومات موجودة في الموسوعات والمعاجم فانه يصعب على المرء تحديد اى من هذه المراجع جميعا كان له الأثر الاكثر وضوحا . ويقول ان رواية روبنسون كروزو ليست من ادب الرحلات بل ان لها غاية خلقية ودينية ، وان ذكر المواضيع والناس ليس هدفا من اهدافها ولهذا

يستعرض صاحب الرسالة المفكرين الذين مارسوا تاثيرا ما على الأدب الانجليزى فى القرن السابع عشر والذين اهتم كثير منهم بالحياة البدائية والبدائيين وبالطبيعة ويختم صاحب البحث استعراضه لهذه النقطة من البحث ـ المصادر التى يفترض ان لها تاثيرا فى رواية روبنسون كروزو ـ إلى أن ما دفعه الى ذلك هو الاخذ « بمبدأ الأمانة العلمية وبسط الحقائق كاملة على الرغم مما يحمله هذا البسط من ايجاد نوع من الاحباط فى نفس من يتتبع هذه الدراسة وكله امل فى ان يرى تاثير «حي ابن يقظان» واضحا جليا لا ينازعه فى هذا التاثير منازع .» ثم يستدرك قائلا : اننا لا ننكر ان يكون من هذه المصادر ما قد امد « ديفو » ببعض التفاصيل او الافكار ، ولكن « حي بن يقظان » تبقى العمل الفني الفكري المتكامل الذى يغرى بالتاثر والمحاكاة من دون كل تلك المصادر . » (المرجع السابق ص ٣١٦) .

الفكر الطوبائي

وقصة « حي بن يقظان » تنتمي الى الفكر الطوبائى او الى ظاهرة خلق العوالم المتخيلة ومع ذلك تحتفظ بخاصية متميزة وتلك هى الفردية ، اى انها تعرض صورة مؤثرة لا خاذة لا لمجتمع او مدينة مثالية كما الفنا فى الطوبائيات السابقة ، بل لجزيرة طوبائية يعيش فيها الانسان المثالي بعيدا عن المجتمعات البشرية » ويتفق المؤلف مع العقاد « فى رد ظاهرة نشات الطوبائيات بوجه عام الى ظاهرة القلق والضيق بالدنيا وما فيها بسبب اضطراب الجماعة السياسية وسوء الاوضاع الاقتصادية وانحلال الاخلاق مما يدفع صفوة ممتازة من رجال الفكر لان تتصور عوالم من صنع الخيال تتحقق فيها ما عجزت عن تحقيقه فى واقعها العملي . اما ميزة الفردية التى تختص بها قصة « حي بن يقظان » فيرجع صاحب الرسالة ردها الى سوء ظن طفيل بالناس افرادا او جماعات ويأسه من ان يرى فيهم الخير والصلاح ، فهم ، كما وصفهم فى قصة « حي » لا ينجح فيهم الوعظ ولا تعمل فيهم الكلمة الحسنة ، ولا يزدادون بالجدل إلا اصرارا . واما الحكمة فلا سبيل إليها ، ولا حظ لهم منها ، وقد غمرتهم الجهالة .

حي بن يقظان وروبنسون كروزو

ويستدرك الاستاذ حسن محمود حسن فيعلن أن حياة ابن طفيل الشخصية لم يكن فيها إلا اليسر والنعمة ، وليس ادل على ذلك من صحبته لخليفة الموحدين ، فقد كان يقيم فى القصر عنده اياما ليلا ونهارا لا يظهر «كما يقول المراكشي » احد معاصريه لكن ابن طفيل كان مهموماً بهموم الانسانية . إن طوبائية المتوحد التى تمثلها «حي بن يقظان » تمجد الانسان والعقل معاً وهى تعلي من قيمة الفرد إلى الحد الذى يوصله الى الاكتفاء بالذات وتجعله فى غنى عن حياة الجماعة مادام الجهل يحجب عنها نور الحق والحقيقة . لكن هذا الفرد ينبغى أن يتصف بصفات غير عادية من الحيوية والامتياز بحيث يستطيع التوصل الى السعادة التى لم يستطع الوصول اليها فى ظل حياة اجتماعية وهذا ما اتصف به حي وامتاز . (المرجع السابق ص٣٢٢)

فاذا انتقلنا الى رواية «روبنسون كروزو » وجدنا انها تنتمي الى الأدب الطوبائى ذاته من حيث انها تقدم عالما من صنع الخيال .. وانها مع ذلك تحتفظ بنفس الخاصية المميزة التى انفردت بها قصة «حي بن يقظان » وهى الفردية . ولكن طوبائية روبنسون كروزو اقتصادية تمجد العمل وترى فيه السبيل الأمثل لبقاء الانسان .

ويرى حسن محمود حسن ان تجربة عزل الانسان عن المجتمع البشرى ، وتركه ليحيا حياة عزلة تامة يستطيع فى خلالها انجاز ما لا يمكن انجازه ، على المستويين المادى والروحى ، فيما لو ظل فى مكانه ومكانته بين الناس ، لهي تجربة فريدة وغريبة فى ان واحد . ويرى ان « دانيال ديفو » لم يكن فيلسوفا ولا مفكرا من مفكرى عصره ، فلابد ان يكون قد استلهم قصة « حي بن يقظان » وهو يكتب قصته . ذلك ان تحويل حالة العزلة الى نجاح كان من المتعذر تصوره ، فسيلكيرك نموذج « ديفو » الرئيسى والمنبوذون المشابهون كانوا ينحدرون الى حالة من البدائية التامة فى غضون سنوات قليلة . لقد كانوا يتضاءلون ، بسبب تاثير البيئة والخوف والقلق ، الى مستوى الحيوانات ــ وفى بعض الحالات الموثوق بها كانوا يفقدون القدرة على الكلام ، أو يصابون بالجنون ، او يموتون جوعا . لقد وضع «ديفو» بطل روايته فى جزيرة مهجورة لما يزيد عن ثمانية وعشرين عاما ، ثم أعاده بعد ذلك الى الوطن مكتمل العقل والبدن ، مما يرجح أن تكون قصة «حي بن يقظان» هي المثال الوحيد والنموذج الأمثل الذى حذا حذوه « ديفو » واستلهمه امكانية النجاح .

عزلة البطل

وعزلة البطل مظهر من المظاهر المشتركة بين حي ابن يقظان وروبنسون كروزو . والعزلة ليست مقصودة لذاتها بل لغايات ترجى منها . فابن طفيل كان يحاول اثبات مقولات فكرية عديدة منها : امتياز العقل الانساني .. وقدرة الانسان اللامحدودة او الفردية التى يؤكدها ابن طفيل بالرمز والتلميح . أن حي بن يقظان فى معنى من معانيها ، احتجاج صامت على أن يظل الفرد مجرد لبنه فى بناء اجتماعى يخضع مقهورا لسلطات عدة كسلطة الحاكم وسلطة المجتمع وما يتوارثه من عادات ودين وقيم ، دون ان يكون له راي فى اي منها ، وهو الانسان الذى حباه الله بالعقل ، وبالحواس ، وبالقدرة على الانتفاع باعضائه على احسن وجه .. ولم تكن عزلة روبنسون كروزو كذلك دونما غاية ، فهو عندما حطت به الأمواج على ساحل الجزيرة كان مثقلا بالخطيئة وهى عصيانه والديه ــ لكنه لم يكن على وعي بها ، لذلك كان القصد من عزلته تركيز اهتمامه فى ذاته ، والالتفات الى سيرة حياته بامعان ونظر ، ودفعه الى التساؤل عن السبب فى كل ما حدث ، واظهار الصراع الذى يمر به ، وخصوصا فى مرحلة التحول والهداية .. لم يفت « ديفو » ان يظهر مستويات مختلفة للعلاقات المضطربة بين كروزو والله ، وبينه وبين الطبيعة العاتية ، ثم بينه وبين نفسه . ان نفي كروزو عن عالمه المتحضر الى حيث حطت به الأمواج على شاطىء جزيرة مجهولة ، جعل توبته وعودته الى الله ممكنة .. اما النتائج التى ترتبت على عزلة البطلين فكانت متماثلة تقريبا ، فقد حقق كل منهما نجاحا عظيما على المستويين المادى والروحى .

والجزيرة المهجورة مظهر ثالث من المظاهر المشتركة بين كل من العملين . فجزيرة «حي» ترمز لهذا العالم الذى يسعى الى استكشاف كنهه ومعرفة اسراره ، فضلا عما تمثله الجزيرة المهجورة من بساطة وخلو من كل اثار المدنية . وجزيرة «كروزو» تعنى كل ما تعنيه جزيرة حي مع اختلاف يتمثل فى معرفة « كروزو» بالعالم الأوسع ، وبأن جزيرته جزء من كل ، ومن ثم ظل كروزو يرنو ببصره الى ذلك العالم ويتوق الى العودة إليه .

ولقد ادرك المؤلفان ضرورة توفير الأمن فى الجزيرة لكي لا تتعذر الحياة على بطليهما ، وهو امن متعدد الجوانب : فهى أولا خالية من الوحوش الكاسرة التى تهدد البقاء ، وهى ثانيا : خالية من الأوبئة والأمراض المستوطنة ، فلم يتعرض «حي» طيلة حياته الى أمراض وكذلك « كروزو » باستثناء المرض الذى أصابه وأدى به الى التوبة . وثالثا : فان الجزيرتين عامرتان بالخيرات ، وأرضهما خصبة .

والجزيرة المهجورة تكاد تكون مسرح معظم الحدث ، فان حياة البطلين على ارضها تشغل الحيز الاكبر من القصتين ، حتى ان ما يسبقها من احداث وما يتلوها لا يعدو ان يكون تمهيداً للوصول اليها وتكملة .

ومما يلفت النظر أن مجيء كل من « حي » و «كروزو» الى الجزيرة المهجورة كان قدر كل من البطلين ولم يكن لاى منهما ارادة فيه ، وهو فضلاً عن ذلك عقاب على ارتكاب خطيئة . فى حالة « حي » لم يكن هو مرتكب الخطيئة وان انصب عليه العقاب . فقد وقعت امه فى حب ابن عمها « يقظان » الذى بادلها الحب ولكن أخاها الملك لم يجد من بين كل من تقدموا بطلب يدها من يستحق الظفر بها ، فاتفقت مع ابن عمها على الزواج سرا ، وكان حي ثمرة هذا الزواج . ولما خشي ابواه افتضاح امرهما وضعاه فى صندوق القياه فى اليم فحطت به الأمواج على الجزيرة المهجورة . اما فى حالة كروزو فالخطيئة تتمثل فى معصية الابن للاب ، والخروج على ارادته الى أن تحطمت السفينة قرب ساحل الجزيرة المهجورة ، ووجد « كروزو » نفسه ملقى على صخور شاطئها وقد حل به العقاب الصارم .

لكن هذا العقاب الصارم على قسوته ، لم يكن يقصد به هدم الحياة ، بل تصحيح مسارها . وكانت هذه مهمة العناية الالهية التى لعبت دورا ملحوظا فى كلا القصتين ، فنجاة حي من الغرق عندما القى به ابواه الى اليم ، ورعاية الظبية له فى طفولته ، وخلو الجزيرة من الاخطار التى تتهدد « حي » أو الظبية بالهلاك ، وتدبير سفينة تقل « حي » و «ابسال» الى الجزيرة الماهولة .. كل هذا يدل على مدى دور العناية الالهية فى حياة « حي » . ولم يكن دور تلك العناية فى رواية «روبنسون كروزو » اقل مما هي فى قصة « حي بن يقظان » . وللعناية الالهية اصولها فى كل من الديانتين الاسلامية والمسيحية .

نوعان من المغامرات

وقد كان لحي بن يقظان وروبنسون كروزو نوعان من المغامرات : نوع كان ذا صلة بالبيئة فى الجزيرة وهما يلتمسان اسباب الحياة ويحاولان التغلب على الطبيعة واستئناس ما يمكن من احيائها والتكيف معها ، ونوع اخر كان ذا صبغة عقلية وروحية فى جانب « حي » ، وروحية دينية فى جانب «كروزو» .

ونجد ان مسيرة « حي » بعد صدمته فى موت الظبية ، تبدأ بدءاً جديدة ، إذ يغلب «حي» الطبيعة بقوتيه العقلية والبدنية ، بحيث يصبح سيد الجزيرة دون غيره من الاحياء ، ثم يجد الى الله سبيلا ، وذلك هو حال « كروزو » بعد المرض الذى اشرف فيه على الموت وقاده الى التوبة ، فبعد هذه التوبة لا يستانف « كروزو » الحياة بل يبدأها من جديد ، فلم تعد الجزيرة موحشة مقلقة بل صارت جنة خضراء حتى انه لم تعد به رغبة العودة الى الوطن .. كل هذا وهو يرى في نفسه وكيلا للعناية الالهية .. فتحول بذلك من مجرد منبوذ مهجور الى سيد مهاب له السيطرة على الجزيرة كلها . فالصدمة في القصتين تتمخض عن ميلاد وبعث جديدين ، يضيفان على البطلين ميزات شخصية ، وخصائص فردية ، لم يكن اي منهما يتصف بمثلها من قبل .

وقد مارس كل من البطلين عمليات البناء والزراعة واستخدام النار والانتفاع بالصيد بدرجات متفاوتة وطرق تختلف بعدا اوقربا . ولاشك

ان المعلومات التي اوردها كل من ابن طفيل ودانيال «ديفو» عن نشاة الانسان الاولي كاكتشاف النار والانتفاع بها والاهتداء الى الصيد واتخاذه مصدرا من مصادر الغذاء واستئناس الحيوان للاستفادة به والى الاشتغال بالزراعة ، لا شك ان هذه المعلومات قد استقاها المؤلفان من التاريخ القديم ، وهى معلومات عامة متعارف عليها فى كلا المجتمعين العربي والانجليزي .

ففي القصتين معا تتبع للمراحل التي مر بها الانسان الاول ، وهو في حالة من البدائية ، واستقصاء لتاريخه الحضاري ، وتكون النواة الاولى للمجتمع البشري من التقاء اثنين او اكثر من الناس ، تجمعهما اهداف وغايات مشتركة تواضعا عليها ، واقر الضعيف منهما للاقوى بحق القيادة والتوجيه فنشات عن ذلك اولى مظاهر السلطة .

فقد شاهد « حي » فى ذات يوم رجلا يسير على ارض الجزيرة ، فوقف يتعجب منه مليا . ولم يكن الرجل إلا « ابسال » ، الزاهد المتعبد الذى هجر مجتمعه وجاء يطلب العزلة . ومضى بعض الوقت قبل ان يلتقيا فقد كان كل منهما يخشى صاحبه وينكره . فلما هدات مخاوفهما وتعارفا ، وتعلم حي لغة ابسال ، افضى اليه بما يمر به من تجارب ومعارف ومشاهدات ، وقص عليه ابسال قصته . عند ذلك تالف الرجلان ، واعجب ابسال بحي فالتزم خدمته والاقتداء به .

فاذا عدنا إلى رواية روبنسون كروزو وجدنا البطل فيها يمثل الانسان الاول فى اسلوب معيشته ، ثم تنتهى حياة العزلة وحياة التفرد التى كان يحياها عندما ينقذ « فرايداى » من ايدى قبيلته الذين كانوا قد اتوا الجزيرة ليجعلوا منه طعامهم ، فاصبح تابعه ومؤنس وحدته ليتكون من التقائهما نواة مجتمع صغير تكون السيادة فيه للاقوى وهو «كروزو» .

ومما يلفت النظر ان فكرة التعرى ـ وكل منهما فى جزيرة مهجورة ـ قد استوقفت البطلين فاستنكراها . فالتعرى امر تنكره الاديان السماوية والاعراف الاجتماعية ، لهذا كان منطقيا ان يابى البطلان الخروج على ما لم يشا المؤلفان الخروج عليه رغم ان كلا منهما كان بعيدا عن المجتمع الانساني .

وإذا كان « روبنسون كروزو » قد استمد فكرة ضرورة تغطية جسده من الحياة الحضارية والاجتماعية التى كان يعيشها قبل مجيئه على جزيرته ، فان حي بن يقظان قد استمد الفكرة مما يحيط به من حيوانات وجدها كلها « كاسية بالاوبار والاشعار والريش .. وكان ايضا ينظر الى مخارج الفضول من سائر الحيوان فيراها مستورة .. فكان كل ذلك يكربه ويسوءه . فلما طال همه فى ذلك كله ـ وهو قد قارب سبعة اعوام ـ ويئس من ان يكمل ذلك وما قد اضر به نقصه اتخذ من اوراق الشجر العريضة شيئا جعل بعضه خلفه وبعضه امامه ... الخ » (احمد امين ، حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردى ، مؤسسة الخانجى ، ١٩٥٨ ، ص ٧٣) .

ومما يسترعى الانتباه فى القصتين معا ان حياة البطلين خالية من الجنس ومن مجرد التفكير فيه . ويحاول الاستاذ حسن محمود حسن ان يعلل ذلك بالغاية التى كان يرجو كل من المؤلفين بلوغها . فابن


ابن طفيل

طفيل كان يرجو لحي بن يقظان ان يبلغ ذرى فى المعرفة العقلية والالهية ، وكذلك كان « ديفو » يرجو لروبنسون كروزو ان يثبت قدرة الانسان على مواجهة الطبيعة ويدنو من الله بعد التوبة . وكانت العزلة ضرورية يقتضيها التفرغ لمثل هذه المهام ، والعزلة عن الناس رجالا ونساء ، لذلك كان طبيعيا الا يولى اى من البطلين اهتماما بالجنس وإلا فقد كان على المؤلفين ادخال عنصر نسائى وفى ذلك اخلال ببيئة كل من القصتين وبعد عن الغاية المرجوه .

ومن اوجه الشبه البارز فى القصتين لقاء كل من حي بن يقظان وابسال ، وروبنسون كروزو وفرايداى فكلا البطلين لا يلتقى بصاحبه إلا فى اواخر القصة ، حيث يكون المؤلفان قد استنفذا معظم الاغراض التى ابدعا عمليهما الفنيين من اجلهما ، فياتى اللقاء مكملا ومقررا لبعض الآراء المبثوثة فى ثناياهما . كذلك تجد ان كلا الوافدين الجديدين راودته فكرة الهرب عند التقائه بصاحبه لأول مرة ، فلما لم يتحقق له ذلك استسلم الى الفزع والى الرعب والتردد . وكلا المقيمين ، حي وكروزو ، يجد ان من واجبه طمانة ضيفه ثم تاتى مرحلة تعلم اللغة ، وهى واحدة فى الحالتين ، ثم تبادل المعلومات ، فالالفة وتعزيز الروابط .

الغايـــة الدينيـــة

ثم يبحث صاحب الرسالة عن الغاية التى جاء كل من ابسال وفرايداى الى الجزيرتين من اجلها فيرى ان ابن طفيل اراد ان يتيح للقارىء فرصة الاقتناع بجدية ما سمع وقرا من خبر حي بن يقظان وذلك بان يمكنه من المقارنة بين الشخصيتين على اختلاف نشاتيهما . شخصية « حي » التجريدية وشخصية « ابسال » الواقعية المنتزعة من بيئة اجتماعية . فاذا ما فرغ من تلك المقارنة ، وادرك وجه الحكمة فى اقتداء ابسال بحي ، عظمت شخصية حي عنده . ولا تختلف اسباب « ديفو » كثيرا عن اسباب ابن طفيل علما بان لقاء كروزو بفرايداى لم يتم إلا بعد ثلاثة وعشرين عاما حين كانت تجربة البطل خلالها قد اكتملت وان لقاء « ابسال » بحي كانت بعد ان بلغ « حي » خمسين عاما عاشها كلها على جزيرته المهجورة . وهكذا اتخذ المؤلفان من قدوم الوافدين الجديدين معيارا للحكم على نجاح تجربة العزلة من خلال ما حققته الشخصيتان الرئيسيتان من تطور ، وعلى ما بلغه كل منهما من منزلة دينية رفيعة فى ان واحد .

وانطلاقا من الغاية الدينية التى يسعى كل من «حي بن يقظان و « روبنسون كروزو » إلى بلوغها وتاكيدها نرى ان سعادة الوصول والمشاهدة عند «حي» تزهده فيما عداها ، وان خلاص الروح الذى ظفر به «كروزو» بعد التوبة يجعله يرى السعادة فى العودة الى اللـــه لا فى العودة الى الوطن .

وتلا ذلك ان كلا البطلين قد غادر الجزيرة وعاد الى المجتمع الانساني بعد عزلة طويلة ، لكنهما لم يرغبا فى تلك العودة ولم تطل اقامتها . فحى بن يقظان كان قد ذهب الى الجزيرة الماهولة بصحبة « ابسال » ، وهناك افضى بسره الى الناس وحدثهم عن مشاهداته ، ودعاهم الى نبذ ما هم فيه من اشتغال بالدنيا وانصراف الى الاهواء والشهوات ، وبعد عن الحكمة ، فلما اعرضوا عنه ودعهم وصاحبه ابسال وانفصلا عنهم ، وتلطفا فى العودة الى جزيرتهما حتى يسر الله عز وجل العبور اليها . اما «كروزو» فكان قد وصل الى الوطن ليجد ان معظم اقاربه ممن يعرفهم ويالفهم قد ماتوا . فلبث فترة ولم ترق له الاقامة وعاوده الحنين الى الاسفار . فركب سفينة ابن اخيه وغادر الوطن فى رحلة جديدة وخلالها مر على جزيرته ليتفقدها وليتعرف على احوال خلفائه فيها .

ورغم ان المقارنة بين العملين من ناحية البناء القصصي لا يبدو متعادلا حيث ان « روبنسون كروزو » كتبت فى فترة كان فيها الفن الروائى قد بلغ مرحلة النضج إذا قورنت بحي بن يقظان التى كتبت فى زمن لم يكن قد عرف فيه الفن القصصى بالمعنى الحديث ـ اى الفن القصصى ابن المطبعة .. إلا انهما يتشابهان فى عدة نقاط منها غرابة موضوع كل منهما وهو تجربة العيش المنفرد بعيدا عن الحياة الاجتماعية ، كما ان كليهما من قصص الشخصيات رغم ان الفكر هو العنصر السائد فى كل منهما . و «حي» و «كروزو» شخصيتان متناميتان يؤثر فيهما عامل الزمن فيتطوران بتقدمه ، وفى شخصية كل من البطلين جوانب من شخصية مؤلفيهما . وللقصتين حبكة تتوالى الاحداث بموجبها وفق نظام دقيق . والاسلوب فى كل من القصتين سهل واضح وان اختلفت اسباب كل من المؤلفين : فابن طفيل يسعى الى تقريب الفلسفة من العامة ولهذا لجا الى القالب القصصى وجاءت عبارته رشيقة سهلة ، اما ديفو فقد عمد الى البساطة والوضوح متاثرا ببلغة الصحافة التى اتقنها . وهكذا كانت بساطة الاسلوب عند الكاتبين سببها الاتجاه الى مخاطبة الجمهور العريض وليس صفوة المتخصصين .

إن العرب لم يعرفوا القصة الفلسفية فقط ، بل ان احد فلاسفتهم استطاع ان يرقى بها الى مستوى ادبي رفيع . وكان ذلك حصيلة بيئته الثقافية ـ فلسفية كانت او ادبية ـ مما حقق لها شهرتها واثرها العالميين .

يوسف الشاروني

تأملات إعلامية

الإذاعات العربية في أزمة حقيقية

محمد فتحي

في بداية الربع الثاني من هذا القرن ، ونحن لما نزل صبية حديثي العهد بالمدارس ، بدأنا نعي شيئاً اسمه المجتمع . ربما كان أبعد ما تخرجه الذاكرة من ركام المخزون فيها هو موكب الرؤية .. رؤية هلال رمضان ، شهر الصوم . مشهد عظيم ! تجلجل في مقدمته الطبول الكبار ، محملة مع ضاربها فوق ظهور الجمال .. طبل الجمال كما كان يسمى .. والنقرزان ، وصاجات النحاس الأصفر .. ثم يتبعها نقيب الأشراف ، فوق جواده الأبيض .. ثم حاملو البيارق والأعلام الملونة ، على الجانبين ، من أتباع الطرق الصوفية ، البيومية والرفاعية ولا أذكر ماذا .. ومن بعد هؤلاء تتعاقب مشاهد مبهجة .. عروض لأصحاب الحرف والصناعات ، تفننوا في إبراز حرفهم وما يصنعون .. فهؤلاء المراكبية ـ وكانت عاصمة إقليمنا الدلتاوي ميناء نيليا هاما للغلال والملح والقلل وبلاليص العسل الأسود ـ وضعوا مركبهم الضخم فوق عربة تجرها الخيل .. لم يكن إذ ذاك في عاصمة الإقليم سيارات ! وجسدوا في مركبهم ، ما يمارسون . ومن بعدهم النجارون ، ومن ورائهم البناؤون ، فالحدادون ، فالخيلطون ، فالشربتلية بقدورهم النحاسية البراقة وصاجاتهم الرنانة (الخروب .. العسل الأبيض !) . وهكذا دواليك ! وبين كل حرفة وحرفة ينتثر المشاة من حملة القماقم الفضية الرشيقة يرشون على المتفرجين على جانبي الطريق ماء الورد وماء الزهر ..



عبده الحامولي



محمد عبد الوهاب

مشهد انطبع في الذاكرة ، لا يبرحها ، رغم بعد السنين !

مشهد آخر

وقد يخرج من الذاكرة بعد ذلك مشهد آخر مهيب .. هو الاحتفال بالمولد النبوي الشريف . كان الاحتفال يجري في رحاب المسجد الكبير وسط المدينة ، في ميدانه الضخم . يقيمه على نفقته أحد سراة المدينة ، شهبندر التجار فيها . وتتناقل الأفواه على امتداد المدينة ، وحتى الريف ، الخبر بأن الصييت (نسبة فيما أظن إلى صاحب الصوت الجميل العالي) الذي سوف يحيي ليلة المولد هو الشيخ علي محمود ، أو الشيخ أحمد ندا ، أو من كان في مقامهما من صييتة ذلك الزمان ، طمستهم مع الأسف الذاكرة ، والذين بلغت شهرتهم ، كصوتهم عنان السماء ، لنبوغهم في تلاوة القرآن وإنشاد المدائح النبوية والقصائد الدينية (كان الشيخ محمد رفعت قارئاً معروفاً في ذلك الوقت ولكن نظراً للرقة والدقة في صوته لم يكن يستطيع أن يسمع مثل هذا الجمهور الكبير ، ولم يكن هناك ـ بعد ـ ميكروفون ومكبر للصوت !)

ويتقاطر الأفراد والجماعات ـ بلا دعوة ـ إلى الصيوان الكبير للاحتفال بليلة سيد الخلق ، والاستمتاع بنفحات الصييت الكبير ، وشرب القرفة المسكرة ، يقدمها بنفسه للناس شهبندر التجار ومقيم الحفل على نفقته !

مقدم الصييت الى المدينة الاقليمية كان حدثاً يتحدث به الناس ، ويتناقلون أخباره ، وبدع أدائه ، ويعيشون في نشوة الذكرى حتى العام التالي .

إن كان هذان الحدثان ـ موكب الرؤيا والاحتفال بالمولد ـ من الفن في شيء ، فهذا هو كل ما كان يعرفه المجتمع من الفن . بالطبع كان هناك الطرب . كان هناك « مطرب الملوك والأمراء » محمد عبد الوهاب . وكانت هناك « سلطانة الطرب » منيرة المهدية . ولكن



منيرة المهدية



أم كلثوم

من لعامة الناس بهذه الثريات ؟! كانا بعيدى المنال جداً بالنسبة للجمهور . وكان من سلفاهما أشد بعداً للمتطلع الى منال ! كانت المظ وعبده الحامولي شيئاً يخص الخديوى .. ولعلهما كانا بعض حاشيته ! بل لقد ذهب عبده الحامولي إلى ما فوق الخديوى ! لم يعد تطريبه قصراً على أذن الخديوى ، بل تعداها إلى أذن سلطان آل عثمان وخليفة المسلمين ! غنى بين يديه فى « يلدز » على البسفور فى الأستانة !

هكذا كان الفن

هكذا كان الفن .. لا يعرف عشاً غير بلاط الملوك والأمراء ! الموسيقى والرسم والغناء كلها سواء .. والشعر أيضاً ! كان عندنا حتى عهد غير بعيد منصب « شاعر الملك » تقليداً فيما أظن للبلاط الانجليزى ، وربما لبلاطات أخرى كانت قائمة .

هكذا كان سبيل الفن فى المجتمع ! ثم جاء عصر العلم ، وتطبيقات العلم أو ما يحلو لنا تسميتها بالتكنولوجيا . انقلبت الصورة رأساً على عقب ! ركب الفقراء السيارة .. سيارة الكل ، نعم ! وركب الفقراء الطائرة .. ليست تلك التى كانوا يركبونها فى تخيلاتهم المحبطة .. بساط سليمان ؟! واخترعت الأذاعة ، ودخلت القرية بعد أن ظل البلاط الملكي فى مصر يقاوم دخولها عشر سنوات كاملة !

وهنا نصل — متأخرين قليلا — الى العنوان الذى اثبتناه فى صدر هذا المقال بدخول الاذاعة القرى انتهت إلى الأبد ارستقراطية الفن . مطرب الملوك والأمراء راح يغنى لأصحاب الجلاليب الزرقاء (لماذا تخلى الفلاحون عنها ؟!) والسلطانة اصبحت كوكب الشرق لا تغني لقريتها فقط بل لكافة القرى ، وللخلق في الشرق كله ، لكل من له أذن تسمع ! أصبح الفن مشاعاً للجميع .. للبسطاء والفقراء والمحرومين جميعاً ، لا لأبناء القصور وحدهم !

فى مصر العصرية كان الفن معناه الغناء . التمثيل جاء متأخراً ، والرسم والنحت خطوة أخرى بعد التمثيل . فلما دخلت الاذاعة راحت تقدم للناس أعذب الألحان واشهى الأشعار لتروى عطشهم وطول ظمئهم للفن . ومضت فى ذلك شوطاً بعد شوط . ثم جاء وقت تجاوزت الحدود ؛ وحتى بلغ الأمر اليوم درجة الانفجار ! أهل القرى يسمعون الأغنية الواحدة بانتظام وبلا انقطاع اربعين سنة .. وثلاثين وعشرين ! وليتنا وقفنا عند حد إذاعة الأغانى قائمة بذاتها . بل رحنا بلا داع مشروع فى فن أو غير فن نقحم الغناء فى كل لون من ألوان البرامج ..

عندما نناقش مع الناس فى الشارع قضية ، نلحقها بغناء !

عندما نقدم للناس تمثيلية فيها عظة وعبرة ، نصدرها بغناء !

عندما نشرع فى محو أمية الناس . نعلمهم العلم ، نغنى لهم .. ياأهل بلدى !

عندما نقدم معلومة أو فتفوته من المعرفة ، فى الصباح ، نتبعها !

الخدمات الاذاعية العربية لم تفطن بعد الى ان الغناء لم يعد أداة جذب ، يتحدث عنه الناس !

ولعل الخدمات الاذاعية لم تفطن أيضاً الى عامل حاسم فى هذا المجال .. ذلك هو المتغيرات الجارية فى سوق الترفيه اليوم . أقصد بهذه المتغيرات الثورة الطاغية فى تكنولوجيا الاتصال ، الميكانيكي والاليكتروني .. والاسطوانات والأشرطة والمسجلات والكاسيتات والفيديو ومجسمات الصوت .. ومستحدثات أخرى عديدة تتزايد يوماً بعد يوم ، ويَجُبُّ الجديد منها القديم . لست فى حاجة الى القول بأنها دخلت حياة الناس اليومية ، بل أصبحت لعبتهم .

هذه المتغيرات وحدها سبب كاف لأن تغير الخدمات الاذاعية نهجها تغييراً جذرياً . تسقط الغناء فى برامجها إلى أدنى حد ، مقتصرة على الجديد النموذجي ، وربما أيضاً على العروض التاريخية البليغة للتراث الفني .

تعدد المجالات

واحسب أن المخططين لن يجدوا مشقة فى العثور على البدائل ، فمكتبة التاليف الموسيقي الكلاسي والعصرى عامرة ، وقضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتشريعية لا حصر لها ، وغزوات العلم تلهب الخيال . والمهارات التى يتعين نقلها للناس تيسيراً لشئون معاشهم عديدة ، ومجالات الفكاهة النظيفة المبهجة ما تزال بكراً ، ووقائع المجتمع من شتى الألوان فيض لا ينضب ، ومعالم المجتمع الحضارية والثقافية لم تستوف حقها بعد ، ولم تنم ولم تجد المخطط المدرك ، المهيمن الممسك بالخيوط ، المترجم .

سكوت الناس ليس معناه الرضا ! فوظيفة « الأنس » التى تؤديها الاذاعات بشقيها لاخلاط الناس تعميهم — الى حين — عن التفكر . ومن الحكمة ان نسبقهم ، وإلا فيستكتشفون إن عاجلا وإن آجلا أنهم فى واد ، وخدماتهم الاذاعية في واد آخر .



وقت للشعر ووقت للنضال

قبيل الثورة البرتغالية ـ ١٩٧٤ ـ حازت ماريا تريزا هورتا شهرة واسعة كواحدة من ثلاث كاتبات برتغاليات اخرجن معاً «كتابات برتغالية جديدة» وهو مجموعة أشعار ومقالات وقصص اعتبرتها السلطات فاضحة وخطرة سياسيا، وقامت بمصادرة كل نسخ الكتاب باسم قانون الرقابة على المطبوعات والمؤلفين .. وقدمت ماريا ليزابيل بارنيو ـ الروائية ـ وماريا فاتيما دى كوستا ـ كاتبة المقالات الاجتماعية ـ والشاعرة ماريا تريزا هورتا الى المحاكمة . وقد دافعت الحركة النسوية العالمية عنهن ، وأوفدت زعيماتها الى لشبونة اثناء المحاكمة .. فالماريات الثلاث وان كن من العاملات لتحرير المرأة قد جمعن مواد الكتاب بدافع سياسي ، هو عزمهن على محاربة الديكتاتورية واجهزة قمعها ، وقيامها بمصادرة الكتب والكتاب .. وخاصة النساء بينهم .

ولكن الثورة تفجرت قبل أن تكتمل محاكمتهن ، فخلي سبيلهن تحت القانون الجديد .. وتفرقن بعد أن كان الهدف السياسي وحده يجمعهن ..

وقد تزعمت ماريا الروائية ، وماريا الكاتبة الاجتماعية تكوين حركة تحرير المرأة البرتغالية ، مع عدد من المحاميات والطبيبات ونساء من دروب اخرى فى الحياة العامة ، وكانت القوانين البرتغالية ـ ومازالت ـ تعطى الرجل سيطرة مطلقة على الزوجة والاطفال والممتلكات .. وإذا كانت أوضاع المرأة قد تحسنت بعد الثورة بعد أن منحها الدستور البرتغالى الجديد حقوقا مساوية للرجل ، فان تطبيق وممارسة تلك الحقوق فى رأى السيدة ماريا هورتا ، سيستغرق جيلين على أقل تقدير ، إذ أن نساء الريف مازلن يرزحن تحت ظروف لا تختلف كثيراً عن ظروف القرون الوسطى ، فالاجر المتساوى للعمل المتساوى ، والحقوق المتساوية بين الجنسين ، كلها امور لن تخرج من دائرة المدن والمصانع .. الى الريف .

وقد واصلت ماريا هورتا نضالها منطلقة من مجال الابداع ، فاصدرت أول عمل لها بعد الثورة فى عام ١٩٧٨ .. وهو مجموعة شعرية بعنوان « نساء ابريل » ، قصائد تصور النضال العام للمرأة البرتغالية خلال الثورة . وعملت محررة للملحق الثقافي الأدبى لصحيفة بالعاصمة لشبونه ، ثم كلفت بانشاء وتحرير أول مجلة نسوية برتغالية . وتقوم السيدة هورتا حاليا بكتابة سلسلة من التراجم الشخصية القصيرة لعدد من النساء البرتغاليات البارزات ، ونساء من جنسيات اخرى .. أسمتها : « المرأة .. أختى » كما أنها تخطط لكتابة مؤلف عن العنف ضد المرأة فى البرتغال ، ومع ذلك كله « تجد الوقت لكتابة الشعر ، ولدراسة التحليل النفساني ، والذى ترى أنه يمكن أن يساعد المرأة فى فهم نفسها وفهمه المجتمع ، والأسباب الدافعة لقهر واضطهاد المرأة .. ولكنها ناقمة على التأثير السلبي على المرأة فى أعمال فرويد .

وولي سوينكا



من التبعية الى الأصالة الأفريقية!

ظل نقد الأدب الافريقي لزمن طويل تحت سيطرة النظرة الانجلو امريكية التى لا ترى فى الاعمال الادبية الافريقية سوى امتداد للادب الانجليزى ، ومازالت ترفض الاعتراف بكونه ابداعا منفصلا ومتميزا عن بقية اداب اهل الأرض .

وفى هذا الكتاب الجديد الصادر فى نيجيريا نهض مؤلفوه شينوايزو ، واونولكشيخوا جيمى ، والحشوكوا ، وكلهم عارف بالبؤرة التى تنطلق منها أساليب النقد الأوروبى فى معالجة الادب الافريقى ، الى المبادرة بتعرية وكشف النواقص والسلبيات فى هذا المنطلق النقدى .

والهدف الرئيسى من كتابهم هو المساهمة فى مساعدة الثقافة الافريقية على التحرر من قبضة الغرب ، ولذا وضعوا قائمة بالتهم الاوروبية الموجهة ضد الرواية الافريقية .

فالنقاد الغربيون يزعمون أن الرواية الافريقية تعانى من عدم نضج الوصف فيها ، وبنقص فى رسم الشخصيات ، وبعدم طرح الدوافع ، وبخلوها من التحليل النفسى ، والعمق فى التناول ، وتخمتها بالحوار غير الواقعى ، كما تتهم بعض الروايات بانها قصيرة جدا او خالية من العقدة .

ويرى بعض اولئك النقاد الغربيين ان العمل الافريقى المكتوب باللغة الانجليزية يجب ان يعامل بنفس المعايير التى تطبق على المؤلف الانجليزي .. مما يعني ان النقد الاوروبي للرواية الافريقية ينطلق من اتجاهات استعمارية عرقية لاترى فى الكاتب الافريقى سوى تلميذ ـ خائب ـ للكاتب الأوروبى . ومثل هذه النظرة تغفل الفرق بين الأدب الافريقى والأدب الانجليزى .

إن بعض الكتاب الافارقة قد اعتمدوا على التراث الأوروبى .. هذه حقيقة .. ولذا يهتم الكتاب بدراسة استمرار تأثير التراث الادبى الانجليزى على كتاب نيجيريا اليوم ، ويطالب المؤلفون الثلاثة بتخليص شعبة اللغة الانجليزية بالجامعات من الصورة المؤسسية ، مما يذكرنا بدعوة « جيمس نقوقى » ورفاقه فى كينيا ، واستبدال شعبة اللغة الانجليزية بقسم للغات الافريقية وادابها ، وقسم للأدب المقارن ، وقسم للغات المستعمر .

وقد استقبل هذا الكتاب بعاصفة من الجدل ، واستغرب الناشرون ان يخرج مثل هذا الصوت الذى يذكر باشياء ما كانوا يتصورون ان يفكر بها احد ، وهى ان الاعمال الافريقية يجب ان يتم تناولها كشىء منفصل عن تلك التى يؤلفها السادة الانجليز .. وان القارىء والجمهور الموجهة اليه هما فى افريقيا ، وحيثما كان هناك من هو من اصل افريقى .. وهذا بالضبط ما حاول «جيمس نقوقى» شرحه فى محاضرة القاها فى المركز الافريقى بلندن .

ويمكن اعتبار (نقوقى) وتشنوا اشيبي محظوظين لانهما وجدا ناشرا يحمل افكارهما الى

القراء ، لانه لو كان اوروبى النظرة لفقدت اعمالها البكر مذاقها وتفردها ، والتى يمكن ان تعتبر اليوم اساساً صالحاً لبناء ادب افريقى .

وهناك كثير من الناشرين الذين يدعون الخبرة والدراية بالأدب الافريقى ، فيقومون بنشر اعمال افريقية بعد ان يشوهوها ويقولبوها فى اشكال مجحفة باصولها لكى تتفق مع الافكار الخاطئة التى يديرونها عما هو افريقى . ومثل اولئك لا يأبهون كثيراً باهمية الاسلوب الصافى الواضح للكتابة الافريقية باللغة الانجليزية ، فيقوم محررو دورهم باعادة صياغة النثر البسيط واحالته الى شىء معقد ، غايته ارضاء السوق الأوروبى الذى يقصدون ترويج الكتاب الافريقى فيه .

والامل معقود على أن الكاتب الافريقى سيكتشف قريباً ان كل الجمهور القارىء الذى يريده هو موجود بالفعل فى افريقيا .. وان القارىء الاوروبى يأتى فى المكان الثانى .. كما انه أن للناشر الاوروبى للاعمال الافريقية ان يأخذ فى اعتباره ما يجرى فى افريقيا .

اوجين يونيسكو



دورينمات



جونتر جراس

فريد ريش دورينمات يسخر من معاصريه

بين لوحاته الرائعة الالوان يحيا ، ويرسم ويكتب مشرفا من بيته على السفح السويسري المغطى بالجليد على مدينة نويشيختل . وهو في الستين ، ضخم البنية ، ذو عينين غريبتين خاليتين من التعبير خلف نظارة سميكة . يتحرك في بطء ، ويفرض حضورا فاترا كالغياب . ومع ذلك فقد حقق الكاتب المسرحي السويسري فريدريش دوريتمات اخر نجاح له في يناير الماضي بعمله الأخير «روميلوس العظيم» الذي عرض في مسرح زيورخ ، وصدرت اعماله الكاملة في ثلاثين مجلدا ، ومنحته جامعة نيوشيختل الدكتوراة الفخرية في حفل شرفه الرئيس السويسري.

ولكن بريق نجمه قد خفت شيئا ما بعد سطوع في الخمسينات وأوائل الستينات ، تلك الفترة التي شهدت تألقه عالميا في مسرحيات مثل «الزيارة» و «الفيزيائيون» . ومع ذلك لم يتوقف عن الابداع . فكتب «لوحة كوكب» في عام ١٩٧٠ ، و «رفيق الاسفار» عام ١٩٧٣ ، و «اخر مهلة» ، عام ١٩٧٥/٦ . غير ان واحدا من هذه الاعمال لم يحقق ذلك النوع من النجاح الجارف الذي عرفه في الستينات ، ولعل ذلك — فيما قال صديقه الكاتب هوغو لوتشر في كلمة القاها ليلة إفتتاح مسرحية «روميلوس العظيم» — ليس بسبب الهبوط العام في المسرح والاذاعة في مدينتي زيورخ وبازل ، وانما لان الكاتب قد دخل منطقة جديدة وصعبة حين رفض ان يكرر نفسه ، ومضى يكتب نوعا من المسرح يتعامل مع الفكر بشكل اوثق .

وفي مقابلة اجراها معه الصحفي النمساوي «اندريه مولار» ، انتقد دورينمات وسخر من عدد كبير من معاصريه من امثال «جونتر جراس» و «هنريش بول» ، و «ماكس فريش» و «صامويل بيكت» «يوجين اونيسكو» وتفجر عن ذلك سيل من التعليقات في الصحافة الالمانية . وقد حاول دورينمات فيما بعد ان يوضح الامور .. فالمقابلة وما قاله ما كانتا للنشر ، وكانت في مقهى مزدحم ، ولم يكن دورينمات يدري أن الصحفي يحمل معه جهاز تسجيل . ولان دورينمات لم يناقض ما قاله الصحفي ، فان الاخير قد اصر على ما نشره . وقد يفسر المزاج الحاد الذي انطلقت منه تلك السخرية وذلك النقد بتقلب حالاته المزاجية تبعا لمرض السكر الذي يعاني منه دورينمات .

والرجل في الستين من عمره الآن .. وقد عكف على جمع مادة لكتاب جديد ، جلها عن الحرب العالمية الثالثة — فهو مهووس بقضية العدو .. والتي تغزو كثيرا من اعماله . وهو يحاول أن يجد الاجابة لسؤال كبير : هل يمكن للبشرية أن تحيا دون احساس بوجود عدو يتربص بها ؟ .

وقد أضحى اليوم اقل اهتماما بالمسرح وصارت مسالة الذهاب الى المسرح نوعا من التعذيب بالنسبة له ، وخاصة اذا كانت لمشاهدة مسرحياته . وهو يكره المسرح الحديث الذي يتجبر فيه المخرجون الذين يتركز همهم بالمواضيع اكثر من اهتمامهم بالمسرحيات . ولذا تحول من كتابة المسرحيات وإخراجها الى النثر .. والذي يرى فيه امتدادا للمسرح بشكل ما . وسيصدر قريبا اول كتابين من اصل مادة جمعها على مدى عشر سنوات ليخرجها في ستة مجلدات ، والكتابان عن العلاقة بين الحياة — التجربة — والخيال ، وأثر الخيال على التجربة .. فالكاتب في نظره شخص يتمرد بابتداع عالم نقيض لهذا العالم .

ولا يبدو ان دورينمات قد تأثر بهبوط شعبيته وما زالت هناك مسارح تعني بمسرحياته ، إذ ان فرقة مسرح برلين ستقدم مسرحية «الفيزيائيون» هذا العام ، كما ان المجر تواصل تقديم اعماله .

«لقد درست الفلسفة» يقول دورينمات ، «ولم اتخل عن الموضوع بعد . ومسرحي متجذر في الفكر .. وذلك ما يجعله مسرحا صعبا . » ان المشكلة التي يحس دورينمات انه يعانيها هي انه ليس كاتبا عقائديا مثل «كلوديل» الكاثوليكي او «بريخت» الماركسي .. فهو معزول — كما يقول — لأن مسرحه يقوم على فكر ذاتي .

وهو يرى أن الكاتب المسرحي يقتات من العطف والتفهم اللذين يسبغهما عليه صغار الممثلين والمخرجين . وقد كان ينعم بذلك فيما مضى في زيورخ ، و ميونخ .. لكنه فقده بعد ان مات معظم اصدقائه في المسرح .. وكما يقول : إنني الآن في الستين من عمري ، وتعني محاولة خلق فرقة جديدة لي عملا متواصلا وثقيلا .. ولذلك إخترت كتابة النثر . انني لا احاول إيجاد وجه شبه .. ولكننا نعرف ان بيتهوفن قد عبر عن اعمق قدراته الموسيقية لا في السيمفونيات ، وانما في الرباعيات الأخيرة . »

الأدب الجـاد

● فى حفل اقيم فى يونيو الماضى بلندن لتوزيع جوائز ومنح لشباب الادباء البريطانيين ، قال السير انقوس ويلسون ، الذى كان ضيف شرف الحفل ، انه لاحظ أن كمية الأدب الجاد وباقلام بريطانية المعروض للبيع فى المطارات البريطانية آخذة فى الانخفاض والتقلص بشكل خطير .. بالمقارنة الى الحقبة الماضية . واقترح على جمعية المؤلفين وعلى اتحاد الكتاب القومى والأطراف الاخرى المعنية عقد اجتماع لايجاد سبيل لتمكين زوار البلاد الاجانب لدى وصولهم المملكة المتحدة من الحصول على الكتب الانجليزية الجادة التى تمثل افضل الكتاب المعاصرين .



الشاعر الأردى فايز أحمد فايز

منذ النجاح الفورى لاول مجموعة شعرية نشرت له فى عام ١٩٤١ ، والنجاح المستمر لكل عمل جديد منه ، اقترن اسم الشاعر الباكستانى فايز احمد فايز بالشاعر غالب ، اعظم شعراء الاردية ، والشاعر الفيلسوف المجاهد محمد إقبال . فهو يتفرد بمساهمته الكبيرة فى التراث الشعرى الاردى بجمعه بين غنائية «غالب» الصافية والمضمون الاجتماعى والسياسى لاقبال .

وقد اشتهر خارج شبه القارة الهندى بانه شاعر (ملتزم) قضايا العدالة الاجتماعية وجانب الفقراء والمستضعفين فى الارض .. وقضايا الحرية والسلام العالميين ، وأنه ظل عنيداً فى نضاله فى سبيل هذه القضايا رغم كل ما مرت به شبه القارة ، وما تكبده من الأيام .

وقد اقامت جبهة التحرير الفلسطينية احتفالا فى بيروت بمناسبة بلوغه السبعين ، كما احتفل به اصدقاؤه فى لندن ، واقام الكتاب السوفييت احتفالا رسميا به فى العاصمة السوفييتية .

ولد فايز بمدينة سيالكوت الصغيرة بالبنجاب عام ١٩١١ .. وقد انجبت نفس المدينة الشاعر العظيم إقبال .. وقد اثرت على حياته جملة اشياء فرضها الزمن وظروفه اكثر مما اختارها فايز بمحض حريته . ففى عام ١٩٤١ استدعى على عجل الى الخدمة العسكرية فى الجيش البريطانى فى دلهى ، فترك عمله كمحاضر فى لاهور . وكانت المسالة بالنسبة له ضرورة عسكرية اكثر منها ولاء للامبراطورية . وكان يدرك أن تشجيع البريطانيين للشعور القومى الهندى فى الجيش ما كان إلا لخدمة اغراضهم فنظر الى مسالة الولاء على اعتبار عدم جدوى استبدال سيد باخر .. خاصة وهو يرى ان قضية الحرية يمكن خدمتها بشكل افضل بالدفاع عن الوطن وإن كان مستعمرة بريطانية . وقد لامه كثيرون انذاك على اختياره جانب الحلفاء .. فرد بان خدمة الحرية افضل من اتباع الايدولوجية بشكل أعمى .. إذ الولاء عنده هو التجربة التى يلتزم بها المرء ، وما الايدولوجية سوى جزء وبعض من تلك التجربة .. وإن الحكومات لا يمكن تتطلب الولاء إلا من موظفيها ، والكاتب ليس واحداً منهم ، وإن كان الكاتب منتقد مجتمعه فهو مع ذلك جزء منه ، وعليه نفس المسئوليات كأى مواطن آخر فى أن يسعى للحرية والحقوق الانسانية والعدالة . وذلك لا يعنى الانكباب على تنفيذ برامج او الانخراط فى الاحزاب او فى العقائدية . إن الكتابة ، كما يرى فايز يجب أن تتعالى على الحدود الضيقة لكل هذه الاشياء ، وأن تظل أمينة ومخلصة لقيمها الأساسية .. والتى هى بالنسبة لفايز :الانسانية والحرية .

فى عام ١٩٤٧ نالت شبه القارة الهندية حريتها ، والتى جاءت بمشاكل جديدة واخفاقات جديدة ، وخيبت امالا كثيرة . وعاد فايز الى وطنه الجديد فى دولة الباكستان ، وصار محرراً لصحيفة التايمز بها . ولان كل اشكال الكتابة هى بالضرورة دعائية ، كما قال ، لم يكن بنفسه صراع بين الشاعر فيه والصحافى . ولكن مشاكله كانت مع السلطة فى بلاده منذ البداية . وقد قضى فترات مختلفة فى السجن بتهم سياسية ، وذلك لانتقاداته المتكررة فى كلمة التحرير للحكومة ، ولمواقفه المشهودة من عدد من القضايا التقدمية .

كانت العشرينات والثلاثينات فى الهند فترات تغييرات سياسية واقتصادية هائلة ، وهى الفترات التى شكلت مستقبل فايز السياسى ، وشهدت بداية الحركة النقابية وحركات المزارعين ، فوجدت كل هذه الأمور مكانا فى شعره ، بل هى التى اعطت ذلك الشعر تقاسيمه .

يقول فايز :

«فى البداية كتبت بدافع رومانتيكى . كان الشعر يتدفق منى . ولم اكن اسعى اليه . وكان الاعتراف الأول بى مخيفا .. لاننى لم اكن انوى الاستمرار فى الكتابة . وكانت هناك قضايا سياسية عديدة تفرض نفسها على الكاتب .. ولم تكن تمت الى الشعر بصلة .. ولكن العالم كان دائما معى ، والاحداث تضغط على عملى .. لذا واصلت الكتابة» .

واصبحت الاحداث والوقائع جزءاً من شعره . وما كان هذا القران بين الشعر والواقع السياسى ليعنى عنده فقدان السحر الرومانسى . فقد ظل فايز أمينا لنظرته .. رغم كل الاحتجاجات .. بان القصيدة يجب ان تظل حلوة كالأغنية .

ومنذ أوائل الثلاثينات ، وفايز هو الضوء الهادى القيادى فى اتحاد الكتاب التقدميين بالهند . ولكنه على العكس من كل معاصريه من الكتاب لم تكن المواضيع التقدمية تعنى عنده تبنى اسلوب تقدمى قائم على أساليب الشعر الحديث فى الغرب . فهو عنيد فى التزامه بالاشكال والخطوط المتصلة بالأسلوب التقليدى .

يقول :

«إن الشكل يجب ان يخدم اغراض ووظيفة الشعر . إننى لم اشعر يوما بحاجة الى تغيير الشكل لاننى لم اجد منه ما يعوقنى فى قول ما اريد .. وفى نهاية الامر ، فان المهم هو الاتصال والتوصيل . فالمواضيع التقليدية والاشكال التقليدية كانت هى الافضل بالنسبة لى للوصول الى جمهور ذهنيته وحساسيته واستجاباته موزونة على موسيقى وتصوير معينين» .

«ولقد لزمت الأساليب القديمة لأنها اعطتنى قدراً أكبر من الحرية . فانت تستطيع ان تستخدم اكثر المواضيع المستهلكة والأساطير والحكايا الشعبية والتاريخ كوسائل ووسائط لتجنب الرقيب ، وذلك بطريقة لا يمكن للأساليب المباشرة والواضحة التى طرحتها الحداثة ان تؤديه» .

إن فايز هو الذى أنقذ الشعر الأردى من الضحالة والتفاهة التى تردى فيها فى بداية هذا القرن . فقد نقل الى مواضيعه الفاترة ، وصوره المكرورة المجترة معان جديدة ، فطور الصورة التقليدية للمحب وشجو الشاعر المتباكى على حظه لتتسع وتشمل الوطن والبلاد والجمهرة الكادحة من بنى وطنه .. والنساء — اولئك المضطهدات فى كل مكان فى العالم . وكانت كل قصيدة غزل تكتب كشكاة باكية .. لكن فايز حول البكائية الى اتهام واحتجاج ، وبذا وفق فى خلق مصالحة بين الرومانتيكى والثورى فى الشعر ..

●

آن ريستون والمعلم زانج



احياء مسرح خيال الظل الصينى .. فى باريس

يعود مسرح خيال الظل الصينى الى عام ١٨١ قبل الميلاد .. ولكنه اختفى فجأة بعد ان داهمه ليل طويل من السياسة المعاصرة التى اهملت ، فى خطوها لخلق التقدم ، روعة الابداع الانسانى عبر مسيرة التاريخ المتصلة .

وقد وجد هذا المسرح دفعا غير متوقع من فتاة فرنسية في الرابعة والعشرين من عمرها هي الآنسة ان ريستون ، والتى عرض لها بباريس «مغامرات باي» التى تدوم ٥٥ دقيقة .. في مسرح «ماريا ستيوارت» ، ثم قامت فرقتها بجولة فى الريف الفرنسى . وبعد كل عرض يدعى المشاهدون الى كواليس المسرح ليشرح لهم كيفية عمل مسرح الظل .

وكانت الآنسة «ريستون» قد درست اللغة الصينية فى باريس لمدة اعوام خمسة ، ولم تستطع الذهاب الى الصين لدراسة مسرح الظل كما كانت تريد ، إذ وقفت الثورة الثقافية التى كانت تجتاح الصين .

وقد اعيد مسرح خيال الظل الى الحياة الثقافية منذ عام ، ولكنه فقد خلفيته وتجذره فى الثقافة الشعبية التى هو جزء منها لا يتجزأ ، وصار يقدم كمادة جاذبة للسياحة . اما فى تيوان ، حيث درست الآنسة مسرح الظل مدة عامين ، فان تقاليد هذا المسرح ليست بمثل قدمها وعراقتها فى الصين الأم ، ولكنه مازال هناك فى تربة الثقافة الشعبية ، وإن كان اخذا فى الضمور ، إذ لم تعد هناك سوى ثلاث فرق مسرحية .

وقد وجدت الآنسة ريستون استاذها عام ١٩٧٨ اثناء جولة لها للحصول على العرائس الصينية اللازمة لهذا النوع من العمل المسرحى . ووفقا لتقاليد تعليم مسرح الظل لم يوافق «زانج مينج شاو» على تدريبها وحدها ، لكنه قطع وعدا بتعليمها ان وجدت تلميذا اخر . وكان الشباب الصينى نفسه قد انصرف باندفاع الى دراسة الأشكال العصرية للتعبير المسرحى . أما فى فرنسا ، فلم تجد ان ريستون احدا يفهم ما تقوله .

واخيرا استطاعت ان تستميل المعلم «زانج» ليقبلها تلميذة وحيدة ، وعاشت فى بيته بقرية للصيادين صغيرة فترة اشهر ثلاثة ، انتقلت بعدها الى مدينة «تايبى» لدراسة تاريخ مسرح الظل ، ثم عادت تعمل مع معلمها حيثما حل لتقديم عروضه .

والعرائس التى تستخدمها الآنسة «ريستون» هى من جنوب الصين ، وهى اصغر حجما واكثر حيوية من عرائس شمال الصين ، ومصنوعة من الجلد . وقد صنعت عرائسها من جلد الماشية بعد ان عولج ليكون رقيقا كالورق . وكل قطعة من هذه العرائس مربوطة بعودين او ثلاثة اعواد . تحركها هى وشريكها «اميريك مونشنلد» وكان قد درس التجارة والأعمال ، ثم أصبح شاعرا قبل ان يتحول الى مسرح العرائس .

وقد اضافت الآنسة ريستون الوانا اخرى جعلت عرائسها اكثر اشراقا ، إذ ان الوان



احدى شخصيات مسرح خيال الظل الصينى

العرائس التيوانية المستخرجة من الخضروات والنباتات تقتصر على الأحمر والأخضر والأسود . لكنها حافظت على التقليد اللونى الصينى .. فالأحمر عند اهل الصين يعنى السعادة والوحدة ، والأبيض يدل على الخيانة والخونة ، والأزرق هو لون النفاق واصحابه .

وقد ادخلت كثيرا من التعديلات على مسرح الظل الصينى ليتواءم مع ظروف فرنسا ، مع المحافظة على تقاليده .. وعلى دوره الاساسى فى تعليم المجتمع كما علمها استاذها «زانج» . وقد وجدت هى وشريكها ان بمقدورهما تطويع مسرح خيال الظل ليقدم اعمالا اوروبية .. ومازالا يعملان على بلوغ مرحلة يتم لهما فيها ان يقدما اعمال شكسبير نفسها .



هل يبادله الوطن الحب

يبدو أن ربيع الانفتاح الصينى الذى دام اكثر من ثلاث سنوات حتى الآن اخذ يحرج جهات عديدة داخل النظام الصينى ، كما تدل الوقائع المتصلة بقضية الكاتب المسرحى والشاعر «باي هوا» .

فقد واجه هذا الشاعر هجوما حادا منذ شهر لكتابته سيناريو فيلم «حب من جانب واحد» ، فانحازت الى الدفاع عنه المؤسسة الادبية الصينية ، ورمت منتقديه بأنهم يحاولون اخافة الكتاب باستخدام اساليب التخويف النفساني .

وكان الشاعر «هوا» واحدا ممن فازوا بالجائزة القومية لافضل قصائد كتبت فى العامين الماضيين ، فانتهز النقاد تلك المناقشة عندما لاحظوا أن الهجمات الموجهة ضد السيناريو الذى كتبه لم تقلل من شانه ككاتب . وقد طالبت كبرى المجلات المخصصة للنقد الادبى والفنى بان يتم تقويم السيناريو من جهات مختلفة ، مشيرة بذلك الى أن المدافعين عنه كانوا محظورى النشاط بامر من الرقابة حتى هذا الوقت . واعتمادا على المقالات والرسائل التى وصلت الى اتحاد الكتاب الصينيين واتحاد الدوائر الفنية والادبية المحتجة على الهجوم الحاد على «باي هوا» ، حذرت المجلة الادبية من ان ينقلب اي نقد لأى عمل ادبى فنى الى (حركة سياسية) ودعت بشدة إلى فتح الباب للنقاد ضمانا لاستمرار النقاش الحر .

وقد اصاب المثقفين الصينيين القلق من ان يكون الهجوم على «باي هوا» بداية النهاية لفترة الحرية والانفتاح التى دامت ثلاث سنوات إذ مازال كثيرون منهم يذكرون ان مثل هذا النقد هو الذى مهد لتفجير «الثورة الثقافية الصينية» منذ خمسة عشر عاما .. وخاصة بعد ان احتد النقاش فى الشهر الماضى بين شق من القياديين فى الحزب الشيوعى الصينى ممن يعتقدون ان التحرر الثقافى قد بلغ حدا بعيدا .. ويجب كبح جماحه ، واولئك المدافعين عنه ، وعن سياسات اخرى لنائب رئيس الحزب .. دنيق . ومن الدفاع الذى قدم فى الاسابيع الماضية يتضح ان انصار دنيق وقد كسبوا الموقف فى قضية التحضير للاجتماع القادم للجنة المركزية ، يساندون المثقفين .

ان السيناريو الذى وصنعه «باي» بعنوان «حب من جانب واحد» واخرج فيلما تحت اسم «الشمس والانسان» ثم سحب من دور العرض هو عدد محدد من العروض ، يحكى قصة مثقف صينى فنان يعود من الخارج بدافع من حب الوطن ، ولكنه اتهم وحوكم كبرجوازي وجاسوس محتمل ابان الثورة الثقافية . وتسأله ابنته : «انت تحب الوطن ، ولكن هل يبادلك الوطن الحب ؟» وبذا تعطى السيناريو مدلوله ومرماه الحقيقى .

وعلى العكس من الأفلام الأخرى التى تدور حول الثورة الثقافية ، والتى حاز بعضها على جوائز هذا العام ، فان «الشمس والانسان» ينتهى بنبرة متشائمة ، اذ يترك البطل ، وهو على فراش الموت اخر خطواته فى شكل علامة استفهام ، اعترف الكاتب بانه قصد بها طرح التساؤل حول مستقبل بلاده تحت ظل الاشتراكية .

والجدير بالملاحظة أن الكاتب ، رغم ما اثير حول عمله من نقاش وهجوم لم يختف من الدوائر الأدبية ، كما كان الأمر فى أيام الثورة الثقافية .. بل منح جائزة الشعر فى نفس الوقت الذى تم فيه النقد الشرس للسيناريو الذى كتبه .. وهذا مؤشر بان السياسة الثقافية الجديدة فى الصين اخذة بالفعل فى تطبيق شعار «دع مائة زهرة تتفتح» ، ومائة مدرسة فكرية تعترك» .



وهج ينطلق من أشعة الليزر أثناء استئصال ورم سرطاني من جلد قدم .. ولقد وضع الطبيبان نظارات خاصة واقية من الوهج .. الا ترى معنا ان هـــذه الصورة تشبه فى الظاهر صورة لحام للمعادن فى ورشة ؟

أشعة الموت..
تحولت لأشعّة أمل وحياة

د.عبدالمحسن صالح

قيل ان العالم الاغريقى القديم ارشميدس كان اول من فكر فى تركيز اشعة الشمس ، ثم توجيهها بمرايا ضخمة عاكسة ، لتحرق سفن الرومان اثناء غزوهم لجزيرة صقلية ، وسواء اكانت هذه القصة حقيقة ام خيالا ، إلا انها لم تنفذ فى عصره ، ولا بعد عصره .

لكن هذا الهدف قد تحقق فى بداية النصف الثانى من القرن العشرين ، ليس هذه المرة من خلال عدسات مجمعة ، ولا مرايا عاكسة ، ولا اشعة الشمس الساطعة ، بل عن طريق ضوء خارق من ابتكار عقول تقف دائما وراء كل انجاز عظيم ، ولقد اصبحت هذه الأشعة بمثابة أدوات جراحية ، تجرى بواسطتها أدق العمليات فى الاجسام ، حتى ولو كانت هذه العملية داخل العين ذاتها ، أو فى عظمة جد صغيرة من عظام الأذن الداخلية .

هذه الأشعة « السحرية » الغريبة تعرف باسم اشعة « الليزر » .. وهى تختلف عن كل انواع الأشعة التى نعرفها فى الطبيعة ، ثم انها ليست واردة فيها ، بل جاءت نتيجة لبحوث علماء الفيزياء ، وعندما ظهرت لأول مرة ، عرف العلماء انهم يقفون امام اكتشاف مثير ورهيب ، وهو لا يختلف ـ من حيث المبدأ ـ عن اكتشاف الطاقة النووية التى استخدمت فى التخريب ، ثم روضها العلماء بعد ذلك للتعمير .. وكانما التاريخ يعيد نفسه ، فعندما ظهرت اشعة الليزر بباسها الشديد ، قالوا عنها انها ستكون نواة لأشعة الموت ، وبهذا يمكن ان تضاف الى قائمة اسلحة الدمار الرهيبة ، لكن حمدا لله انها ما كانت ، بل حولها العلماء الى اشعة امل ورجاء ، وقدموها للأطباء هدية طبية ، لتصبح اشعة استكشـاف وشفاء وللبشرية خيرا وبركة وآمالا عريضة !



صورة توضح تشوها فى بشرة الوجه ، لكن اشعة الليزر انطلقت لتزيل نسبة كبيرة من هذا التشوه .. قارن الصورتين .





● أشعة الليزر تستطيع أن تقوم بإجراء عملية جراحية فى شعيرة دموية يصعب رؤيتها

ورشة تقطيع ولحام !

ان أول ما يتبادر الى الذهن ــ وانت ترى الطبيب « المودرن » او المتطور مع تطورات العلم واساليبه الحديثة ــ انك أمام ورشة لحام حديثة ومنظمة ونظيفة ، مع الفارق الكبير طبعا بين ورشة ميكانيكية وعيادة طبية .. فمقومات ورشة التقطيع واللحام والاصلاح تعتمد على استخدام غاز الاسيتيلين المختلط بالاوكسيجين ، او على الطاقة الكهربية ، فتبتر هذا الجزء من ذاك ، او تلحم قطعة بقطعة ، وهذه الطريقة او تلك تطبق على الآلات وادوات معدنية لتصلح فيها عطبا أو تزيل صدا ، أو توصل فيها ما انفصل .. أى أن استخدام النار والمطرقة والسندان والمنشار وما شابه ذلك من أدوات تقليدية قديمة ، قد حل محلها غاز شديد الاشتعال ، فيكاد سنا برقة يذهب بالابصار (شكل ١) .

ان هذه الصورة التقليدية التى طالما رأيناها فى ورشة لحام المعادن ، قد تراها بصورة أخرى مثيرة فى احدى المستشفيات الحديثة ، أو عند طبيب ماهر فى عيادته الخاصة ، وفيها يمسك الجراح شيئا اشبه باداة اللحام ، وعندما يدوس على زرار ، تنطلق اشعة غريبة قد تكون مرئية او غير مرئية للعين البشرية ، وعندما يوجهها الى الجزء المعطوب من جسد الانسان ، فانها تثقب وتقطع وتزيل وتلحم ، وعندئذ قد ترى وهجا ودخانا خفيفا .. وكأنما المريض قد تحول الى الة ، وعليه تتسلط اشعة الليزر ، فتصلح ما عطب من هذه الآلة البشرية الحساسة (شكل٢) .

لكن ليس كل من تناول اشعة الليزر بقادر على ان يمس هذه الآلة البشرية كما يمس الفنى المعدن فى ورشته ، بل ان العمليات الجراحية التى تتم باشعة الليزر تحتاج الى طبيب ماهر وحساس ومتمرن ، خاصة إذا توجهت هذه الاشعة الحارقة الى العين ، إذ لابد ان يكون توجيهها محسوبا ومقدرا بعناية فائقة ، ولابد كذلك من وضع راس الانسان فى شىء اشبه « بالمنجلة » التى نثبت بين فكيها جزء معدنيا نريد نشره او قطعه ، لكن « المنجلة » الطبية جاءت بتصميم مناسب ، لتثبت راس الانسان ، وتمنعه من اية حركة ، مع اخذنا فى الاعتبار راحة المريض ذاته .. لأن رأسه ليست قطعة من معدن ، ولا يجب ان نعاملها مثلا كما نعامل المعدن بين فكى « المنجلة » (شكل ٣) .

مبضع كشعرة الرأس

لكن .. لماذا يتخلى الأطباء المتطورون عن ادواتهم الجراحية التقليدية ، ويلجأون الى استخدام هذه الأشعة الخطرة ؟ .. وهل هى رفاهية او بدعة يلجأ اليها بعض الاطباء لاكتساب شىء من الشهرة ؟ .. ام انهم يسيرون على مبدأ « خالف تعرف » ؟ .

ليس ذلك تماما .. فهناك بعض العمليات الجراحية الدقيقة التى لا يمكن اجراؤها بادوات الجراحة المعروفة والتى تختلف كثيرا عن اشعة الليزر ، إذ يمكن لهذه الأشعة ان تنبثق من خيط زجاجى اقل سمكا من شعرة الراس ، ليس ذلك فحسب ، بل ان هذا الخيط الدقيق جدا يمكن ادخاله بسهولة تامة من أى جزء فى العين ، ومن الممكن توجيهه حتى الشبكية ، فاذا استقر فى المكان المحدد ، انطلقت منه اشعة الليزر كومضات دقيقة غاية الدقة ، وبحيث يصبح فى الأمكان اجراء عملية فى خلية واحدة لا ترى بالعين ، وهذا ينبئك بحساسية ودقة هذه الأداة العجيبة التى دخلت عالم الطب والجراحة من أوسع ابوابه ، وحققت بذلك أهدافا رائعة ما كان يمكن التوصل اليها بادواتنا الجراحية التقليدية .

فى دراسة ممتعة قدمها لنا لورين فرويد مان فى إحدى المجلات العلمية عن دقة هذه الأشعة المثيرة ، يذكر فيها حقائق ما كانت لتطرا على عقل بشر منذ عشرين عاما فقط ، ومن هذه الحقائق انه بالامكان كتابة الحروف باشعة الليزر على رأس دبوس صغير ، او على ماهو اصغر من ذلك ، حتى ولو كان ذلك خلية دموية او نباتية .. وطبيعى ان هذه الخلايا لا ترى إلا بالميكروسكوب ، وهذا يوضح لنا بجلاء ان اشعة الليزر تستطيع ان تقوم باجراء عملية جراحية فى شعيرة دموية يصعب رؤيتها ، او فى موضع على شبكية العين اصغر من نقطة تراها هنا فوق بعض الحروف او تحتها ! .

ان واحدة من الصور المنشورة مع هذا المقال (شكل ٤) توضح ذلك اجمل توضيح .. إذ نرى فى خليتين متجاورتين ــ مشارا إليها بسهمين ــ نقطا ضوئية لحرفى M B .. وهما الحرفان الأولان من اسم ميشيل بيرنز من جامعة كاليفورنيا ، ان كل نقطة تمثل ومضة ضوئية خاطفة لأشعة الليزر ، التى تحكم فيها بيرنز بدقة فائقة ، فتركت اثرها كثقب دقيق ، ولو لم نكبر هذه الصورة بميكروسكوب ، لما استطعنا ان نرى خلايا النبات ، وناهيك عن النقط التى هى اصغر بكثير من الخلايا ، وطبيعى ان هذه الصورة لن تقدم فى مجال العلم ولن تؤخر ، لكنها تشهد بطبيعة العصر الذى سندخله مع



طراز آخر من أشعة الليزر المستخدم فى طب الأسنان .. وبواسطته تتم العمليات بكفاءة نادرة ، وقد لا تحققها ادوات الجراحة التقليدية

أشعة الموت..

تحولت لأشعة أمل وحياة

● من أهم مميزات أشعة الليزر أنها تزيل الأنسجة غير المرغوبة عن طريق إحراقها.. وهي في نفس الوقت لا تسبب نزيفاً دموياً كالذي تحدثه الآلات الجراحية التقليدية

العلم لنحقق اهدافا رائعة فى مجالات لا نكاد نحصيها عدا .

نار الليزر .. نور العين

لو قدر لك مثلا وشاهدت طبيب العيون وهو يجرى عملياته على العين البشرية ، فربما اصابك شيء من الدهشة الممزوجة بالفزع . إذ تراه يمسك بآلة لحام المعادن ، لكنها آلة دقيقة ونظيفة ، وتنتهى بانبوبة زجاجية تشبه الابرة ، لكنها فى سمك شعرة الراس ، او ربما اقل ثم إذ به يدخلها بسهولة تامة فى عمق العين متوجها بها نحو شبكيتها .. انه يريد القيام بعملية « لحام » فى الانفصال الذى حل بالشبكية ، وطبيعى انه لا يستطيع ان يرى المنطقة التى حل بها التلف بوضوح تام ، ولابد ان يضيء العين من الداخل .. لكن باية وسيلة يمكن بلوغ هذا الهدف الذى يقف له شعر الرأس ؟ .

بشعرة زجاجية اخرى رقيقة غاية الرقة ، فبعد أن تدخل العين تنطلق أشعة الليزر بحساب ومقدار ، فتضيء دون ان تحرق المحتويات الداخلية ، وتصبح بمثابة المرشد فى عالم تكتنفه بعض المتاهات . ولكي يرى انسجة الشبكية بوضوح ، كان لابد ان يستعين بعين غير عينيه ، وقدم له العلم شيئا اشبه بالميكروسكوب ، ليكبر له العين مرات ، ومن خلاله ينظر ويوجه الشعرة الزجاجية الاخرى التى تنطلق منها اشعة ليزر قوية ـ هى بمثابة مبضع دقيق غاية الدقة ، فيزيل به الاورام ، او يلحم ما تهتك ، او يوقف نزيفا .. الخ ،

وكل هذا وغيره لم يكن متاحا فى السنوات الماضية ، فلا احد يستطيع ان يستخدم المبضع التقليدى لمثل هذه العمليات الدقيقة الحساسة .. وأين؟ .. فى داخل العين حيث يتم كل شيء بحساسية ودقة وكفاءة بالغة .

ان من اهم مميزات اشعة الليزر انها تزيل الانسجة غير المرغوبة عن طريق احراقها ، وهى فى الوقت ذاته لا تسبب نزيفا دمويا كالذى تحدثه الآلات الجراحية التقليدية ،بل تكوى « بنارها » كل شعيرة دموية صغيرة ، وتسد فيها منافذ الدماء فى التو واللحظة ـ اى كانما هى بمثابة المبضع الذى يقطع ويزيل ، والخيط الجراحى الذى يحيك ، والضمادة التى تمنع النزيف ، ومن اجل هذا اصبحت اشعة الليزر امل المستقبل ،



ليست ورشة .. بل غرفة لعمليات العيون باشعة الليزر . لاحظ كيف تضاء العين من الداخل (فوق الى اليسار) لتظهر تفاصيلها الداخلية ، وتأمل وضع راس المريضة في تصميم الى يمنعها من الحركة اثناء جراحة ترقيع الشبكية ولاحظ ايضا دقة البقعة الضوئية على العين .



ونور الرجاء الذي ينتظره الالاف ممن يتعرضون لفقد نعمة البصر في حالات مدروسة ومعروفة .

هناك مثلا حالة طفلة ـ قدمها لنا فرويدمان ـ كانت مهددة بالعمى نتيجة لنمو غشاء شاذ على سطح العين من الامام ، ولقد حاول بعض جراحي العيون ازالة هذا الغشاء بالطرق الجراحية التقليدية ، وفي كل مرة من المرات الثلاث التي تمت فيها تلك المحاولات ، كانت تصاب بنزيف ، واصبح من المستحيل ـ والحال كذلك ـ اتمام العملية ، ليس ذلك فحسب ، بل ان الغشاء الشاذ كان يزداد سمكا واتساعا بعد كل محاولة ! .

وفقد الجراحون الامل ، لكن اشعة الليزر كانت المنى والامل ، وبها تمت اول محاولة في عام ٦٨ على عين هذه الطفلة في كولومبيا الامريكية ، وكان اول من استخدم الليزر طبيب العيون فرانسيس اسبيرانس ، وانطلقت ومضة ضوئية حارقة من وراء ومضة ، وفي كل ومضة كان الامل يتجدد ، لان الومضة كانت تزيل نقطة صغيرة من الغشاء ، وفي الوقت ذاته تكوى الشعيرات الدموية ، وتمنع النزيف ، وتكررت مئات الومضات الحارقة ، وازيل الغشاء دون مضاعفات ، وبعد عدة ايام ، تحقق الشفاء ، وتم الانقاذ من عمى لا مفر منه ولا مهرب ، ومن يومها بدا العلماء في تحسين وتطوير واتقان اجهزة الليزر ، حتى وصلت في ايامنا الحاضرة الى عشرات الطرازات ، ولكل طراز منها مجال محدد ، وعمل مقنن ، وبهذا اصبحت اشعة الليزر بمثابة الكاسحة للداء ، والجالبة للشفاء

ان ترقيع شبكة العين باشعة الليزر ، او استئصال الاغشية الغير مرغوب فيها ، او كي الشعيرات الدموية النازفة ، لا تمثل إلا جانبا صغيرا في مجال انقاذ العيون من العمى ، خاصة عند المتقدمين في السن ، فمن الممكن مثلا تسليط شعاع من الليزر على العين ، وفيها يحدث ثقبا ضئيلا غاية الضالة ، وكأنما الشعاع هنا بمثابة مثقاب من نوع خاص ، ومن خلال هذه الثقوب الضئيلة يمكن التخلص من جزء من سائل العين الذي يضغط على جدارها ، ويصيبها بالتصلب الذي قد يؤدي الى العمى ، وومضة اخرى على موضع الثقب ، فاذ به يلتئم في التو واللحظة ، وكأنما الليزر يفعل المعجزات في ايدي اطباء العيون المتمرسين على هذا النوع من الجراحة الليزرية !

انجازات اخرى رائعة

بعد هذه الجولة السريعة في عالم العيون ، كان لابد ان نقدم شيئا عن الانجازات الجديدة المضيئة في مجالات اخرى تستحق التقديم .

ولناخذ حالة مريض استمر فيه نزيف داخلي في أمعائه من جراء تهتك وانفجار بعض الشعيرات الدموية التي كانت تهدد حياته ، فبدون عملية فتح بطن وامعاء ، يمكن علاج هذه الحالة ، وما على المريض إلا ان يبلع انبوبة من المطاط تحت تاثير مخدر خفيف ، وفي داخل الانبوبة تمتد حزمة من الاف الانابيب او الشعيرات الزجاجية التي يطلق عليها الخيوط الضوئية ، ومن هذه الالاف تنطلق اشعة الليزر لتضيء داخل الجهاز الهضمي ثم تنقل صورة واضحة ومكبرة ، فيرى داخل المعدة او الامعاء « ما لا عين رات » .. ان هذا التصميم نوع متطور من المناظير التي تشتغل باشعة الليزر ، وكأنما هو بمثابة عين تليفزيونية تشتغل من الداخل ، وتعكس ما رأته الى الخارج ، ليقع على عين الجراح ، او على شاشة مناسبة ، وكلما تجول الجراح بمنظاره ، ورأى مواقع الشعيرات النازفة ، سلط عليها مبضعه الجراحي ـ اى تلك الشعرة الزجاجية الحاملة لضوء الليزر ، فتحرق وتزيل وتكوى ، او تؤدى الى تكوين جلطات دقيقة في الشعيرات الدموية النازفة ، فتمنع بذلك النزيف ، ولا يزال الجراح « الليزرى » يتنقل بمنظاره وشعرته القاطعة الحارقة المضمدة من



الصورة فى ورشة لحام للمعادن بواسطة غاز الاستلين .. لكن الشيء نفسه يحدث الآن فى الأجسام البشرية بواسطة أشعة الليزر .. قارن الصورة بالصورة التى تليها .

مقطع فى خلايا نباتية مكبرة بالميكروسكوب .. لاحظ الحرفين M.B المشار اليهما .. لقد تم حفرهما على الخليتين بأشعة الليزر وكل نقطة تمثل دفقة ضوئية .

أشعة الموت..
تحولت لأشعة أمل وحياة

● ضوء الليزر الذى ينبثق من الشعرة الضوئية الرفيعة يستطيع أن يزيل بعض الأورام الخبيثة، تاركا وراءه جراحة نظيفة مأمونة العواقب

موقع الى موقع ، حتى تنتهى العملية ، وبها يعود المريض النازف الى حالته الطبيعية .

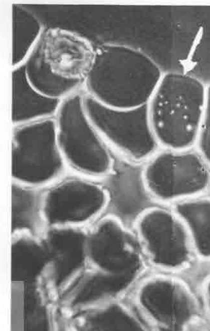
ان مثل هذه العمليات الدقيقة الحساسة لم تكن ممكنة ولا متاحة منذ سنوات قليلة ماضية ، لكنها اصبحت حقيقة واقعة ، وادت الى نتائج مذهلة ، ودون حدوث مضاعفات خطرة . وفوق كل هذا تستاصل كل نسيج غير مرغوب فيه ، دون اللجوء الى العمليات الجراحية التى تنزف منها الدماء ، وما يتبع ذلك من فترات نقاهة قد تطول حتى تلتئم الجروح .. كل هذا يحدث وكانما الجراح يرى كل صغيرة وكبيرة فى الداخل ، رغم انه يعمل من الخارج ، وذلك بفضل التزاوج بين علوم التكنولوجيا الحديثة ، وعلوم الطب ، وما يتمخض عنها من انجازات هائلة .

مبضع دقيق لايجارى

ثم ان معظم العمليات الجراحية التى تجرى الآن لاستئصال الاورام السرطانية انما تتم بواسطة الادوات الجراحية التقليدية ، واحيانا ما تكون غير مامونة العواقب . لكن ضوء الليزر الذى ينبثق من الشعرة الضوئية الرفيعة كدفقات ضوئية عنيفة ومتقطعة ، يستطيع ان يزيل بعض هذه الاورام الخبيثة ، فبمجرد ان تنطلق الدفقة الضوئية ، وتمس جزءا من الورم ، فان الضوء الليزرى يتحول فى التو واللحظة الى وهج وحرارة عالية ، فتقتل جزءا من الخلايا السرطانية ، وبانطلاق مئات او الاف الدفقات الضوئية واحدة بعد الاخرى ، يتم ازالة الورم شيئا فشيئا ، فلا يخلف وراءه الا انسجة متفحمة ، وشبه ادخنة قليلة متصاعدة ، وتنتهى العملية دون نزيف او ضمادات ، لان الليزر قاطع مانع - اى يزيل الورم ، وفى الوقت ذاته يمنع نزيف الشعيرات الدموية . وبهذا يترك الليزر وراءه جراحة نظيفة ومامونة العواقب .

لكن ضوء الليزر قد لا ينفع مع ازالة الاورام الكبيرة ، فهذه تلزمها جراحة تقليدية ، ثم ياتى دور الليزر - بعد ذلك - ليقوم بعملية تنظيف والتئام وازالة اى اثر لخلايا سرطانية قد لا ينفع معها مبضع الجراح !

ثم ان اشعة الليزر تستطيع ان تكشف بدايات الاورام السرطانية فى



الجهاز البولى والتناسلى ، وفى الامخاخ والعيون والجهاز الهضمى والحنجرة والرنتين .. الخ .. الخ ، لان بعضها يعطى ضوءا ليثير الأنسجة الداخلية ، ويوضح لعين الجراح ما خفى فى الباطن ثم يأتى بعد ذلك طراز آخر من هذا الضوء العنيف ، ليزيل بدايات هذه الأورام .. ولنتصور انسانا مسنا ظهر له فى مثانته بداية ورم سرطانى . وهو لا يتحمل اجراء عملية جراحية لكبر سنه ، وعندئذ يأتيه الليزر بأشعته السحرية ، وحيث تتدفق ومضاته على جدار مثانته ، تبدأ فى ازالة أورامه ، وبعدها يستطيع ان يترك حجرة العمليات الى منزله مباشرة .. فلا جروح ولا نزيف ولأن العملية قد تمت فى الداخل من خلال فتحة مجرى البول ، وبمساعدة منظار ليزرى خاص بالمثانة ، ليضيء لعين الجراح ويوجهه الى حيث يكمن الداء .

او لنتصور انسانا قد اصيب بورم خبيث فى مخه ، وان هذا الورم قد حل بموقع لا يمكن لمبضع الجراح ان يصل اليه ، عندئذ قد يتأب المريض بهذا الضوء الجديد ، إذ يمكن ثقب عظام الجمجمة بدفقات من أشعة الليزر ، ومن خلال الثقب الدقيق يصبح بالامكان ادخال انبوبة جد دقيقة تتدفق منها نبضات متقطعة من الأشعة التى تقوم مقام المبضع ، حتى إذا وصلت الى هدفها بدأت عملها ، وومضة من وراء ومضة ، فيزول الورم ، ويصبح فى خبر كان !

ان هذه الأشعة السحرية تستخدم الآن فى ثقب العظام بدقة بالغة ، وبحيث تعطينا ثقبا يكفى بالكاد لادخال ابرة دقيقة ، وإذا اردنا بالثقب اتساعا ، أدت الأشعة هذا العمل بسهولة تامة ، وهو أمر يصعب تحقيقه بالأدوات الجراحية التقليدية ، كما ان هذه الأشعة دخلت ميدان علاج الاسنان من أوسع الأبواب .. فهى تكوى اللثة المتآكلة ، وتضع حدا لتسوس الاسنان ، أو تصلح ما فسد منها .. الخ (شكل٥) .

ومن الممكن استخدام هذه الأشعة فى عمليات التجميل ، خاصة حالات الامراض الجلدية التى قد تظهر على هيئة تشوهات واضحة (ومنها ما يطلق عليه العامة اسم الوحمة ، وهذه تتخذ اشكالا شتى) .. وفى واحدة من هذه العمليات التى اجريت على وجه مشوه (شكل٦) انطلقت ٢٨ الف ومضة ضوئية على مدى ساعتين ، فأزالت من التشوه بعض معالمه ، وانت تستطيع ان ترى الفرق بنفسك قبل العلاج وبعده .. صحيح ان هناك بعض معالم التشوه ، لكن شيئا افضل من لا شيء ، ثم اننا لازلنا فى بداية الطريق .

والموضوع بعد ذلك طويل ومتشعب ومثير ، لكن فيما قدمنا الكفاية ، ولنقدم الآن شيئا عن « موديلات » أشعة الليزر .

ان أجهزة أشعة الليزر تعتمد اساسا على تصميمات معقدة لا نستطيع ان نتعرض لها هنا ، فليس ذلك مجالها ، لكن يكفى ان نذكر انها تنتج من طاقة كهربائية مختزنة فى جهاز خاص ، وعندما تنطلق ، فانها تخرج كدفقة من ضوء قوى ومدمر ، ولا يستغرق ذلك إلا جزءا واحدا من الف مليون جزء من الثانية ، ولابد من توجيه هذه الدفقات فى تصميمات خاصة ، حتى يمكن الاستفادة بها ، ثم ان لكل طراز من هذا الضوء تصميما محددا ، وبحيث يخرج كضوء منظور او غير منظور للعين البشرية ، واحيانا ما يتخذ الوانا شتى ، ويتوقف ذلك على اطوال موجاته او شدتها ، فهناك مثلا اشعة الليزر التى تنبثق من خلال غاز ثانى اوكسيد الكربون ، أو غاز الأرجون ، أو العقيق ، او خلال خليط من المعادن النادرة .. الخ ولهذا تسمى باسم الوسط الذى تمر فيه ، كأن يقال مثلا ليزر الأرجون ، او ليزر ثانى اوكسيد الكربون .

وطبيعى ان هذا الضوء المركز الذى ينبثق كدفقات قوية (كلما ضغط الجراح على زرار) لا يسرى خلال المعادن الموصلة أو الأسلاك كما يسرى التيار الكهربى مثلا ، وكان لابد من استنباط طريقة لنقله وتوجيهه دون تشتت ، فظهرت فى الأفق « اسلاك » زجاجية رفيعة كشعرة الرأس ، وهى مجوفة ومبطنة من الداخل بعشرات المواد الكيميائية المختلفة التى ترسبت طبقات من فوق طبقات ، وهذه بمقدورها ان تنقل ضوء الليزر وتوجهه ، ومن اجل هذا اطلقنا عليه اسم الألياف الضوئية OPTIC FIBERS وهذا ما تعرضنا له فى مقالة سابقة على صفحات هذه المجلة تحت عنوان « عصر المعلومات » .

ثم ان هذه الدقة المتناهية فى سمك الالياف الضوئية ، وفى عنف اشعة الليزر ، وفى التصميمات المختلفة ، قد جعلت منها اداة جبارة فى تطبيقات طبية وعلمية كثيرة ومتشعبة ، ولاشك أنها ستتطور ، وسوف تجذب لكفاءتها العالية انظار الأطباء والجراحين ، لأنها اكفأ من الادوات الجراحية التقليدية .

وطبيعى ان معظم الجراحين لا يقبلون عليها كاقبالهم على ادواتهم الجراحية التى مارسوها جيلا عن جيل ، ثم ان المتاح افضل ، ولأن الناس اعداء ما جهلوا ، لذا كان الخوف من الاقدام على دخول هذا المجال المثير والمخيف (الآن على الأقل) .. لكن مما لاشك فيه ان هناك روادا يشار إليهم بالبنان ، ولقد حققوا انتصارات مذهلة فى هذا المجال ، وسوف تجذب هذه الانتصارات اهتمام الأجيال القادمة ، ليدخلوا بكل ثقلهم فى هذا الميدان الذى يبشر بآمال عراض .. وبهذا يصبح الليزر نارا ونورا ــ نار على الآلام ونورا لمزيد من الآمال .

دكتور عبد المحسن صالح

● نود ان نشير هنا ان معظم الصور المنشورة مع هذا المقال مأخوذة من مجلة « سايننس دايجست » الأمريكية .



متحف حي لفنون السودان في الدوحة

كمال سعد

الرقص الشعبى هو الفن الذى يمثل حركة الأمة الطبيعية العفوية ، وهو أصدق صورة لحقيقة طبائع وعادات وتقاليد الشعوب ، لانه احد الفنون التى لم تطمسها مظاهر المدنية وصورها المصطنعة !

ومن الرقص الشعبى أصبحنا اليوم نستطيع التعرف على حياة اى شعب وحفلات اعراسه وازيائه وزيناته الموروثة من العصور الغابرة !

وإذا نظرنا الى عروض الفرقة القومية للفنون الشعبية السودانية التى قدمت



الفرقة القومية للفنون الشعبية السودانية أثناء تقديم عروضها فى مدينة الدوحة .

برنامجا كاملا خلال الأسبوع الثقافى السودانى فى مدينة الدوحة ، لوجدنا أن هذه الفرقة تقف فى مقدمة الفرق العربية بما تعطيه للمتفرج من متعة ذهنية ، وبما تعكسه من ألوان حية من التراث فى البيئة السودانية الزاخرة بكل أنواع العطاء المتمثل فى أعراس القبائل السودانية ذات الأصول العربية وايقاعات الرقص الافريقى المرتبطة بالعمل والميلاد والزواج والموت والطقوس وكافة المناسبات الأخرى التى يحس اثناءها الراقصون بقوة الحدث



متحف حي لفنون السودان في الدوحة

رقصة السيوف بما فيها من اداء مرتبط بالتقاليد العربية .. ثم رقصة من الجنوب حيث إيقاع الموسيقى الافريقية .. وبقية اللقطات لمعرض الصور الفوتوغرافية .

فتتم المشاركة الاجتماعية على إيقاع الطبول وحركات الجسم ذات المدلول والمغزى !

وقد بدات الفرقة القومية للفنون الشعبية السودانية اول عروضها منذ ٢١ عاما ، وبالتحديد فى عام ١٩٦٠ ، عندما تم جمع كل الفرق الراقصة للقبائل السودانية اثناء احدى الاحتفالات الوطنية ، ووقتها احس كل من راى هذه العروض بالرصيد الفنى الضخم المتمثل امامهم ، فتكونت اول فرقة للفنون اطلقوا عليها اسم «شعلة افريقيا» ، ظلت تقدم الوانها بصورة تلقائية ، حتى استعانت الدولة فى عام ١٩٦٧ بخبير فى الرقص الشعبى اسمه «رمازين» وزوجته «لارا» فى تدريب الراقصين على اصول وقواعد فنية ، ليتم تاسيس الفرقة القومية للفنون الشعبية .ولتقدم اولى عروضها ذات المستوى الفنى الرفيع فى المهرجان الافريقى الأول فى الجزائر عام ١٩٦٨ !

واصبحت الفرقة بعد تلك السنوات تضم رصيدا كبيرا من الرقصات يتجاوز العشرين رقصة ، وهذه الرقصات تمثل القبائل الكبرى فى السودان حسب توزيعها الجغرافى ، كما انها قدمت عروضها فى عدة دول من بينها الجزائر ومصر وتونس واثيوبيا والكويت وابو ظبى والدنمارك والمانيا الغربية والاتحاد السوفيتى ورومانيا وليبيا والمغرب وسوريا واوغندا والصومال وكينيا ويوغسلافيا وفرنسا واسبانيا ونيجيريا واخيرا قطر ..

وفى لقاء مع اعضاء الفرقة القومية للفنون السودانية اثناء الاسبوع السودانى الثقافى فى الدوحة قالوا ان اول عروض رقص فيها ابناء القبائل فى السودان امام الجماهير فى مدينة الخرطوم وصل فيها عدد الراقصين الى حوالى ٤٠٠ راقص ، تناقصوا – بالطبع – مع تنظيم اول فرقة فى تاريخ السودان الى ٦٠ راقصا وراقصة ، يحافظون على التراث ويستلهمون منه اهم عروضهم !

وقالوا ان هذه الفرقة تعكس عادات وتقاليد قبائل السودان التى يصل تعدادها الى ٥٧٩ قبيلة تتحدث اكثر من مائة لهجة ، يجمع بينها ذلك الايقاع المميز لاغلب فنون هذه القبائل !









وأشاروا الى اهم المشاكل التى تواجههم باستمرار ، ومن بينها ضرورة رجوعهم الى المصادر – حتى لو كانت فى مناطق نائية – عند تقديم اية رقصة جديدة . وهذا يكلفهم الكثير من الجهد المادى والمعنوى .. ورغم ان هذه المشكلة استطاعوا التغلب عليها بحكم العادة وبحكم تكرارها امامهم عند تقديم كل عمل جديد .. إلا ان هناك مشكلة لم يستطيعوا حلها حتى الآن ، ففى كل فترة يفاجأوا بمجموعة من الراقصات يتركن الفرقة إما بسبب الزواج او لاسباب عائلية اخرى ، وهذا يؤدى الى طلب راقصات جدد ، ليبدأ جهد التدريب من جديد . وقد كانت آخر مفاجأة للفرقة هى خروج سبع راقصات مرة واحدة !

إن السودان بما يضم من لوحات والوان متعددة فى الرقص الشعبى ، أصبح ملهما لرقصات العالم كله ، فالسمبا والرومبا والمامبو التى غزت أوربا وانتشرت بين ربوع بلادها ما هى إلا رقصات سودانية .. وكذلك يمكننا ان نجد الروح العالمية فى بقية الرقصات التى يقدمها السودان للجماهير فى كل مكان ، مثل رقصة «المسيرية» القادمة من الغرب والتى تمثل روح الشجاعة والرجولة والقوة ، ورقصة العروس التى تشترك فيها إيقاعات الدفوف والطار والدربكة ، ورقصة الرزيقات القادمة من مديرية دارفور والتى تعتبر من اجمل الرقصات السودانية والتى تعطيها زغاريد الفتيات مزيجا من المرح والسرور ورقصة الشلك التى يحمل فيها الراقصون الرماح وهم يرتدون جلود النمور ويتحركون امام الفتيات فى فتوة ورشاقة

وغير ذلك هناك رقصة الدينكا القادمة من مديرية بحر الغزال والتى ترقصها الفتيات وفوق رؤوسهن الرياش ذات الالوان الزاهية ، ورقصة الكمبلا التى اشتهرت بها جبال النوبة ، ورقصة البجة التى تحمل فيها البنات السيوف وهن يرتدين الأزياء ذات الألوان الجذابة !

وكل تلك الرقصات وغيرها تجعلك تدرك ان فى السودان متحفا حيا لتاريخ شعبه وصناعاته وفنونه وآدابه وكل الوان حياته الزاهية ذات الجذور الضاربة فى اعماق الامة واحاسيسها ومشاعرها الفياضة !

كمال سعد



أنصاف الثائرين

قصة جديدة بقلم
الدكتور يوسف إدريس

في الليل لما خلي إلا منه ، ولم يكن الشاكي ، وليس حتى ذلك الرضا المؤقت عن النفس بعد عمل باهر . تائه . الهدف مهم ، حتى المشاكل حين تقع تصبح هدفاً المهم ماذا بعد . بكلمة انتهى الاشكال . دقائق معدودة حدث فيها كل شيء حين يجيء الليل وأنت لا تعرف لمن وإلى اين تذهب . حين يجيء الليل ويسحب الكائنات كل الى عشه ومستقره ومقامه ، ووحدك تبقى وحدك وحولك لا يوجد سوى الظلام واللاهدف . حينذاك يعود الليل شيئاً آخر . عمى أصاب الشمس أو غولا ابتلع الدنيا والناس ، ولا تتحول أرض النهار كالعادة إلى أرض ليل وقد تغير منها اللون فقط ، تصبح الأرض المستوية بحراً ، ليس مجرد تشبيه ، تتحول حقاً إلى بحر ، الريح أمواجه والظلام آفاته ، الاضاءات البعيدة او القريبة مراسيه ومنارات‍ه .

وفي الليل لما خلي إلا من الشاكي ، صوت عباس يدندن ، يطرد الوحشة ، لكن الدندنة تؤكدها ، يعلو الصوت ، يغني ، يطلب الونس فيتحدث الى الليل المسكون بالظلام الراسخ العميق . في الليل لما خلي ، الجمال الوحيد في صوت عباس انه يجعلك تتذكر عبد الوهاب وهو يغنيها ، وبحنجرته الحلوة يستأنس كون الظلام ، ويضيء على مدى الصوت الصبي أنيق الشموع .

في الليل والعربة تجار ، تصعد ،



تميل ، تتلوى ، صندوقها المغلق الكبير يتارجح فهى تسلك الطريق الوعر الخالي من أكشاك المرور وعساكر المرور . فقد سحبوا الرخصة منه من زمن لضعف بصره ، وفى الليل يزداد ضعفا ويزداد تارجح اللورى فوق جسور المصافي غير الممهدة وغير المعدة لمرور العربات ، اى عربات .

فى الليل والعائلة الغريبة منكمشة بجواره ، الزوجة وضعها الرجل لصق الباب غيرة عليها ان تكون محشورة فى الوسط ، والاولاد فى الدواسة وفوق ركب الاب والأم وفى كل مكان . فى الليل وقد مضى النهار المزدحم ، ذلك النهار . قصته الكاملة لو كتبت لاستغرقت كتبا .. بل لا احد بامكانه ان يحيط بها كلها .

عباس السائق جنبته الأغنية وغرق فى دوامتها . الليل صاحبه القديم ، والليل عمره ، بل أصبح قدره ، ولم يعد سواه ملجأ يحميه من النهار ، نهار الناس العاديين والقانون العادى ، نهار البوليس والتفتيش والرخص ، النهار الذى يضبط فيه كل شيء ولا يفر منه أحد ولم يعد له سوى الليل

ذلك الليل الذى خلا إلا منه و من محتويات (لوريه) من بشر وأشياء وعزال ، يستجير به معينا حتى لا يتخلى عنه ، إذ حتى لم يعد يرى أمامه اى مرفق .

قطع عباس اندماجه وسأل : مربوط ؟ مربوط ؟

حجاج الراكب وصاحب الكومة الأسرة فرح ، فالسائق فى العادة ذلك الذى اعتاد الصمت وقصر حواره دوما مع الموتور ، إذا أجاب مضطرا خرجت الاجابة من انفه ، تكبرا يقولون ، تكبر السائقين الذين يعرفون انهم فوق الناس لانهم يعرفون ما لا يعرفه الناس ، تحت إمرتهم سر الصنعة ، والآلة اللغز ، سلسلة فى يدهم ، الآلة لغز فى عالم يحيا بالات من الحمير والكارو والجاموس والنهيق . الآلة . اصبح الحضارة البعيدة تخترق الفيافي وتظهر هنا ، معجزة ومرعبة ، وسيدها عباس او اى عباس ، او حتى لو كان نظره شيش بيش ليجعل تكبره على الآخرين اقل شموخا ، ولكنه حتما يملك ذلك الشموخ .

مربوط ، لماذا مربوط ، وهل يعقل ، وفى هذه الساعة ان يطرح حجاج (أفندى) باب انيس أفندى ولغرض كهذا الغرض . مربوط مربوط مربوط ، وهذا البغل ذو الكرش المحشو جشعا ونتانة . مربوط يابن بائعة الفجل الذى أصبحت صاحب أرض وبفضلي انا تحولت من (بقجة) القماش تحملها لتبيعها بالمتر والنصف متر فى الأسواق الى صاحب دفتر شيكات ضخم بقلمك المذهب تستطيع ان تضع اى رقم وتوقع ، ولتوقيعك قيمة وسمعة ، أعظم من سمعة

أصناف النادرين

محافظ البنك الأهلي ، وورقة دفتر شيكاتك اضمن من الورقة ام مادنه ، والمميزة بالصورة المحورة لأبي الهول . مربوط مربوط ، ياحسن بن وهيبة بائعة الفجل ، يامن سموك يوم ولادتك حسن الكبش ، لفرط شبهك به ، ثم لما تاجرت واصبحت صاحب عربة خضار سموك المعلم ، وتلاشى الكبش من اسمك ، وذاكرة الناس للأسماء وللألقاب ضعيفة ، خاصة إذا كان اصحابها يكبرون والناس تصغر وحسن بك اصبحت . مائة فدان تملكها رغم انف قانون الاصلاح الزراعي وقوانينه الصارمة لمنع التحايل ، ومائة اخرى تستاجرها رغم انف قوانين الايجار الحاسمة . مائتى فدان . الجناين مائة . والخضار مائة . والسراية اسمها الشاليه . والسور الذى يحيط بالمائتى فدان اسلاكه شائكة ، وفى الليل مكهربة ، وماكينة النور تكفى لاضاءة مدينة ، وحظك نار ، بمائة جنيه لهفتها والأرض فدانها بالف ، وصاحبها الخواجة يبكى ، فالعمر اضاعه ، يصنع من الجنينة جنة ، قنواتها بالأسفلت ، ونقل الفاكهة والخضار يتم بقطار صغير ذى عربات قلابة واوناش ، وخيم للرش وموتورات ، وببلاش أصبحت (بك) ، ولو كان ممكنا لتخطيت بأرض الخضار ومزرعة الدواجن والبهائم وخلايا النحل وحتى بتقطير زهر الياسمين وحده ، رتبة الباشا .

فلتكن مربوط .

الخواجة كان أحسن . الف مرة احسن خواجة على غير الدين والملة ولكنه لا يكذب ولا يغش ولم يذهب ليحج ومعه حقيبة ضخمة فارغة وعاد بملء عربة لورى بضائع للتجارة والاستهلاك .

الخواجة كان أحسن ، وكان فى أيامه وطنى صميم ووفدى قح ، وعباس السائق هذا نفسه كان حين يريد أن يسترضيه يضغط على (سيرينة) العربة النقل لتعزف ذلك الهتاف الموسوق: يحيا .. النحاس .. باشا .

خواجه واحسن وذمته انضف ولكنه ذهب لأنه كان يمت الى جنس كبير حرفته السرقة المنظمة المقننة والارهاب بالقتل العسكرى المباح والاحتلال طريقته فى السطو المسلح . خواجه واحد نظيف في عصابة قوامها عشرات الملايين من السفلة . وراح .

والجنينة فى الحقيقة لا كانت جنينة الخواجه ، ولا جنينة حسن بك (الكبش) سابقا حين لهفها لهفا . الجنينة جنينة حجلج . جاء ها وبها اربع شجرات (كازورينه) عجاف . جاءها وهى بور . حتى الحشائش لا تقوى على النمو فيها . وبيده . بيده وحده احيانا ، بحذائه ينغرز في الوحل . بالليالي يسهرها حتى الفجر . لا يزيد الري جرعة ماء او ينقص . ولا يزيد السماد ملليجرام او يتغير . بالبهائم رباها وعاما وراء عام تحيل بقاياها وعلفها الى طبقة أرض نيتروجنينة جديدة ، تختلط بالقديمة ، وبالطمي ، الاف الأطنان من الطمي والرمل ، من شيء كان كالراس الأصلع الخالي تماما حتى من الزغب ، شعرة شعرة راح يزرع . وحوضا حوضا راح



يزحف بالخضرة والخصب ، حتى ، بعد سنوات عشر ، اصبحت تلك المعجزة التى تتحدث باخبارها السنة المارين ركوبا فى اوتوبيس أو سيرا على اقدام بجوار الحمير المثقلة .

اصبحت جنة يستضيف الخواجة (شيميز) اصدقاءه ومعارفه ، وكل من يكاد يعرفه أو يلقاه ، ليريه (إيزابيلا) (فارم) ، كمن اكتشف المعجزة ، كمن حقق أكثر المستحيلات استحالة ، فى شرحه وحماسه ، ووجناته المحمرة يندمج ، وتنطلق دفعات الكلام من فمه صادقة أو كالصدق ، كانه هو الذى قام بالعمل وحده ، هو الذى غرس ، هو الذى قام على (المشاية) وسهر ، هو حتى ذلك الذى اقام هذه (الفراندة) الأصيلة التى لا مثيل لها ولا لروعتها . فى وسط «إيزابيلا فارم» تماما تقوم شجرة كازورينا هائلة الضخامة ، هي مع الكازوارينات الثلاث كل ما وجده فى الأرض حين اشتراها . يندمج تماما حتى ينسى إسما او تاريخا أو حادثة فيتلفت لحجلج افندى السائر متواضعا خلف الجميع ، الصامت تماما دونا عن الجميع ، الذى اعتاد على اغتصاب الخواجه لمجهوده ودوره ، حتى لم يعد يزعجه الأمر . فليتكلم ما يحلو له الكلام وليصمت حجلج تماما ، فثمة الف شيء تتحدث نيابة عنه ، كل شجرة ، كل عرق من شجرة ، كل تمرة مانجو ، كل عنقود عنب ، كل زهرة ياسمين ، كل نخلة ، كل (قرص) عسل نحل ، كلها دوما يراها ويسمعها بعين غير عين الجميع ، واذن غير اذن الجميع ، إذ باذنه وعينيه وحدهما يسمعها ، تبثه الشكر والحمد ، تغرقه فى اعترافها بالجميل الى درجة ان لو اشار لها بالكف عن النمو لكفت . ان تكف عن انتاج الثمار لكفت . الخواجة له الأرض وله النقود ، وله الشاليه المذهل ، وله ذهول الضيوف ، واهات انبهارهم ودهشتهم ، ولكنه هو الذى يملك ما هو أعظم من ذلك كله . يملك اجمل واروع حديقة حياة ارغمه هذا الفحل الأصلع على ان ينشئها فانشاها .

وكمن يشير الى برج ايفل ، يشير الخواجة الى شجرة الكازورينة ، لتكون المفاجأة ، اندفع يسرع راكضا ناحيتها ، والركب والركض يتبعه ، وهناك ، وكانما يكتشف فى التو معهم ، يتطلع ويتطلعون ، وفى أعلا مكان فى شجرة الكازورينة العالية ، حيث اقيمت ، من نفس الأفرع غير المهذبة (فراندة)



مستديرة مريحة ذات سور تحيط بالشجرة كلها . ومن نفس الافرع . وعلى نفس حالتها صنع للفراندة مقاعد ومناضد . وكالطفل الذى فقد اتزانه ، يبدا الخواجة شيميز يتسلق السلم المصنوع ايضا من الكازورينة . وليبدو وكانه مجرد فرع شنبت نهاياته قليلا . السلم والدرابزين . وخرطوم المياه الدقيق . وأسلاك النور التى طليت بنفس لون الشجرة . والمصعد ذو البكرات الذى يتحرك حاملا الطعام او العجزة الذين لا يستطيعون الصعود او اجهزة الموسيقى او ما شاءوا من صناديق الشراب ولان الأسئلة حينذاك تنهال بكثرة وبالفرنسية فى الغالب . ولان حجاج افندى له إلمام بها و (شيميز) يعلم هذا . ويعلم أيضا انه قد ظل انانيا الى درجة لم تعد تحتمل . يتحرك الضمير . معترفا أولا بان (برج) (الكازورينة) هو فكرة اراد حجاج ان يفاجئه بها حين استضاف وزير الزراعة يوما . ثم تتوالى اعترافاته . وحتى ما لم يعترف به بينه وبين نفسه يبدا من تلقاء نفسه يشير الى صاحب فكرته وخالقها . وحينذاك ، وحين تبدا العيون تحاصر حجاجا، وتبدا السيدات تضع النظارات تتفحص هذا الصامت العبقرى وتتامل انه هو الرجل المقصود . يصبح ارتباكه اعظم من ان يحتمل . ولابد ان يعثر . إن لم يبد وجيها او مقبولا . فالامر لا يهم . يختفى حجاج .

وتختفى الخواجات والطبقة . وفي اسبوع واحد يبدا شيميز الفرنسى يفكر فى البيع . ثم البيع . ثم تهريب الثمن . والاسبوع التالى يجيء عليه وهو فى مرسيليا وقد عاد الى (الوطن الام) بينما كان فى الحقيقة . وفى نفس هذا الوقت يبكى وقد احس لاول مرة انه فقد الوطن الام حقا . وقد ينجح شيميز وتكون له حديقة وضيعة ومزرعة . ولكنه ابدا لن يجد فى ذلك الوطن الجديد .. برج الكازورين . ولا حجاجا.

● ●

كما كان يعامل شيميز ظل يعامل حسن بك . لم يكن هناك ما يدعو لاستمساك حسن الكبش بالسيد حجاج هذا . إنه من عائلة قوامها الف رجل . كلهم فقراء . واولىٰ من حجاج بالعمل والماهية . ولكن ان يقلد الخواجة شيميز الذى اشترى منه المزرعة بابقاء حجاج (مديرا) للحديقة والمزرعة . بنفس راتبه . ومسكنه فى الركز الجنوبى للحديقة . ابدا ليس هو السبب الذى دفعه للاستمساك به . فالبند الذى ورد فى العقد خاصا بهذا الموضوع كان فى حد ذاته نكتة . بند لا يعنى شيئا ولا يشترط للفكاك منه جزاء كل ما فى الأمر انه يدفع للعجب . ان يتمسك المالك السابق بموظف عنده بهذه الطريقة مسالة لابد فيها سر . سر حاول شيميز ان يشرحه له اكثر من مرة بقوله ان حدائق كهذه ليست مجرد عقار او سلعة . إنها حيوان ومجتمعات كالبشر . ورعايتها تستلزم كرعاية اى اسرة . الحب والرعاية والتفانى والحنان . وحجاج هو ذلك الراعى والأب . وايضا . ورغم التكرار والتكرار محسن بك ظل يؤكد لنفسه أن فى الامر سرا . وآن الأيام كفيلة باظهاره . الشيء الاخر انه بدا يشرح لحجاج طريقته . وانه ليس خواجة . وليس (كروديا) . وانه بداها من عربة اليد . ويفهمها وهى طايرة . ويعرف فى الجناين وامورها اكثر من صاحب دكتوراه . وهكذا عليه . إذا اراد آن يستمر (ياكل عيشه) آن يطيع : كذا يعنى كذا .. مفهوم ؟!

يرمقه حجاج بعيون لاترمش . ولا تريد ان يخفى عليها خافية . نظرة تطول . وتؤوب الى راس ينخفض يفكر . من الآن عليه أن يدرك ان كل شيء قد تغير . ليس صاحب العمل فقط . ولكن عليه هو ايضا ان يتغير . بل ربما على الارض نفسها والشجر والزرع ان يتغير .

لقد كان شيميز يشعره أن الارض وإن كانت له . إلا أن كل ما هو أخضر فيها هو من صنعه ومسئوليته . وهكذا وعمره الآن تسعة وثلاثون عاما . اعتصر نفسه وشبابه . واحالها فاكهة خضراء وثمرا . وبينما اعاد للحديقة صباها وشبابها فقد هو كل صباه . واصبح من يراه يظنه فى الخمسين .

من الآن . عليه . كما فعل شيميز ان يبيع هو الخضرة كما باع الآخر الأرض . وأن يشترى صحته وحياته كما اشترى الآخر عنقه . ومادام حسن بك الكبش يريد ان يكون الصاحب والآمر والناهى والرأى رايه والتصرف تصرفه . فليكن الامر كما يريد . وليبدا ومنذ الآن دوره الجديد . ومادام (المدير) قد ذهب مع الخواجة الذى ذهب . فليكن دوره مع الصاحب الجديد الأمر . دور المامور المنفذ كذا يعنى كذا . حاضر .

حاضر وهى حاضر . الرى يعرف أن موعده خطا . وطريقته خطا . ولكن تاتيه الكلمة : ارو . حاضر . يروى .

وبدات المسائل ترتبك . ويستشير حسن بك الدنيا كلها . ويعيد ما كان يفعله بأراضيه الأخرى . ناسيا أن لكل أرض معدنها . وشخصية العنب الذى ينمو هنا . غير شخصية بنى جنسه ونوعه الذى ينمو هناك . ناسيا أن القواعد العامة شيء . والقواعد الخاصة التى تسنها الخبرة الطويلة شيء اخر . وكثير جدا من الأشياء تبدأ ترتبك .

وكان حريا بحسن بك (الكبش سابقا) أن يعزو الارتباك . ليس لما يصدره من أوامر . إنما يعزوه كالعادة لتنفيذ الحجلج السيء . ويجعل من هذا سببا وجيها لفصله والتخلص منه .

أنصاف الثائرين

وهو بالضبط ما كان يتوقعه حجاج وظل يتوقعه .

ولكنه الشيء الذي لم يحدث .

والذي ظل الحجاج يضرب أخماساً في أسداس ، متسائلا عن سبب عدم حدوثه . وأنى لحجاج أن يعرف أن العلة في القلة .

وأنها شربة ماء كانت ، ولكنها هي نفسها الشربة التي لولاها ما كان قد أصبح هكذا تائه الليل ، في طريقه الى انيس أفندي عبر قنوات وطرق غير ممهدة الى مريوط ، والليل قد خلي ، وسجي ، ولا ندم ، وكنكك لا فخر . ما حدث حدث ولابد ان يحدث ، بل حتى هناك في هذه الوقفة ما يستحق الفخر رغم أن فيها وسبقها ما يستحق كل خجل .

الثورة محدودة ، وحين ثار . كعادته حين كان يثور أيام الخواجة ، ويتلقى الخواجة الجانب الموضوعي من ثورته ولا تهمه الطريقة ، بل أحيانا كان يستحسنها ، كانت الثورة تأتي بنتيجة وفي الحال .

هذه المرة ثار فقد أمره حسن بك بتقليم العنب ، والتقليم الآن معناه أن يقتله قتلا . ولكنه الأمر ، وقد تعود أن يرضخ . هذه المرة صمم تماماً أن يقول لا ولكنه لسان حسن بك خرج ولم يعد ، خرج طويلا سافلا يلعن اباءه وأجداده . احتج . نصف احتجاج . فبنصف عقله الآخر كان يحسبها . فاذا استمر في الأمر فالفصل مصيره ، والفصل يعني أن يبحث ليس فقط عن عمل آخر ، وإنما ، وهذا هو الأدهى والأمر عن سكن آخر ، فالسكن تبع العمل ، ويعني أن يلف البلاد كلها طولا وعرضاً يبحث عن زملائه من نظار الجناين ومأميرها ومديريها عن وظيفة ولو وظيفة خولي . بشرط أن يجد المأوى في حجرة ، ولو في حجرة . وهنا سكت نصفه الموافق ، وأوقف نصفه الثائر وقلم العنب . ومات العنب .

ومن بركان سفلي بشع خرج غضب حسن بك . يا حمار . هكذا عيني عينك قالها . لماذا قلمت العنب . ولكن هذه أوامرك . ومن قال لك أن تطيع أوامري ؟ سعادتك الذي قلت : كذا يعني كذا . ولماذا لم تعارض الى النهاية . لقد كنت أنا أفكر في التراجع اذا واصلت أنت المعارضة . ولكنك وافقت .

لماذا يعرف الخطأ ولا يقول لا ويظل يقولها حتى لو قامت القيامة ؟!!

والنتيجة : أنت مرفود . ابحث لك عن عمل .

ولكن أولادي . أنا لا بيت لي . لابد أن أذهب أبحث عن بيت وعمل وأنتقل اليهما .

من الغد عفشك بره ، وأنت مرفود ، واذا بقيت لحظة ساسلخ جلدك . وخذ . ورمى اليه بعشرين جنيها قيمة (المكافأة) .

ولم يكن هناك مناص فارخص وسيلة هي عربة النقل التي يملكها عباس الأعمش والتي لا يقودها إلا في الليل خوفاً من ضبطه بلا رخصة وقد سقط في امتحان النظر ثلاث مرات ، والى الطرق الفرعية المنحنية والمنحدرة والصاعدة والهابطة ، ينشال اللوري وينحط ، ويميل ويكاد ينهال في الترعة والمصرف ، والعائلة مكومة في الكابينة ، وعباس يراه بعينه ، كلما نقل عصا الفيتيس يلمس ركبة امرأته ، وحتى ابنته ذات الأربعة عشر عاما ، متعللا بعصيان العصى ، والليل قد خلي إلا من جئير الموتور المنهك ، جعجعة الدبرياج ولسات الأعمش .

وانيس أفندي يخرج من منزله في مريوط مذعورا في منتصف الليل يعتذر . لا يعرف عملا . لا يعرف مكاناً للاقامة . زوجته مريضة وابنه يعاني الحمى وهو مدثر ببطانية . وأنا أسف يا حجاج . أنا آسف . الظروف قوية ، والعمل صعب ، والمزارع والجناين قلت ، ولماذا لم تبلغها يا أخي ؟

وعباس يقول لنفسه ، ولماذا ، مادام هذا هو المصير كنت لا أخلع الحذاء وانهال به على الراس الأصلع للكبش حتى أدميه ، وعلى الأقل أخرج بكرامتي ولكنه لابد مصير انصاف الثوار .

والليل قد خلى مرة أخرى إلا من لوري ذي سائق أعمش وعائلته تبحث عن عمل مأوى أو عن مأوى عمل والموتور يزار ، وعباس يغني في الليل لما خلي إلا من الشاكي ، والروح على النوح .. وينسى بقية الأغنية ليمد يده الى عصا الفيتيس ، والى ما أصبح فوق فوق الركبة ، ثم يتذكر عباس بقية الأغنية ويجار بصوته : للصفر الشاكي .. والليل يمتد ويستشرى ومن بحر الى محيط يصبح ، والعربة بركابها تغرق فيه وتغرق ، ولا حتى من نجمة قطب عند الفجر تشهد .

د. يوسف ادريس



عينان

شعر: فتحي سعيد

عينان
لو كانتا .. لكان
وحشيتان
جميلتان
غريبتان
مجهولة الأبعاد والألوان
لكنها عينان ..

نقش الوهاد الخضر ...
بحة الكمان
فالكون مهرجان
لكنها عينان .!

● ● ●

عينان
لو هانتا .. لهان
بركان
ربما .. لو انها البركان
بستان
عندما .. تعبق فى البستان
شقائق النعمان
نجمان
كلما .. عانقت ظلمة المكان
يضوان ظلمة المكان والزمان

● ● ●

عينان
حوريتان
جنيتان
سفينتان
أقلعتا بلا ربان
ابحرتا لغير ما شطئان
كموجة من بحرها فرت الى ظمآن
مسكية الأهداب والدنان
راحان أم ريحان ؟
زفت الى نشوان
فمال بالميزان .. !
لكنها عينان !

● ● ●

عينان
يمامتان
بريتان
ترفرفان
على روابى السهد .. ،
فى حدائق الأجفان
وتعزفان
للشوق .. أعذب الألحان
وتعشبان

عينان
يتيمتان
مدهامتان
نضاختان
رفت فماد حولنا الايوان
بلقيس .. والتاجان
كسرى أنوشروان
ماء السماء المنذر النعمان
وشبت النيران ! .

د. محمد الغباشي ربيع



الغزال

أجمل كائنات المملكة الحيوانية

يعتبر الغزال واحدا من اجمل اعضاء المملكة الحيوانية ، واكثرها وداعة ورقة ورشاقة . ولهذا السبب تسمت بعض النساء باسم « غزالة » و « ظبية » و « ريم » .

وقد استعار كثير من الشعراء العرب صفات الغزال فشبهوا المحبوبة به . وفى ذلك يقول المتنبي :

بدت قمراً ومالت خطوط بان
وفاحت عنبراً ورنت غزالا

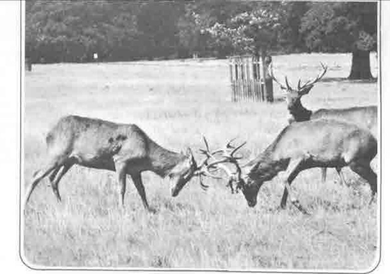
والغزلان أو الظباء حيوانات برية من ذوات الظلف المشقوق والمعدة المركبة وهى من آكلات الأعشاب وتعيش فى الصحراء وبين الغابات بل وعلى قمم الجبال وبين الوديان .

والغزال اسم للصغير من الظباء ذكراً كان أم أنثى ، ثم إذا ظهر قرناه سمي الذكر « ظبي » و الأنثى « ظبية » ـ ويطلق على الذكر الصغير جدي والأنثى عناق .

والغزلان من الحيوانات التى صاحبت الانسان منذ القدم . وتاريخ الغزلان عريق وقديم وخاصة تلك التى كانت ترتبط بالالهة « ارتميس » حامية الحيوانات البرية والتى كانت تقدس كالهة للصيد وتقام لها المهرجانات السنوية في مناسبات معينة .

حياة وسط المخاطر

والظباء أو الغزلان حيوانات مطاردة فى الطبيعة ، ومنذ أن كتبت لها الحياة وسط أفراد المملكة الحيوانية عاشت





مهددة من الحيوانات المفترسة وشكلت فى معظم الأوقات غذاء شهياً لها ،وربما كان ذلك لجودة لحومها الى جانب انها حيوانات وديعة وخلوقة تجردت من وسائل الدفاع الطبيعية كالمخالب والانياب القوية والتى تستطيع بها الحيوانات الاخرى أن تدافع عن نفسها او تعتمد عليها فى الحصول على الغذاء من لحوم الحيوانات الأخرى كما هو الحال عند الأسود والنمور والقطط البرية .

ولكن توجد للغزلان قرون فى الذكور دون الاناث فى بعضها او فى الأثنين معاً وربما خلت بعضها من القرون ذكوراً وإناثا ـ وحتى معظم تلك القرون ضعيف لا يمكن الاعتماد عليه إلا فى مواجهة عدو ضعيف .

وتحظى الغزلان بسيقان نحيلة قوية وجسم رشيق ممشوط القوام يساعدها على الهرب بسهولة وربما سقطت فريسة لا حول لها ولا قوة .

وبالرغم من هذا وذاك فانها كافحت وجاهدت طويلا لكي تثبت انها قادرة على الحفاظ على نوعها من الانقراض وسط عالم يتربص بها .

ويلعب الانسان الى جانب الحيوانات المفترسة دورا كبيرا فى القضاء عليها ، فقد امتدت يده اليها طمعا فى لحومها وجلودها وقرونها .

وفى بعض الدول تقوم حملات الصيد المكثفة باستخدام السيارات والأسلحة الحديثة والشباك فى مطاردة تلك الحيوانات فتصاد بكميات هائلة وذلك للاحتفاظ بها فى الحدائق العامة أو لبيعها لدول اخرى خلت من بعض هذه الأنواع النادرة من الغزلان .

والظباء حيوانات حساسة ورقيقة للغاية فعندما يصرع احد افرادها أمام بقية القطيع فان بعضها يموت كمداً وحسرة على موت رفاقه !

الرشاقة عنوانها !

ومن الصفات العامة للغزلان رشاقتها وسرعتها التى تصل الى سبعين كيلومترا فى الساعة ، والغزلان تتميز «بفرطوستها» الكثيفة الشعر وأسنان غير عريضة ، أما القرون ففى بعض الأنواع تكون مضغوطة ومتشعبة وهى غالباً قرون غير مستديمة تتساقط سنوياً وتعود لتنبت قبل موسم التزاوج . وفى بداية نموها تكون مغطاة بطبقة ناعمة من الانسجة التى تشبه المخمل فى ملمسها واحيانا تكون تلك التشعبات بعدد سنوات عمرها ! .

وفى أنواع اخرى تاخذ القرون شكل القيثارة ، وهذه الانواع غالباً ما تكون القرون فيها مستديمة وقوية إلى حد ما ، كما وأن هناك انواعـا من الغزلان لا تتواجد القرون فيها إلا فى الذكر ، والبعض الآخر تتواجد القرون فى الجنسين معا كما هو الحال فى الكاريبو



الغزال





الأمريكى والرنة ، والغزلان العربية . وفى أنواع أخرى لا تتواجد القرون بتاتا ولكن يوجد زوج من الأنياب فى الفك العلوى كما فى غزال المسك .

وتختلف الغزلان اختلافا كبيرا فى بنيانها فتتدرج من الغزلان الصغيرة التى تكون فى حجم الأرنب الى العلاندات الكبيرة التى تزن مئات الأرطال. إلا أنها جميعا تتميز بالرشاقة وسرعة العدو والقفز لدرجة أن بعضها يستطيع القفز مسافة ثلاثة أمتار كما هو الحال فى بعض الظباء الافريقية .

ومعظم الغزلان يغطى جسمها شعر بني اللون وقليل منها منقط أو مرقط ببقع بيضاء اللون قد تغلب على لون الشعر البني .

والغزلان حيوانات اجتماعية بطبعها ترعى فى جماعات وتأخذ لها دليلا ربما كان فى غالب الأمر من الاناث البالغات . فذكر الغزال بالرغم من أنه أقوى من الانثى إلا أنه أودع منها حيث يترك الأمر لها لتتولى قيادة المجموعة .

والظباء من الحيوانات المغلوبة على أمرها وتعتبر من أشدها نفوراً. وحرصا على الهرب وإذا شعرت بالخطر فى مكان ما هجرته ولا تحاول الاقتراب منه مرة أخرى حتى ولو كان ظل شجرة فى صحراء قاحلة شديدة الحرارة ، وإذا أرادت الاحتماء فى مكان ما دخلته بظهرها لكي تتأكد من أن أحد لا يتبع خطواتها .

والغزلان التى تعيش فى السهول تتحرك فى جماعات كبيرة ولكنها تقل فى الغابات والأحراش بل أن بعض الجماعات لا تزيد عن ذكر وانثى فقط .

ويوجد من الغزلان فى الطبيعة

اربعون نوعا تقريبا تختلف في احجامها فهي تتدرج من غزلان البورو الشيلي والذي يبلغ عرض كتفيه ٣٢,٥ سم الى غزلان الموظ في امريكا الشمالية الذي يبلغ طوله ٢١٠ سم ويزن حوالي الف رطل .

ولقد نقل الرومان غزلان مروج البحر المتوسط إلى اوربا ثم ادخلت بعد ذلك الى امريكا الشمالية والجنوبية وجنوب افريقيا واستراليا ونيوزيلاندا .

اما الغزال القطبي او الكيتال والذي كان في وقت من الأوقات متوافرا في الهند وسريلانكا فقد أصبح الآن نادرا بسبب إزالة الغابات ومنافسة الماشية المستانسه له في المراعي .

اما غزال « الأب دافيد » فيكاد أن يقترض ، ولا توجد منه إلا اعداد قليلة في بعض حدائق الحيوانات .

الغزال في قطر

وتعتبر الغزلان العربية من أشهر انواع الغزلان في العالم نظرا لجمالها ورشاقتها ، وهي تعيش في معظم الدول العربية . واشهر انواعها ذاك الذي يتواجد في صحراء مصر وشبه الجزيرة العربية ويسمى في منطقة شبه الجزيرة العربية (الريم) ، وكان هذا النوع منتشرا باعداد كبيرة ولكنه تقلص نتيجة لتعمير الصحاري .

إلا ان بعض الدول العربية تعمل الآن جاهدة للمحافظة عليها فمنعت صيدها واحتفظت باعداد كبيرة منها في مزارع خاصة ووفرت لها العناية والرعاية لتعطيها الفرصة للتكاثر . وتعتبر دولة قطر من الدول الرائدة في هذا المجال فهي تمتلك أعدادا وفيرة منها ووفرت لها الظروف المعيشية المناسبة ، وتقوم وزارة الصناعة والزراعة بالاشراف الطبي على تلك المزارع لحمايتها من الأمراض وارشاد المواطنين الى الطرق المثالية في تربيتها والتي تؤدي الى ارتفاع نسبة الاخصاب بينها .

عظمة الخالق

ومن الغزلان ما يسمى بالغزال النباح وسمي كذلك لما يحدثه من صوت مرتفع حاد يشبه النباح ـ وهذا النوع صغير الحجم ويصل وزن الحيوان البالغ الى اربعين رطلا والذكر له قرون متشعبة ، اضافة الى زوج من الانياب في فكه العلوى ويعيش هذا النوع في الغابات الكثيفة على طول الانهار والجداول . ومن صفاته الهجرة الى مسافات طويلة . ومن صفاته الجبن والاستسلام أمام أضعف الاعداء اذ تقتله الكلاب البرية وحتى القطط أيضا تستطيع التمكن منه وهو متكلف في مشيته ، فهو يمشي ورأسه مائلة الى أسفل .

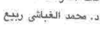
ويعيش غزال « مارش » في جنوب امريكا حول المستنقعات وفي الغابات وحول الأنهار وهو أكبر الغزلان حجما في تلك المناطق ، فيزن الذكر البالغ مائتين وخمسين رطلا ، وشكله يميل الى اللون الأحمر صيفا ، وإلى اللون البني الداكن شتاء ، وهو يختفي في الأراضي الرطبة المبللة ذات المراعي التي تشبه جسمه والتي يختفي بينها مما يصعب على الصيادين والحيوانات المفترسة التمكن من صيده ـ ويعتبر من الغزلان الشجاعة فهو كثيرا ما يرعى قريبا من الابقار والخيول في تلك المناطق الى درجة الاقتراب كثيرا من المناطق السكنية وهنا تكمن الخطورة على حياته فيدفعها ثمنا لشجاعته .

الغزال .. والمسك

وعند الحديث عن الغزلان أو الظباء يخطر على بالنا المسك وغزال المسك ، فغزال المسك نوع غير عادي من الغزلان وهي تعيش في الغابات المرتفعة وسط وشرق اسيا والذكر والأنثى فيها مجرد من القرون ، لكن الذكر له زوج من الأنياب البارزة من فمه والمتدلية الى أسفل تبرز من فكه العلوى ، والواحد منها يشبه الخنجر الصغير وهي فقط وسيلة الدفاع عنده ـ والذكور لها غدد خاصة تنفرد بها عن سائر جنس الغزلان ، وهذه الغدة في حجم البرتقالة وتقع اسفل البطن وتسمى غدد المسك وتقع تحت الجلد مباشرة ، وبعد فترة من الزمن تنضج محتوياتها فيلجأ الغزال الى الصخور ليحك غدته بها في محاولة للتخلص من مسكه فيترك المسك عليها فيحضر الباحثون لجمعه ، وهو يستعمل كاساس لأجود وأغلى انواع العطور العالمية ـ أما إذا صيد الغزال قبل أن ينضج مسكه في غدته فانه لا يحقق الغرض المطلوب منه .

واخيرا .. فلنراجع انفسنا ، ولنحترم حياة حيوان وديع يبهرنا بجماله ورشاقته وعطره ، ثم نسعى لقنصه واستئصاله . لنكف كلنا عن هذا العبث ، ولنعفو عن المتهم البريء لكي لا ينضم الى قافلة الحيوانات المنقرضة .

د. محمد الغباشي ربيع



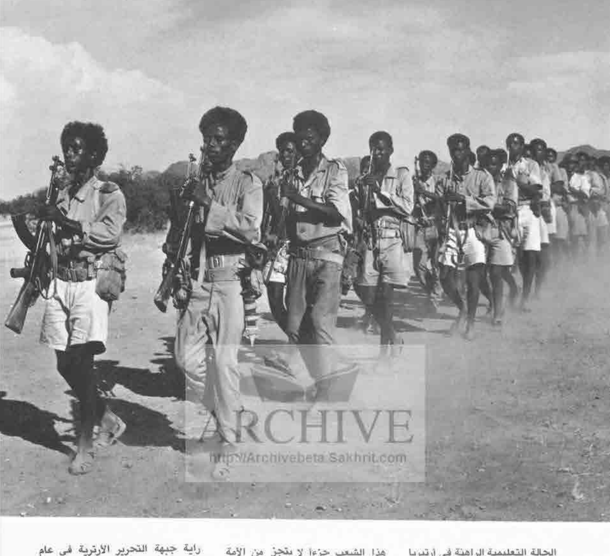


أنقذوا الثقافة العربية في أريتريا

يواجه الجهاز التعليمي الأرتيرى مشاكل عديدة ، معظمها يرجع فى المقام الأول إلى التمويل . إن التعليم فى إرتيريا لا يستند إلى مقومات مادية ثابتة من اية جهة . إنه يعتمد على المساعدات التى تقدم له من تنظيم قوات التحرير الشعبية ، ومن تبرعات الاريتريين العاملين فى الخارج وبعض تبرعات من افراد فى العالم العربي والاسلامي .

ولهذا فان الدول العربية ، والمنظمات ، والأفراد المقتدرين فى العالم العربي مدعوون للاسهام فى الدفاع عن الثقافة العربية الاسلامية التى تتعرض لهجمات شرسة من مختلف القوى المعادية للعروبة والاسلام .

بقلم : عثمان صالح سبي



الحالة التعليمية الراهنة فى ارتيريا تعكس حالة الصراع الحضارى والثقافى على مدى التاريخ بين الاسلام وخصومه فى هذه المنطقة ، فمنذ أن دخل الاسلام فى القرن الأول الهجرى عن طريق الجاليات العربية النازحة من الجزيرة العربية ، وشكل فى حوالى القرن الثالث الهجرى سبع سلطنات اسلامية عرفت فى التاريخ العربى ببلاد الطراز الاسلامى ، منذ ذلك التاريخ والصراع بين الحضارتين والثقافتين ـ الاسلامية العربية من جهة والحبشية من جهة اخرى ـ لم ينقطع ..

وهذا الصراع الراهن حاليا بين ارتيريا واثيوبيا هو امتداد لذاك الصراع القديم ، فقد توطدت الحضارة العربية الاسلامية فى ارتيريا حتى غدا هذا الشعب جزءاً لا يتجزء من الأمة العربية الاسلامية ، وحتى صارت اللغة العربية لغته الاساسية ، ولهذا فان قرار البرلمان الارترى فى عهد الاتحاد الفيدرالى عام ١٩٥٢م باتخاذ اللغة العربية لغة رسمية للبلاد بموجب المادة ٣٨ من الدستور الأرترى ، كان إنسجاماً مع واقع الشعب الأرترى الثقافى ، على الرغم من المعارضة الشديدة التى اظهرتها الحبشة ضد هذا القرار ، ولكن ما إن تمكنت الحبشة من الغاء القرار الفيدرالى وسيطرت على ارتيريا عسكرياً حتى بادرت الى منع استعمال اللغة العربية فى الدواوين الرسمية وفى المدارس ، مما أدى الى ثورة شعبية عارمة فى عام ١٩٥٨م ، وصلت فى النهاية الى إعلان الكفاح المسلح تحت راية جبهة التحرير الأرترية فى عام ١٩٦١م ، وتركز اهتمام الجبهة على مقاومة الغزو الثقافى الحبشى فانشات المدارس الابتدائية فى الريف المحرر لتدريس اللغة العربية والدين الاسلامى ، كما أرسلت البعثات التعليمية الى الدول العربية ، وبالأخص الى مصر ، حيث بلغ هذا العدد خلال العشرين عاماً الماضية أكثر من عشرة الاف طالب أرترى بعضهم تخرج من المعاهد والجامعات والبعض الآخر مازال يدرس فى مختلف الأقطار العربية ..

مشاكل التعليم

وفى عام ١٩٧٦ انشات قوات التحرير الشعبية لجبهة التحرير الأرترية جهازا

أنقذوا الثقافة العربية في أرتريا



للتعليم اطلقت عليه جهاز التعليم الارترى ، ليقوم بدور وزارة التربية والتعليم ، وعلى الرغم من الصعوبات المادية والمعنوية التى واجهت هذا الجهاز فانه استطاع ان يفتح مدارس ابتدائية ومعاهد دينية وخلاوى قرانية فى الريف الارترى ، وكذلك فى معسكرات اللاجئين فى السودان ، حتى زاد عدد الدارسين فيها اكثر من خمسين الف طفل من بينهم ١٥ الف طفل فى مدارس اللاجئين بالسودان ..

وأعد هذا الجهاز منهجا خاصا للتعليم باشراف اساتذة متخصصين من السودان ، وسيطبع هذا المنهج على نفقة جامعة الملك عبد العزيز بالرياض خلال العام الدراسى الحالى لتوفير الكتب المدرسية المناسبة للطلاب ..

وفى الوقت الحاضر فان هذا الجهاز يعتمد على الكتب الدراسية التى حصل عليها من بعض الدول العربية ، وبالاخص المملكة العربية السعودية التى تبرعت بنحو ربع مليون كتاب دراسى خلال هذا العام ..

المقومات الثابتة

ويواجه الجهاز التعليمى الارترى مشاكل عديدة . معظمها يرجع فى المقام الأول الى التمويل . فالواقع يدل على ان التعليم فى ارتريا لا يستند الى مقومات مادية ثابتة من اية جهة ولكنه يعتمد على المساعدات التى تقدم له من تنظيم قوات التحرير الشعبية ومن تبرعات الارتريين العاملين فى الخارج ، وبعض تبرعات من افراد فى العالم العربى والاسلامى ..

ولهذا فان الدول العربية والمنظمات والافراد المقتدرين فى العالم العربى مدعوون للاسهام فى الدفاع عن الثقافة العربية الاسلامية فى هذا القطر المجاهد خاصة واننا نواجه منافسة من المنظمات التبشيرية والمؤسسات التعليمية الأوربية التى تحاول جذب ابناء اللاجئين بصورة خاصة الى مؤسساتها التعليمية لابعادهم عن ثقافتهم العربية الاسلامية ، وتبذل فى سبيل ذلك شتى انواع المغريات كتقديم بعض الوجبات الغذائية والملابس مجانا ، وبناء مدارس مزودة بالوسائل العصرية ، فى حين تقوم مدارسنا بتعليم الأطفال داخل اكواخ طينية وخشبية قابلة للتلف بفعل الامطار سنويا ، وبعض هذه المدارس لا توجد به مقاعد للطلبة فيضطرون لتلقى التعليم وهم جالسون على الارض ، وتراهم مقبلين على اللغة العربية بملابسهم القديمة المرتقة وبطونهم الخاوية ، حتى يضطر الطفل وقت فترة الراحة بين الدروس الى ترك المدرسة والبحث عن الطعام بشتى الطرق فى المدينة او القرية التى يعيش فيها ، لدرجة انك تجد احيانا ان الفصل الدراسى الذى يضم سبعين طفلا ينخفض الى عشرين طفلا فى منتصف اليوم الدراسى ، مما يولد الاضطراب فى نظام التدريس ويحرم عددا من هؤلاء الطلبة من متابعة الدروس ! .

مشكلة المعلم

هذا الحال المؤلم للتعليم فى ارتريا ، يدفعنا الى ان نناشد ذوى الضمائر الحية من ابناء العروبة والاسلام واصحاب المروءة والنخوة ان يمدوا يد العون والمساعدة لهذا الجهاز التعليمى





«معهد النهضة الاسلامية للاجئين الاريتريين» .. ومجموعة من طلابه يتدارسون العلوم الاسلامية في ساحة المعهد . وفي الصورة الأخرى احد المعلمين الاريتريين يقوم بالتدريس لبعض الفتيات

حتى يقوم بدوره الانسانى والثقافى فى الحفاظ على الثقافة العربية الاسلامية التى تتعرض لهجمات شرسة من مختلف القوى المعادية للعروبة والاسلام .

إن مشكلة التعليم فى ارتريا اصبحت اليوم معقدة غاية التعقيد ، فضعف الامكانيات المادية أدى الى هبوط اجر المعلم ، وهذا بالتالي ادى الى هجرة أغلب المعلمين الى خارج البلاد ، ومع ذلك فاولئك الصامدون منهم يعيشون وسط حياة كلها معاناة حقيقية بمرتب شهرى لا يتجاوز خمسين دولارا فى الشهر ، ومع غلاء الحياة المعيشية فى كل انحاء الدنيا فان هذا الأجر اصبح لا يكفى لايجار البيت ، إلا ان هؤلاء المعلمين المتطوعين يتحملون شظف العيش جهادا فى سبيل لغتهم ودينهم ..

شاهدة على المأساة

وغير ذلك ، هناك مشكلة الأطفال الارتريين اللاجئين من الايتام الذين لا عائل لهم فى السودان ، وهؤلاء نجد ان جهاز التعليم يجد نفسه مطالبا بمساعدتهم شهريا بما يحافظ على حياتهم بمبلغ لا يتجاوز ستة دولارات لكل فرد فى الشهر ..

وقد شاهدت محسنة كويتية هى السيدة الفاضلة غنيمة المرزوق صاحبة مجلة اسرتى هذه المأساة امام عينيها ، وكانت معها السيدة الفاضلة لولوة القطانى ، فتحركت فى قلبيهما الشفقة على الطفل الشريد الجائع الضائع ، فقررتا إقامة مدرسة تضم الف طفل من ابناء اللاجئين على نفقتهما الخاصة وبالتعاون مع المحسنين من ابناء الكويت ، وأطلق على هذا المشروع بيت الطفل الارترى ، وهو تحت التشييد ..

واملنا ان يحذو أبناء الأمة العربية والاسلامية حذو السيدتين الكويتيتين باقامة مشاريع مماثلة لأبناء اللاجئين ، وبالتنسيق والتعاون مع جهاز التعليم الأرترى الذى يقوم ـ بالاضافة الى تعليم ابناء اللاجئين ـ بمجهودات كبيرة للحفاظ على الثقافة العربية الاسلامية فى الريف الأرترى المحرر ، وبمساعدة المدارس العربية والاسلامية القائمة اصلا فى بعض المدن الأرترية ..

ان صراعنا الثقافى لا يقل اهمية عن صراعنا المسلح من اجل الحرية والاستقلال ، فحالة الحرب المستمرة منذ اكثر من عشرين عاما أدت الى اغلاق معظم المدارس الحكومية والأهلية ، كما ان قلة الامكانيات منعت الغالبية من السفر الى الأقطار العربية لاكمال تعليمهم ، يضاف الى ذلك ان الصراع الأرترى الأثيوبى يعكس فى جوهره صراعا حضاريا ثقافيا يتمثل فى الرفض العنيد من قبل الأنظمة الأثيوبية المتعاقبة للثقافة العربية الاسلامية ، يقابله تمسك عنيد من قبل الأرتريين بلغتهم العربية وثقافتهم الاسلامية .. وهذه الدوافع هى التى جعلت المناضلين يهتمون بالتعليم بدرجة لا تقل عن اهتمامهم بالقتال من اجل التحرير الوطنى ، ومن هنا فان الامة العربية مدعوة للاسهام فى الحفاظ على ثقافتها ودينها ولغتها فى هذا الجزء من وطنها العزيز ، بصورة عملية وليس بالكلمات او العواطف او الوعـود ..

عثمان صالح سبى



بماذا يستطيع أن يحلم؟

"... إلى بدر شاكر السياب"

شعر: محمد علي شمس الدين

(١)

لم يكن نائماً

كان مثل الحصى في سرير المياه

هادئاً

وعميقاً

قلت قبل الدخول إلى بابه المشرقى

أخوض إليه الوحول القديمة

وقد أزهـرت

أضم الى شفتي زهرة غامضة

وأطرحها عند أقدامه ..



(٢)

هيه ... بدر المغنين
ماذا أسميك ؟
أناديك جوهرة الموت
وأحبس فيك الجبال
وأحبس فيك عروق الذهب
وأعلم أنك حر كطفل
أو النار
بدر المغنين
ما لأحلامنا كالمصابيح يطفئها الحارس البلدى

ويترك ما يترك البحر من وشل الموج
فوق الرمال

علفاً للكلاب الشريدة ؟

(٣)

قلت قبل الدخول الى بابه المشرقى
ساعرف سر الذى قال :
« ... عريت جرحي ... »
وفاجأته :
لم يكن نائماً
كان مستلقياً تحت رمانة
جذعها فى الخليج
وأغصانها فى دمي
لم يكن نائماً
كان مستلقياً تحت أغلاله
ولا يعرف العابرون
سوى أنه
رجل ناحل
فى مهب الجنون .



البالونة

بقلم الدكتور طـــه وادي

قال الراوى :

ياسادة ياكرام ، صلوا على طـه خير الأنام . الليلـة أروى لكم حكاية ، لو كتبت بالابر على أوراق الزهر لكانت عبرة لمن يعتبر .

بينما الراوى مشغول بقص حكاية سعد اليتيم ، كان الخفير عبد الجابر تائهاً وسط الكتل البشرية التى احتشدت فى فرح كارم مدرس الابتدائى . القرية ليس فيها أية وسيلة للترفيه لذلك حين يوجد فرح او ماتم تجد الكل موجودين .. الليل طويل .. ليل الغلابة . كان كل واحد من الحاضرين فى عالم خاص . أصدقاء العريس يهنئونه وهو يلبس جلباباً أبيض ، صبغ يده اليسرى بالحناء .. فالليلة لية الدخلة . الولد «يمانى» الحلاق يجلس على يساره ، أمامه صينية من النحاس مليئة بالنقود ... بالنقطة ... ، فكل واحد عليه اليوم أن يرد له ما سبق أن اخذ منه .

ـ شوبش ياحبايب العريس .. شوبش .

عبد الجبار فى دنيا اخرى . لا هو مع العريس واصدقائه الذين يقدمون له بين حين واخر سيجارة محشوة .. ولا مع الراوى الكفيف الذى تعلق الجمهور بين فمه وربابته .. الجمهور يتابع القص فى جوع شديد . عبد الجبار توسط له الشيخ عمران إمام المسجد عند العمدة حتى ادخله سلك الخفر . رجل فقير وعنده عشرة من الأولاد . أحس أنه بالوظيفة الميرى ـ أربعة جنيهات فى الشهر ـ ويعمل الاولاد ، سيدبر حاله ويطعم عياله . يتمنى أن يعلم ولداً فى المدارس ، يلبس بدلة ونظارة مثل أولاد الذوات . ياسلام ياعبد الجبار لو يكن لك ولد طبيب أو مهندس .. أو حتى مدرس ابتدائى .. المهم أن يكون موظفاً فى الحكومة .. على رأى المثل إن فاتك الميرى تمرغ فى ترابه .

ـ اسمع يا عبد الجابر انت تعمل باليومية نهاراً وفى الليل تسهر فى دارك .

ـ نعـم .. ياشيـخ الخفر .

ـ عنـدى لـك شغلة عظيمـة .

ـ ربنا يعمـر بيتك ويخليك لينا .

ـ تحرس حديقة برتقال العمدة .

حين استلم عمله فى الحديقة كان يحس بالزهو ، وهو يسير وحده فيها . بدا يتابع نمو البرتقال فى صمت وصبر . زهر البرتقال جميل الرائحة يملأ الدنيا عطراً . تحولت الزهرة البيضاء الى ثمرة خضراء مثل الليمونة .. أخذت تكبر .. تكبر و لكنها تظل خضراء . يتحول اللون الأخضر تدريجيا الى صفرة خفيفة ثم ماتلبث أن تصبح صفراء فاقعة . من العش شرق الحديقة يتامل البرتقال ينمو فى بطء ، والعالم يتحرك فى هدوء . صار لا يذهب الى القرية إلا نادرا . امرأته تحضر له العشاء كل ليلة ، تثرثر معه حول اخبار الأولاد واحاديث القرية ..

ـ ياسلام ياعبد الجبار لو تكون هذه الحديقة ملكاً لنا .. !!

ـ أخرسي ياوليه .. لا تفكرى فيما ليس لك .. تتعبين .

ـ لكن ياعبد الجبار ..

ـ ماذا . ؟

ـ اللى يبيع السم لابد أن يذوقه .

ـ قولي بصراحة ماتريدين ؟

ـ جوال من البرتقال ، نبيعه فى السر،



ولا من شاف .. ولا من دري .

– لن ياكل أولادى من حرام .

–اليس حراماً ايضاً ان يجوع أطفالك والخير يطفح من جيب العمدة ؟

– حد الله بينى وبين الحرام .

حواء اخرجت آدم من الجنة حين طلبت منه تفاحة . اليوم صبرية تطلب من زوجها برتقالة . زجر زوجته بخشونة حين صرحت له بالفكرة . لكن الوسواس الخناس ركبه . ظل يفكر فى الأمر من شمال ويمين .. ومن فوق وتحت . ماذا يحدث .. هل سينهد الكون ؟ إنه مجرد جوال من البرتقال يجمعه فى الليل ويعطيه لأم الخير بائعة الفاكهة وياخذ .. ياخذ منها جنيها كاملا .. أخضر ، عليه صورة فرعون . الجنيه لن يضلع العمدة ولن يدرى ماحدث .. فهو يبيت كل ليلة فى المنصورة . لكن الجنيه جلباب لصبرية .. رطلان من اللحم للأولاد .. علبة سجائر ماكينة ، سيخرج السيجارة من العلبة فى فرحة وكبرياء ، يشعلها بعود الكبريت ويلعن الجوزة التى قطعت انفاسه .

افاق على صوت الراوى يشد أوتار الربابة استعداداً للغناء . اخذ صوته يهدأ .. يهدأ .. وهو يقول :

هذا ماحدث لسعد اليتيم من المصائب والأخطار، والحوادث والأسفار ، وما تحمل فيها من أنواع العذاب والام الأغتراب ... وهنا ياسادة ياكرام لابد ان تعلموا أنه لا ينفع حذر من قدر ، وأن المكتوب على الجبين لابد أن تراه العين فلا مفر من القضاء للمحاذير ، وما احسن قول الشاعر :

مالا يكون فـلا يكـون بحيلـــــة
أبـــداً وماهــو كائـــن سيكـــون
سيكـون ما هــو كائــن فــى وقتـه
وأخــر الجهــالة دائماً مغبـــون

عاد عبد الجبار الى بحر الآلام داخلـه . يحس انه يحمل جبلا من الهـم . الأوهام الزرقاء تملأ دماغه . لعنك الله ياصبرية .. انت السبب . فتش عن المراة .. المراة وراء كل مصيبة .. مسكين يأادم .

– هكذا ياعبد الجبار يكون حاميها حراميهـــا .

– استر علي ياعم مصطفى الله يستر على ولاياك .

نظر اليه فى غيظ وهو يهز كتفه :

– ماذا اقول للعمدة .. اقول له ان الرجل الذى اخترته انا بنفسى لـك .. لص .. حرامى .

– غلطة لن تتكرر – أراد أن يقبل يده

– توبه والنبى توبة .

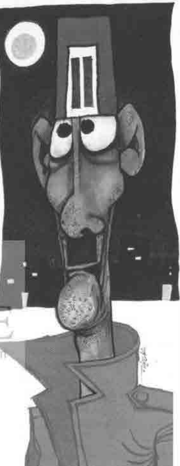
– قل هذا غداً للعمدة . من اليوم اترك الجنينة وسلم البندقية فى التليفون . وان شاء الله مرفوت .. مرفوت .. ياكلب .

– انا صاحب عيال . استر علي من اجلهم ..

– ولم لم تفكر فيهم وانت تفعل فعلتك السودة . ؟

كيف يجلس فى دار الفرح من كان قلبه مليئاً بالهم . أحس انه غريب . الكل فرحان إلا انت ياغلبان . خرج دون أن يشعر به احد . طفل أمام الدار ينفخ فى بالونة زرقاء . كلما نفخ فيها ازدادت امتلاء .. البالونة تكبر وهو لا يكف عن النفخ .





ـ ياولد لا تنفخ البالونة كثيرا حتى لا تفرقع .

ادرك انه لأول مرة يسير ليلا دون ان يحمل البندقية على كتفه . سار وحيدا على شط الترعة . الأشجار اشباح راقصة تريد ان تخنقه . ضاعت الوظيفة الميرى ياعبد الجبار . ياحيرتك يامسكين . لعنة الله عليك ياصبرية . انت السبب . لكن انا .. انا الذى استمعت الى كلامها . ياويلك من العمدة .. ومن شيخ البلد .. شيخ الخفر .. والخفراء . إذا وقعت البهيمة كثرت السكاكين . لا احد اليوم يقول كلمة طيبة فى حق اى مخلوق ياناس ياشر كفاية قر ، اخذتم تقرون حتى حدثت المصيبة . ترى ماذا سيفعل العمدة ؟ الرفت من الخدمة . لكن هل هذا يشفى غليل العمدة ؟ مستحيل .. ولم يكون مستحيلا وقد رايته يفعله بعينى هاتين اللتين سوف ياكلهما الدود ؟ العمدة سيعطينى علقة ساخنة بعصاه الخيرزان . كيف تمشى فى القرية بعد ذلك ياعبد الجبار ؟ ماذا سيقول اطفال القرية لأولادك .. ياأبناء الحرامى لا تمشوا معنا فى الطريق ؟ تخيل جنيات تخرج من الترعة الأشجار تعلو .. صارت شياطين لها السنة من نار حمراء .. صار يسمع اصواتا لا يعرف لها لغة ولا يدرى من اين تأتى ؟ الاصوات تمتد والأوهام تكبر . الأشباح تصبح .. تسد الدنيا . صار اسير الوهم . الوهم حين يسيطر على الانسان ياعبد الجبار يسد عليه كل طاقة نور ، نحن أسرى ما نعتقد . خرب الله بيتك ياعم مصطفى كما خربت بيتى عاد الى البيت خائفا يترقب . الجميع نائمون حتى زوجته .. سامحك الله ياصبرية ، عملت العملة وخرجت كالشعرة من العجين . ترك الترعة هاربا من اشباح الوهم ، وهاهى الآن امامه فى حجرة الفرن رغم ان الباب مغلق بالترباس . كانت صحته جيده ، لكنه يرتعد خوفا . كل خلية فيه انفصلت عن الأخرى . احست به زوجته قرب الفجر يتقلب مثل الفولة على النار .

ـ مالك ياضنايا ؟

ـ ....

كان جبينه يتفصد عرقا . انهارت شجرة الجميز . فى يوم وليلة صار شيئا اخر . تغير كل مافيه . ترى ماذا يصنع الهم فى البشر .

ـ ولاد الحرام حسدوك . لابد ان ابخرك وأرقيك .

رائحة البخور تملأ حجرة الفرن . لكن الأشباح مازالت تتحرك امام عيني الرجل

ـ اغلقى الباب بالترباس ياامرأة . لا اريد ان يدخل احد .

كان ضائعا فى عالم آخر . بدا رأسه المليء بالأوهام والاشباح مثل البالونة . اخذت صبرية ترقيه وهى تلف يدها اليمنى حول رأسه وقد امسكت كسرة خبز ، سوف ترميها لأحد الكلاب بعد ان تنتهى من الرقية .. اخذت تحرك يدها حول جسده قائلة :

ـ الأوله بسم الله .. والثانية باسم الله .. والثالثة رقوة محمد بن عبد الله . رقيتك من عين الراجل أحد من البناجل . رقيتك من عين المرة احد من الشرشرة رقيتك من عين اللى شافوك وحسدوك ولا صلوا على النبى . لا صلى الله عليهم ولا على والديهم وينقلب حسدهم فى عينيهم . روحى ياعين يابصاصه لأرميك فى مية غطاسة واضرب عليك ميت رصاصة لا تتعبى لى ولد ، ولا تحرقى لى كبد ، ولا تنزلي لى بلد . أعوذ برب الفلق .. أعوذ برب الفلق من شر حاسد إذا حسد ، ومن شر النفاثات فى العقد .

توقف مسار الكون . فقد عبد الجبار القدرة على النوم والحركة . الزمن يمضى .. بط .. يئا .. بطيئا . مستحيل ان يكون الزمن متعادلا . هناك ايام تمر كأنها لحظة ، ولحظة تمضي كأنها سنة كاملة . نظرت اليه صبرية فى صمت . لعنت نفسها . تمنت ان يحرق الله البرتقال من الدنيا كلها . يوم واحد يحدث لك فيه كل هذا ياجملي . يصبح الجبل العالى كومة من الرمال المبعثرة .

حين دخل عبد الجبار المضيفة التى طالما دخلها حاملا البندقية على كتفه ووقف امام العمدة فى كبرياء . اليوم اهتزت الدنيا فى عينيه . عزيز قوم ذل . العزة ليست فى المال . العزة عزة النفس . شيخ الخفر ينظر اليه متشفيا .

خليل جاء يرجو العمدة ـ ان يسامحه . الشيخ عمران يريد ان يدفع ثمن جوال البرتقال . حتى اسماعيل العامل الزراعي كان واقفا فى حسرة امام المضيفة . قال له وان لم يسمع ما يقول :

ـ شد حيلك يااخى .. شدة وتزول .. ربك كبير .

العمدة ملأ الناس راسه بالنميمة . اصر على الانتقام . كيف يجرؤ كلب ان يسرق سيده .

دخل وقد ضاع من قدميه الطريق .. لا يرى احدا .. لا يسمع شيئا . كانت رأسه تنتفخ ... تنتفخ . أسودت الدنيا فى عينيه . قبل ان يقول له اى واحد كلمة .. او يقول هو كلمة واحدة .. سقط . سقط عبد الجبار .

عصفورة صغيرة كانت تقف على الشباك طارت بسرعة قبل ان يحس بها احد .

دكتور طه وادى

بقلم: د. الطاهر أحمد مكي



شاعر ألماني أمام مسجد قرطبة

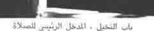
مع مطلع القرن التاسع عشر الميلادى ولدت الرومانسية ، أو الابتداعية إذا شئت ، فى أوربا ، حركة أدبية ذات ملامح متميزة ، وجاءت تعبيرا عن أزمة الكلاسية ، أو الاتباعية ، ورد فعل قوى ضد الموجة العسكرية التى حاولت توحيد أوربا عن طريق القوة ، وانتهت بهزيمة نابليون .

وليس هنا مجال الوقوف عند مظاهرها المختلفة ، وإنما أود ان أشير الى ظاهرة الهروب التى اتسم بها شعراؤها ، يهربون من واقعهم الى الشعور بالغربة والعزلة ، واتخذ هذا الشعور أشكالا متعددة ، أوضحها الارتداد الى الماضى ، أو الاحتماء بفكرة المجتمع المثالى ، والاستغراق فى الحكايات الخرافية ، والخيال والغموض والطبيعة والطفولة ، والأحلام والجنون ، والهجرة زمانا او مكانا ، فرحلوا الى العصور الوسطى ، وعبروا حدود أوربا الى الشرق ، رحالة يرون حياته بأعينهم ، أو قراء يجوسون دياره من خلال ما كتبه الآخرون عنه ، وانعكس ذلك فى أدبهم واضحا جليا ، فكانت كتاباتهم عن العرب ، وأشعارهم التى تتغنى بسحر الشرق ، والهيام بما اكتشف فى مصر من آثار قديمة ، وكان حظ الأندلس من هذه العبادة وفيرا .

كان الأندلس فى هذه اللحظة مهيأ لاستقبال أولئك الذين يبحثون عن الفروسية العربية ولا يودون أن يغادروا أوربا نفسها ، فقد خفت حدة العداء القاسى لكل ما هو عربى ومسلم ، والغيت محاكم التفتيش ، وبدأ عامة الناس وسط الشقاء الفادح يطوقهم من كل جانب ، يرون فى الأمس العربى تاريخا جديرا بالاعجاب والتقدير ، ويرون فى العربى نفسه نموذجا أعلى للفارس النبيل حين يقاتل ويحارب ، أو حين يسالم ويصادق ، فهو يحترم عدوه ، ويفى بوعده ، يمجد المرأة ويترفع عن الغدر . وبدأ القصص الشعبى الذى صور هؤلاء الأبطال فى أمجادهم ونزواتهم ، فى ثباتهم خلال المعارك ، وفى تذللهم العاطفى حين يرتدون ثياب العاشق ، يأخذ طريقه الى أوربا ، وقراء الناس ، وتمثله الأدباء والكتاب والشعراء ، وانعكس فى إبداعهم مسرحا أو روايات أو ملاحم ، أو قصائد ، فابدع «جيته» «ديوانه الشرقى» ، وكتب شاتو بريان قصته «آخر بنى سراج» ، وحرر فولتير مسرحيته «محمد» ، وبها سبق توفيق الحكيم فى مسرحيته التى تحمل هذا الاسم بأكثر من قرن ونصف من الزمان ، وكتب فيكتور هوجو «قصائد شرقية» ، ومدام لافييت رواية «زايدة» ، ووشنجتون آرفنج «حكايات



باب سان شيفانو





شاعر ألماني أمام مسجد قرطبة

باب النخيل ، المدخل الرئيسي للصلاة

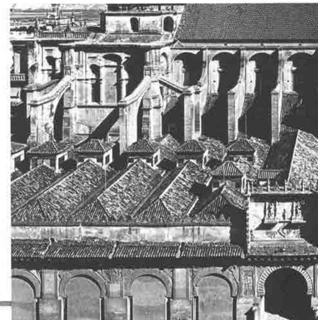
الحمراء» ، وآخرون كثيرون لا يحصيهم العد .

وكانت وجهة الرحالة المشرق نفسه ، أو البحث عنه فى حياة جارتهم اسبانيا ، وهى على مرمى البصر ، ويشدهم اليها اشياء كثيرة ، ابسطها ان الحكاية فيها لم تكن قد تطورت كثيراً عما كانت عليه ايام العرب ، وإن كانت فى جوانب كثيرة اصابها الخراب والدمار ، فاجدبت الأرض ، وخربت الحدائق ، وسكن «الغجر» قصور الحمراء ، ولكن خيال الفنان قادر دائماً على أن يتجاوز المتغير والطارىء ، وأن يقع على الثابت والأصيل .

اتجهت اغلبية الرحالة من الشعراء والحالمين الى غرناطة وهى شاهد حى على ما تستطيع العبقرية العربية ان تصنعه ، فقد اقامت صرحاً شامخاً من جمال رائع فريد ، بمواد أولية بسيطة لا تتجاوز الخضرة ، والماء ، والمصيص ، ولكن قلة منهم لم تنشد الفتنة والجمال فحسب ، وإنما اتجهت حيث الجلال والعظمة ، وخير ما يمثلهما مسجد قرطبة الجامع ، وبقى شامخا عملاقا حتى يومنا هذا ، وكل حجر فيه ينادى باعلى صوته : انا هنا رغم الزمن !

كان ممن جاءوا الى قرطبة ، وفتن بمسجدها الجامع الشاعر والكاتب الألمانى يوهان فشتنراته (١٨٣٧ ـ ١٩٠٨) ، وقال فيه قصيدة رائعة ، من بين اجمل ما قرأت من شعر قيل

مشهد للجامع من جهة المنارة



فى هذا المسجد العظيم ، وقبل ان اقدمها مترجمة الى القارىء، أو أن اقف معه على المعالم البارزة لهذا المسجد العظيم ، وقد مضى على انشائه اكثر من الف ومئتى عام .

مسجد قرطبة الجامع

بدأ المسلمون فى انشاء مسجد قرطبة لحظة الفتح الاسلامى للمدينة ، على يد مغيث الرومي ، عام ٩١هـ (٧١١م) وبداهة جاء فى صورته الأولى بسيطاً كبقية مباني المساجد الأولى فى الاسلام ، فلما بلغ عبد الرحمن الداخل الأندلس هارباً ، واختاره أهلها اميراً ، واستقل بها دولة ، أراد أن يجعل من قرطبة صورة لدمشق ، ونداً لبغداد ، فاخذ فى توسعة المسجد ، وضم إليه ما كان باقياً فى أيدى المسيحيين من كنيسة قديمة ، ودفع لهم كل ما طلبوه من ثمن وتعويض ، وبدأ البناء عام ١٦٨هـ (٧٨٥م) .

وتقول الرواية أن عبد الرحمن الداخل بعد أن وحد الدولة ، وأحكم أمورها ، وأشاع فيها الأمن والطمأنينة ، فجمل مدائن بلاده ، وبنى قنطرة يحمل عليها الماء العذب الى عا صمته ، وبدأ يشيد حولها سوراً يحميها ، أقام لنفسه منية الرصافة فى ضواحيها ، واتخذها سكناً له ، وبينما هو نائم فيها ذات يوم سمع هاتفاً يناديه : يا أمير المؤمنين ، أشكر الله على ما وهبك، فقد انجاك من بنى العباس ، وعوضك ملكاً ، وآتاك خيراً كثيراً ، اشكره بعمل باق خالص له .

واستيقظ عبد الرحمن الداخل وقرر أن يقيم فى العاصمة مسجداً يكون له ما بعده ، ويبقى ما فيها ما بقيت الدنيا ومن عليها .

قد تكون هذه الرواية صحيحة ، وعلم النفس الحديث يتسع لمثلها ، وقد يكون الأمر تبريراً وتفسيراً لرغبة عبد الرحمن الداخل فى أن يتم بناء المسجد فى أقصر وقت مستطاع ، ويذكر المؤلفون انه أدى فيه الصلاة قبل أن يستكمله ، وانه فارق الحياة قبل أن يراه تاماً . وقد يكون الأمر نتيجة طبيعية لاستقرار الدولة الجديدة ، وتدفق أعداد كبيرة من المسلمين على العاصمة ، وإقبال سكانها الأصليين على الدين الجديد ، وضيق المسجد القديم بهم ، وهو تفسير يدعمه أن الزيادة والتوسعة فى المسجد لم تتوقف أبداً ، إلا مع سقوط الخلافة ، وانتقال العاصمة من قرطبة ، وانحدار دولة الاسلام نحو المغيب هناك .

والى ابناء عبد الرحمن الداخل ، واحفاده من بعدهم ، الزيادة فى المسجد ، واستمر ذلك قرابة قرن ونصف من الزمان، حتى صار يضرب به المثل فى الفخامة والروعة والسعة ، واهتم المؤرخون من اندلسيين ومشارقة ، والرحالة الذين وفدوا على الأندلس ، بتقييد تفاصيل بنائه ، ودقائق العمل فيه ، على نحو ما لم يعرف عن مسجد آخر ، وبلغت جملة الأبواب فيه واحداً وعشرين باباً ، وعدد أعمدته ١٤٠٠ عمود، تنهض عليها عقود حدوية أو مزدوجة ويضم منبراً فخيماً آية فى الروعة والاتقان ، بما يحوى من صناعة فنية دقيقة ، وبالخشب النادر الذى صنع منه ، وفيه ٢٨٠ ثريا ، تضم سبعة آلاف قنديل ، وتحمل كبراها الفاً كاملة ، وكان عدد من يخدم الجامع بعد أن كمل بناؤه ، ويتصرف فيه ، من أئمة ومقرئين ، وأمناء ومؤذنين ، وسدنة وموقدين وغيرهم ، ثلاثمئة عامل .

ولم تكن رسالة المسجد الجامع مقصورة على الصلاة فحسب وإنما ، كأى مسجد آخر ، يجتمع فيه المسلمون للتشاور فى الأمور السياسية ، والقضايا المحلية ذات الأهمية، وتعلن قرارات الدولة ، وتقرأ الرسائل من جبهات القتال فى حالة الحرب ، وهو مكان مفتوح للخدمات العامة ، واخيراً ، هو موضع الدراسة المفضل ، فى جانب منه يتجمع الأطفال ليحفظوا القرآن الكريم ، وفى الصدارة تقوم حلقات الدرس من العلماء الاجلاء للطلاب المتخصصين .

كان أهل قرطبة مفتونين بجامعهم هذا ، حريصين أشد الحرص على نظافته وروائه ، وبينهم من نذر حياته لخدمته ، ينظفون أرضه ، ويلمعون نحاسه ، ويزودون مصابيحه ، وحين استولى فرنانو الثالث ، أو القديس كما أطلقوا عليه تمجيداً له ، على قرطبة عام ١٢٣٦ م ، عامل المسلمين القرطبيين بكل قسوة ، فلم يعترف لهم باية حقوق ، ولم يسمح لهم بالبقاء فى المدينة ، ولو أن بعضاً منهم ، لسبب أو لآخر ، لم يخرج من المدينة ، وبقى فيها لأمد طويل .

وفى اللحظة التى دخل فيها الملك الغازى المدينة اتجه الى المسجد الجامع ، وفى صحبته الأساقفة والمطارنة ، وسلم المسجد لهم ، وكانت العادة أن تذهب المساجد فى البلاد التى يستولى عليها المسيحيون ، وما يلحق بها من مال وعقار وأوقاف الى رجال الدين ، فحولوه الى كتدرائية منذ هذه اللحظة ، دون أن يغيروا معالمه الأصلية فى البدء ، إلا ما كان من اقامة الأجراس فى منارته ، ورفع الصليب فى أعلاها .

وفيما بعد ، حاول اسقف المدينة أن يأتى على الجامع هدفاً ليقيم على أنقاضه كنيسة جامعة ، على نحو ما صنعوا فى طليطلة ، واشبيلية ، وبلنسية ، وسرقسطة ، وغيرها من مدن الأندلس ، ولكن القرطبيين ، نصارى أو تنصروا قاوموا هذا الاتجاه بشدة ، وأصدر عمدة المدينة قراراً باعدام كل من يشارك فى عملية الهدم هذه ، فلم يجد الأسقف اليد العاملة التى تعينه على مشروعه ، وفيما بعد ، وفى عام ١٥٢٣ م على التحديد ، انتهز اسقف قرطبة فرصة أن الامبراطور كارلوس الخامس كان متعصباً للكاثوليكية ، ويجهل اسبانيا تماماً ، فهو لم يولد بها ، ولم يكن يقيم فيها ، ولا يعرف شيئاً عن روعة المسجد وجماله ، فطلب منه الاذن باقامة مبنى للموسيقا الكنسية وسط الجامع ، فاذن له بذلك ، فاقيم البناء فعلاً ، وجاء رديئاً ، مقحماً على المعمار العربى ، وشوه جمال المبنى بطريقة مؤسفة ، حتى أن الامبراطور حينما زار قرطبة فيما بعد ، لأول مرة ، وشاهد ما أصاب المبنى من تشويه ، أسف لما حدث ، وعلى انه أذن به ، وقال للأسقف : لقد شوهت أثراً وحيداً فى العالم ، ببناء كان يمكن أن يقام فى أى مكان آخر من المدينة . ولكن هذه التشويهات وإن أصابت المبنى فى بعض جوانبه ، لم تذهب إلا بالقليل من جماله ، وكانت ، ولاتزال ، موضع سخط وغضب كل الذين يترددون عليه ، مهما كان حظهم من الثقافة ، وعلى أى دين كانوا يعبدون الله ، وقد يستحق أن نشير أيضاً أن القرطبيين المعاصرين ، مثقفين وادارة ، يعملون جاهدين ، بقدر ما تواتيهم الوسائل المادية ، لكى يعودوا بالمسجد العظيم الى مسيرته الأولى ، بداهة رغم معارضة الكنيسة فى الخفاء .

أمام روعة هذا المسجد ، وقف الشاعر الألمانى فشتراته ماخوذاً ، ومن وحيه قال فيه قصيدته :

شاعر ألماني : أمام مسجد قرطبة

عبد الرحمن الداخل والملاك

في منية الرصافة ،
عتبة الجنة على الارض ،
كان ينام عبد الرحمن العظيم ،
ابنُ مروان بن معاوية ،
صقر قريش الابيض ،
هارباً من بني العباس ،
يبحث عن ملاذ ومأوى ،
وبعيداً عن دمشق وجد مملكة وعرشا .

● ●

آونة يمد سلطانه ،
عبر اسبانيا كلها ،
الموتى يرحلون شهداء ،
والأحياء يعيشون مرابطين .
وآونة يتأمل نخلاته ،
وحيداً مفكراً ،
وتثير النخلة في أعماقه
ذكريات غالية وحلوة .

● ●

ومن خلال بريق صاف غريب ،
ظهر له كائن غريب ،
يرتدي الضوء والمجد ،
إنه الملاك إبليس ،
رفض أن يسجد لآدم أب الأنبياء ،
شامخ لم يحن راسه أبداً ،
ولهذا طرد من السماء ،
عقابا له على تكبره .

● ●

عناية الله يا سيدي تتجه اليك ،
والأعين مثبتة فيك ،
سيفك البتار
قلدك إياه النبي ،
الأرض الأندلسية لك ،
يحتضنها البحر واليواقيت
والمرجان الذي تحبه الشمس ،
وهو أسير جمالها .

● ●

وصنعت في هذه الأرض الجميلة
ملكا قوياً وعملاقاً ،
وأقمت مسجداً عظيماً ،
يرضى الله وجدير بك .

وفي داخل محرابه الجميل
يطمئن آمنا مصحف عثمان .
وفيه آلاف الحجاج

يعبدون الله طائعين ،
في قرطبة وليس في مكة .
يهديهم نجمك الساطع ،
يجيئون من مصر وفارس ،
تظلهم أشجار الليمون الوارفة ،
وينعمون بمياه النهر والنوافير .

● ●

وفي هدى الرسول الأعظم ،
رمز النصر والانتصار ،
شيدت مسجدك الجامع ،
فوق كنيسة المسيح ،
ثم تراجعت الهيبة الايطالية ،
وتقهقرت اعمدة البشب ،
والتيجان الكورنثية .

● ●

ويدخل المؤمنون من احد عشر بابا ،
تنفتح على أحد عشر طريقا ،
تقودهم الى احدى عشر بلاطة ،
ليؤدوا صلواتهم تقاة خاشعين .
وزادت هذه البلاطات فاصبحت
ثلاثا وثلاثين . وفي متاهة من
الف عمود أو يزيد ،
يضل الفكر ويذهل العقل .

● ●

وتبرق الألف سارية ،
مثل الغوارب الصلبة ،
لألف من الرماح القوية ،
يحملها «الزناتيون» من جندك .
وحدوة البراق ،
الذي حمل الرسول والامبراطورية ،
تربط بين الأعمدة ،
وتمسك البناء وتشد من أزره .

● ●

العقود الهيفاء تشبه
حركة الموج المجعدة ،
حين تدفعها الرياح ،
أو تهز راياتك التي لا تقهر .
وعقد يتصل باخر ،
تشع منها الألوان الزاهية
والزخارف الثرية ،
كقوس قزح حين تبدعه الشمس ،
وتصنع منه أقواساً عديدة .

لتحذير المؤمنين من هجوم مباغت ،
فان الأسوار ، والشرفات التي عليها ،
تحيط بالمسجد الجامع ،
وتجعل منه حصنا .
وعليها أن تدعو الذين حولك والجنيات ،
كي يساعدنك ، ويقطفن الزهور
من جنائن الالهية ،
التي أعارت القيشاني
والزخارف العربية المتشابكة
والمحراب والقبة الرشيقة
بهاءها ورونقها وبريقها .

● ●

نوافير الصحن الصافية ،
وأشجار البرتقال الزاهرة ،
تنادي الطيور المغردة ،
كي تترنم باغاريدها العذبة ،
وتملأ بفيض من الروعة والبهاء
داخل المسجد الناضح بالأسرار ،
وتملاجوه الطرى
بأريجها الشذى ، وتضفي عليه تناسقا .

● ●

انت ، إذن ، ياعبد الرحمن الشريف
تحقق الروعة المعجزة ،
تسترد قوتك القديمة ،
وتزدهي بحماستك الفتية .
وما توجك الجامع من مجد ،
يبقى خالداً عبر الزمن ،
وتوابك عليه الحوريات العين ،
خالدات : حياة وإشراقاً .

● ●

هكذا قال . وبلا تردد
انجز عبد الرحمن ما طلب ،
وامتلأت قرطبة كلها
بالنشاط والحركة والضجيج والبهجة
والمهندسون والعمال ،
تجمعوا في اعداد حافلة .
وارتفع المسجد عالياً ،
وشق عنان السماء مجيدا خالداً .

● ●

وعندما اتى الموت المحتوم ،
وانهى خيط الحياة في أعماقه ،
كان المسجد الجامع الرائع
يوشك أن يبلغ من البنيان غايته ،
ومعذرة لابليس ،
وجاء يبحث عن الأمير ،
ومضيا معاً ،
كلاهما عبر عتبة الجنة على الأرض .

د. الطاهر أحمد مكي

درويش مصطفى الفار

العروبة..والفوسفات

لم يتوصل احد من مؤرخي الاكتشافات العلمية ، بعد ، إلى معرفة الأسباب والدوافع التى حدت بالكيماوى الألماني (هينيج براند) ١٦٦٩م ، الى تقطير الافرازات الآدمية ، من سائل وصلب ، بعد خلطها بمواد ، لا يزال سرها فى طي الكتمان ، والسهر الدءوب المتصل لليالى وأياما طوالا ، حتى حصل فى النهاية على عنصر شمعي القوام مشوب بصفرة ، يتقد فى الهواء ولو لم تمسسه نار ، ويضيء فى الظلام الدامس كبعض الحشرات أو الحيوانات البحرية ، مما دفعه الى تسميته باسم « الفوسفور » أو حامل الضوء . كذلك لم يتوصل احد بعد ، إلى إثبات او نفي ما إذا كان ابو موسى جابر بن حيان الأزدى ، الذى أخرج علم الكيمياء من ظلامات الأوهام والخرافات ، قد قام بمثل تلك المحاولة وحصل على عنصر الفوسفور قبل « براند » بأكثر من ثمانية قرون إذ ان « جابر » كما نعلم غاص فى بحث أسرار إفرازات النبات والحيوان والانسان ، وصخور قشرة الأرض ولولا أعماله ، لكانت الكيمياء لتصبح علما يقوم على التجربة ، بعيداً عن الحدس والتخمين والوهم ... كما أن احداً لا يعلم علم اليقين سلسلة التجارب التى توصل العلماء بها إلى اثبات أن النبات ، لكي يؤتي أكله لابد وأن تتوفر له عناصر غذائية معلومة ، اهمها البوتاسيوم والنتروجين والفوسفور ، وأن الفوسفور على وجه الخصوص فى محاصيل وثمار بعينها هو بيت القصيد ، مما دفع العلماء إلى استقصاء مصادره فى قشرة الأرض وصخورها ، حتى توصلوا إلى اكتشاف طبقات من الصخور والأحجار ، تتميز عن غيرها بوفرة عنصر الفوسفور ذاك ، فاتخذوها مصدراً للأسمدة والمخصبات التى تضاف الى الأرض الزراعية لتوفر الفوسفور للزرع والضرع وصارت صخور الفوسفات شأن غيرها من الخامات المعدنية ، مصادر للأفكار الخفية والمعلنة فى مضمار السياسة الدولية ...

والذى يعنينا فى مقامنا هذا ، بعيداً عن متاهات الأرقام والمعادلات الحسابية المعقدة ، أن يعرف كل انسان عربي يعي حاضر امته ، ان الوطن العربي فى افريقيا وحدها (مراكش ، وتونس ، والجزائر ، ومصر ، والصحراء القصوى على شاطىء المحيط) يحتفظ فى طيات صخوره (بنصف) الاحتياطى العالمي من خام الفوسفات ناهيك عما فى الأردن والسعودية وسوريا ولبنان والعراق وما يستخرجه بنو قينقاع من الأرض المقدسة ، فلسطين ... وما يحتمل وجوده فى اقصى المشرق العربي وجنوب شبه الجزيرة العربية ، من ذلك الخام الذى لا غنى للانسان عنه اطلاقا حتى يرث الله الأرض ومن عليها .. فهل نستطيع اليوم باعتبارنا (أمة واحدة) نظريا ، ان نحقق هذه الوحدة التى يتغنى بها الشعراء والخطباء ومؤلفو القصص والروايات بطريقة جديدة قد تبدو غريبة عجيبة ..وذلك بانشاء اتحاد عربي (لسياسة تجارة الفوسفات العربي) واستخدامه مصدراً (للقوة المؤثرة) فى غابة السياسة العالمية بما يلي :

● تقوم الدول العربية البترولية الغنية ، بشراء كل الفوسفات العربي ، وتحتكر تجارته ، وتدفع ثمنا مجزيا للأقطار المنتجة له ...

● تعرضه للبيع فى السوق العالمية ، بطريقة ما ، تجعل الفوسفات الذى يستخرجه اليهود من ارض فلسطين غير ذى سوق وفى هذا ما فيه من الانتصار على الغزاة .

● تتخذ من السبل العلمية والتكنولوجية ما يكفل تصنيع اكبر قدر من الفوسفات العربي قبل تصديره ، بحيث لا يصدر منه خاما إلا اقل القليل ... ومن ذلك توفير المناخ الصحيح للعلماء العرب لتحويل الخام الفقير الى خام غني فى التسميد والتخصيب بمعالجته (على سبيل المثال) بحامض النيتريك ، لنحصل فى مخصب واحد على الفوسفور والنتروجين معا ؟؟

وقبل ان يتم هذا (الأمل) اعتقد اننا فى حاجة الى الاتفاق على تسمية عربية واحدة لخام الفوسفات ، فبيننا والحمد لله الذى لا يحمد على كريهة سواه ، من الاختلاف حتى فى التسمية ما يحتاج الى توحيد . فمنا من يكتب مثلي (فوسفات) ومنا من يكتبه هناك (فوسفاط) ، ومنا من ينعته بكلمة (فصفاط) ، واعتقد اننا كعرب فى حاجة الى الاتفاق على اى من هذه الرسوم الثلاثة ، قبل أن يكون الفوسفات سلاحا فى ايدينا ضد الأعداء ...

في ذكراه الـ ٣١ :

الشيخ محمد رفعت

أعظم صوت رتّل القرآن الكريم في العصر الحديث

بقلم : حسين عثمان

● عندما ذهب الشيخ رفعت الى هيئة كبار العلماء يستفتى أعضاءها عما إذا كانت إذاعة القرآن عن طريق الميكروفون حلالا أم حراما ؟

● كان الشيخ رفعت يخشى أن يقرأ القرآن من الاذاعة .. فيستمع إليه الناس فى الحانات والمقاهى ونوادى القمار

● الضابط الطيار الكندى استمع إلى صوت الشيخ رفعت فجاء إلى القاهرة .. ليراه .. وليعلن إسلامه .

إنه أحلى الأصوات العربية التى سمعناها طوال حياتنا وهو يتلو آيات الذكر الحكيم .. فهو صاحب الحنجرة العربية المتميزة التى تملك مقدرة فائقة على إيصال أعذب الأصوات وأنقاها إلى الناس .. وقد كانت احب الأنغام إلى قلبه هى موسيقى بتهوفن وموزارت وفاجنر .. وكان يطرب للأوبريتات والسيمفونيات .. إلا انه رفض فى بداية حياته تسجيل القرآن الكريم على اسطوانات .. وظل يحكى لكل أصدقائه قصة المرأة التى فقد بسببها نعمة الابصار أثناء طفولته !

عندما مات الشيخ محمد رفعت فى عام ١٩٥٠ ، خرجت الصحف والاذاعات العربية تنعاه للعالم العربى والاسلامى بكلمات مؤثرة ، فقد نعاه المذيع عبد الوهاب يوسف ـ يرحمه الله ـ إلى المستمعين بقوله : « أيها المسلمون ، فقدنا اليوم علما من أعلام الاسلام » .. ولم يتمالك نفسه ، ولم يستطع الاستمرار فى الكلمات فانهار باكيا ، وأسرع زميله انور المشرى ليقف بدلا منه امام الميكرفون لينقل تفاصيل الخبر إلى الناس وصوته ملىء بالشجن !

وفى دمشق وقف مفتى سوريا أمام ميكرفون الاذاعة ليقول : لقد مات المقرىء الذى وهب صوته للاسلام ..

وفى كل بلد عربى واسلامى كانت الحسرة تملأ القلوب ، فالكل احب الصوت الذى يتلو آيات الكتاب الحكيم باستيعاب لمعانى القران وحنجرة بارعة فيها أدق الأنغام والأوتار الصوتية المتعددة !



بتهوفن



موزار

العين التى أصابته

وهكذا نرى مدى ما أصاب الناس عند سماعهم خبر هذا المقرىء الجليل الذى ولد فى القاهرة فى منتصف شهر ابريل عام ١٨٨١ ، وكان جميل الوجه ، يسكن واحدا من أقدم أحياء القاهرة الشعبية وهو حى المغربلين ، وكان والده من ضباط البوليس تدرج فى عمله حتى وصل إلى رتبة ضابط ، وكان الترقى إلى هذه المرتبة من الأمور السهلة ما دام الجندى استطاع أن يحسن القراءة والكتابة !

المهم ما إن يصل والده إلى هذه المرتبة ، حتى يرى ضرورة الانتقال إلى السكن فى منزل آخر فى درب «الاغوات» بشارع محمد على ، وكان الناس ينادون على والده باسمه مشفوعا بلقب «بك» وكان والده (محمود بك) يحبه إلى درجة



عالية ، حتى انه كان لا يتركه يمشى على قدميه ، بل يحمله على كتفيه ، وفى احد الأيام قابلته امراة من درب الأغوات وسالته : من هذا الطفل الجميل يا محمود بك ؟ .. ورد الأب وهو يبتسم : إنه ابنى !

وصاحت المراة : ابنك .. مستحيل .. هذا ابن ملوك .. عيناه تقولان ذلك !

وفى اليوم التالى استيقظ الطفل من النوم ليصرخ من الألم وهو يحس بالجحيم فى عينيه !

لقد أصابته عين المراة !

وظل الشيخ محمد رفعت يروى هذه الحكاية لأصدقائه ومعارفه طوال حياته عندما يحكى لهم كيف فقد نعمة البصر !

إذاعة القرآن الكريم

ومرت الأيام والطفل محمد رفعت لا يرى الا الظلام ، ولا يسمع غير صوت والده وهو يعلمه القرآن الكريم ، الذى تم حفظه وهو فى الخامسة من عمره ، والحقه والده ليجود القرآن الكريم فى مكتب فاضل باشا بحى درب الجماميز ، وأصبح يرتل القرآن الكريم كل يوم خميس في المسجد المواجه للمكتب ، وكانت المواصلات تتعطل فى ذلك اليوم ، ويضيق المسجد بالمصلين ، فيفرشون الحصر خارج المسجد ليستمعوا إلى ايات القرآن الكريم ..

وظل الشيخ محمد رفعت يرتل القرآن فى مسجد فاضل باشا اكثر من ثلاثين عاماً وفاء منه ، وحاولت المحطات الأهلية – قبل افتتاح محطة الاذاعة الرسمية فى القاهرة – اغراء الشيخ رفعت ، بأن تذيع له بعض ايات القرآن الكريم فرفض وكان يقول لأصحاب هذه المحطات : (إن وقار القرآن لا يتمشى مع الأغانى الخليعة التى تذيعها اذاعتكم) .. !!

وعندما ألغيت المحطات الأهلية ، وانشئت الاذاعة الرسمية اصر الشيخ رفعت على موقفه من عدم اذاعة القرآن عن طريق الميكرفون وكانت فى القاهرة وقتئذ هيئة يطلق عليها اسم (هيئة كبار العلماء) وكان جميع اعضائها من رجال الأزهر ، وقد ذهب الشيخ محمد رفعت إلى هذه الهيئة يستفتى اعضاءها ، وكلهم من علماء الدين ، عما اذا كانت اذاعة القرآن حلالاً أم حراماً ، وجاءت فتواهم بأنها حلال ..

فقال الشيخ محمد رفعت انه يخشى أن يقرأ القرآن الكريم ، ويستمع إليه الناس فى الحانات والمقاهى ونوادى القمار .. ولكن أعضاء الهيئة وعلى رأسهم شيخ الأزهر فى ذلك الوقت ، ما زالوا به حتى اقنعوه بأن لا ضير من تلاوة القرآن فى الاذاعة ، واطمأن ضمير الشيخ رفعت واذاع القرآن بصوته الذى خفقت له الملايين العطشى لحلاوة هذا الصوت ..

ولمع اسم الشيخ رفعت وفى أحد الأيام ، وكان قد انتهى من ترتيل بعض الآيات فى محطة الاذاعة ، وبينما هو يتأهب للعودة الى منزله فى حى البغالة بالسيدة زينب ، قابله الأستاذ على خليل المذيع بالاذاعة وقتئذ ، وسمعه يقول : الشيخ رفعت .. ثم سمع الشيخ رفعت صوتاً يتكلم باللغة الانجليزية ، ثم بيد تضغط على يده ، ثم يسمع الأستاذ على خليل يقول : يا شيخ رفعت إن هذا الضابط الطيار سمع صوتك فى لندن ، فجاء الى القاهرة ليراك ..!

وكانت مفاجأة .. وتهدج صوت الشيخ رفعت وهو يقول : ولكن كيف سمعني .. ؟

فاجاب على خليل – لقد سمع صوتك فى برنامج الاذاعة الخاص الذى سجلته محطة لندن ..

وعرف بعد ذلك أن هذا الضابط الطيار ، اقام فى مصر فترة من الوقت ، ثم غادرها بعد ان اشهر إسلامه ، وبعد أن تفهم معانى الآيات التى كان يسمعها بصوت الشيخ رفعت ..

اعتذار عن السفر

ولم يكن الشيخ رفعت يعبأ بالمادة ، ولا يسعى وراء الثراء ، وبلغ من احتقاره للمال ، انه تلقى عرضا عام ١٩٣٥ من (نظام حيدر اباد) للاحتفال بمولده ، ولكن الشيخ رفعت اعتذر ، ولجا المهراجا نظام حيدر أباد إلى وزارة الخارجية المصرية ، لتتوسط لدى الشيخ رفعت ليسافر الى الهند ، فاصر على الاعتذار وقال انه مريض لا يتحمل متاعب السفر ، واعتقد مندوب حيدر اباد أن الشيخ رفعت يعتذر بسبب ضالة الأجر المعروض عليه وهو (١٥ الف جنيه مصرى) فرفع هذا الأجر الى ضعفيه ، ولكن الشيخ رفعت أصر على الاعتذار ، فرفع المندوب الأجر الى ثلاثة أضعاف ، فاذا بالشيخ رفعت يصيح غاضباً : انا لا أبحث عن المال أبداً ، فان الدنيا كلها عرض زائل .. ورفض أن يسافر إلى الهند لأنه كان يكره أن يجيئه الثراء عن طريق تلاوة القرآن الكريم .

وكان الشيخ رفعت شديد الحساسية تهزه المواقف الانسانية ، ويبكى لأحزان الآخرين ، وقد حدث أن ذهب لزيارة أحد أصدقائه فوجده مريضاً فى النزع الأخير وعند إنصرافه ، التفت اليه صديقه وقال له وهو يمسك بيده فيضعها على كتفى ابنته الطفلة الصغيرة : ترى من سيتولى تربية هذه الصغيرة التى ستصبح غداً يتيمة ؟

ولم يتكلم الشيخ رفعت لأن قلبه كان يبكى .. وفى اليوم التالى ، كان يتلو فى احد السرادقات سورة (الضحى) وعندما وصل الى الآية الكريمة التى

الشيخ محمد رفعت

أعظم صوت رتل القرآن الكريم في العصر الحديث



تقول (فأما اليتيم فلا تقهر) توقف عن التلاوة بعد أن ارتفع صوته بالبكاء والنحيب .. ثم كان الشيخ رفعت يجرى على هذه الطفلة مبلغا من المال كل شهر ، حتى كبرت وتزوجت !

أزمة الصوت الذهبى

وكانت أسعد لحظات الشيخ رفعت عندما يستمع الى تسجيلاته وهو يتلو القرآن ، وكان له صديق اسمه (محمد خميس) وكان على شىء من الثراء ، وقد بلغ عدد الأسطوانات التى سجل عليها بعض ايات القرآن الكريم بصوت الشيخ رفعت (٢٣ اسطوانة) ، وعندما مات محمد خميس كانت هذه الأسطوانات موضع نزاع بين ورثته ، فاصدرت المحكمة حكما بالتحفظ على هذه الأسطوانات الى أن يتم الفصل فى تركة مورثهم محمد خميس ، ولما مات الشيخ رفعت بعد ذلك لم يجدوا بين هذه الأسطوانات غير خمس اسطوانات فقط صالحة للاذاعة ..

وقست الأقدار على الشيخ رفعت ، فاصيب بعدة أمراض كانت تلاحقه ، وترغمه على ملازمة الفراش ، ولكنه كان يستأنف نشاطه بعد الشفاء فى تلاوة القرآن الكريم ، الى أن اصيب بمرض . (الزغطة) الذى منعه من تلاوة القرآن الكريم، ثم منعه من الكلام ، ثم منعه من الحركة بعد أن عجز عن الوقوف والجلوس والمشى . !

لقد ظل الرجل محتفظا بمجده كصاحب اجمل صوت بين قراء العالم الاسلامى ، الى ان داهمته امراض غريبة وبدات صحته تعتل والأطباء فى حيرة .. والذى حدث انه ذهب الى مبنى الاذاعة كعادته وجلس امام الميكرفون ليرتل القرآن ، ولكن الشيخ رفعت فى تلك المرة لم يستطع القراءة ، فقد احتبس صوته الذهبى ، على اثر اصابته بتلك الزغطة اللعينة التى كانت تلازمه حتى اخر يوم فى حياته ، وجعلته يفقد حلاوة هذا الصوت الذى طالما سحر به الناس جميعاً .

ومنذ ذلك التاريخ احتجب الشيخ محمد رفعت عن الميكرفون ، وحرم الناس من الاستمتاع الى جمال صوته الفياض بالايمان والخشوع فيما عدا ثلاثة اشرطة ، كانت الاذاعة المصرية قد سجلتها له قبل اشتداد المرض عليه ، وقضى الشيخ رفعت سبع سنوات وهو طريح الفراش ، وقام بفحصه جميع أطباء مصر ، ولكنهم لم يجدوا له الدواء .

وقد زار القاهرة طبيب ايطالى مشهور فى أمراض الحنجرة ، ولما فحص الشيخ رفعت فحصاً دقيقاً قال فى نهاية فحصه أن لا مرض فى الحنجرة تسبب فى هذه الزغطة ، ولكن الشيخ رفعت أصيب بعد ذلك بضغط الدم الذى شفى منه بعد عناء شديد ، وفى فترة النقاهة أصيب بالتهاب رئوى حاد ، فما كاد يشفى منه حتى أصيب به مرة أخرى ، وبينما كان

الشيخ رفعت يتوسط اثنين من أصدقائه الفلسطينيين ووقف خلفه أولاده .





مجموعة اسطوانات لأشهر الأوبرات والسيمفونيات العالمية كان الشيخ رفعت يستمع اليها يوميا .

يقترب من الشفاء ، اشتد عليه مرض « الزغطة » حتى أن أزماتها كانت تستمر بضع ساعات ، وقد ظل يعانى من هذه الأزمات الحادة حتى توفاه الله ..

مع أعلام الموسيقى

والجدير بالذكر أن أصدقاءه ومحبيه وعشاق صوته حاولوا أن يمدوه بالمال ، ويقدموا له المساعدة التى تعينه على مواجهة تكاليف العلاج لكنه كان يرفض اية مساعدة ، وقد باع البيت الذى كان يسكن فيه فى حى البغالة بالسيدة زينب وكذلك قطعة أرض فضاء فى حى المنيرة القريب من حى السيدة زينب ، وانفق على مرضه من حصيلة هذا البيع .. ولو أراد أن يكون من الأغنياء لما تكلف فى سبيل الغنى عناء ، ولكنه ـ كما ذكرنا ـ كان يكره المال ، ويعتبره مذلة للنفس !

وقد حدث قبل أن يصاب بالمرض ويلازم الفراش ، أن عرض عليه المطرب محمد عبد الوهاب ، أن تسجل شركة الاسطوانات التى كان يملكها مع آخرين ، المصحف كاملا على اسطوانات ، مقابل اى اجر يطلبه ، ولكنه اعتذر عن قبول هذا العرض لانه ـ كما قال لصديقه عبد الوهاب ـ انه يخشى ان يمسك الاسطوانة سكران او جنب .

والجدير بالذكر أن الشيخ رفعت كانت تربطه صداقة قوية بالمطرب محمد عبد الوهاب الذى كان يحرص على قضاء اغلب سهراته فى بيت الشيخ رفعت بالسيدة زينب ، وكثيرا ما كانت هذه السهرات تضم أعلام الموسيقى وعشاق الأغانى القديمة ، وكان الشيخ رفعت يغنى لهؤلاء الأصدقاء قصائد كثيرة ومنها قصيدة ـ (اراك عصى الدمع) و (بحقك انت المنى والطلب) وكان عبد الوهاب يجلس على الارض تحت قدمى الشيخ رفعت وهو يستمع اليه فى خشوع والدموع تنهمر من عينيه ..!!

مخلفات الشيخ رفعت

ولما مات الشيخ رفعت وجدوا بين مخلفاته مجموعة كبيرة من الأسطوانات المسجل عليها الاوبرات والسيمفونيات العالمية . وكان يستمع الى هذه الأسطوانات فى « فونوغراف » قديم اشتراه فى أوائل الثلاثينات قبل انتشار الاذاعة ، وكان يطيب للشيخ أن يسمع بتهوفن وموزارت وشوبرت وفاجنر ، وكانت تدور بينه وبين عبد الوهاب مناقشات كثيرة حول أسرار هؤلاء الأعلام كذلك كان يقتنى مجموعات من اسطوانات الموسيقى التركية واغانى ام كلثوم ومنيرة المهدية وحدث صديقه عبد الوهاب !

كان الشيخ رفعت لا يقنع بالصوت الموهوب ولا بعلوم التفسير والتجويد والقراءات بل كانت اذنه لا تمل الطواف فى أنحاء العالم ، ولا يشق عليها أن تضرب فى اعماق التاريخ لتسمع وتطرب وتفهم وتعرف ..!!

ومن مخلفاته ايضا (عصا) كان يستعملها المرحوم يحيى ابراهيم باشا احد رؤساء الوزارة فى مصر فى اوائل العشرينات ، وكان الشيخ رفعت يقدر هذا الرجل ويحترمه للغاية ، فلما مات ذهب الى قصره ، وسهر طول الليل يقرأ على جثمانه قبل أن تشيع جنازته ، وقد اهدت السيدة حرم يحيى ابراهيم باشا « عصاه » الى الشيخ رفعت تقديرا لوفائه وكانت رأس هذه العصا مصنوعة من الذهب الخالص !

أم كلثوم تبكى

وعندما اشتد المرض على الشيخ رفعت لجأ أولاده الى كل الوسائل ، لعلهم يجدون العلاج الذى عجز عنه الأطباء .. وقد انفق أولاده على الوصفات الشعبية أكثر مما انفقوا على الأطباء ولكن بغير جدوى .. فقد مات الشيخ رفعت ليترك فراغاً كبيراً ، بين قراء القرآن الكريم ، ويوم مات فوجئت أسرته بوجود ام كلثوم بينهم ، تصرخ من أعماقها وهى تودع جثمانه مع سيدات الأسرة ، وكان معروفاً أن ام كلثوم قد غضبت على الشيخ رفعت وقاطعته رغم أنها كانت تزوره فى مناسبات كثيرة ، كما كانت تقضى سهرات متعددة فى بيت أمين المهدى الذى كان يعقد ندوات فنية يحضرها الشيخ رفعت وام كلثوم ايضاً ، ويرجع سبب غضب ام كلثوم على الشيخ رفعت الى وشاية من احد موظفى الاذاعة ، فقد اختلف الشيخ رفعت مع الاذاعة وانقطع عن التلاوة امام الميكروفون ولما سألت ام كلثوم عن سر انقطاعه قال لها هذا الموظف ان الشيخ يطالب باجر يساوى ثلاثة أضعاف أجرها ، وأنه يحتج على أنها تتقاضى هذا الأجر الكبير ، وصدقت ام كلثوم هذه الوشاية ، وقطعت صلتها بالشيخ رفعت ولكنها عرفت الحقيقة بعد ذلك ، فقررت أن تزوره فى بيته ، وقبل أن تحدد موعد الزيارة ، جاءها خبر وفاته ، فبكته من أعماقها ، وزارت مقبرته أكثر من مرة لتترحم عليه ..

حسين عثمان

كتاب و قضية

الفخ الذي وقع فيه علي عبد الرازق و خالد محمد خالد لماذا يعدل المفكرون العرب عن آرائهم القديمة ؟

بقلم : صلاح عيسى

الذين لهم إلمام ـ ولو بسيط ـ بتاريخ الفكر العربي الحديث منذ بداية النهضة إلى الآن .. يلحظون أن المفكرين العرب يدخلون فى منحنيات فكرية شديدة التناقض . فمسيرتهم مليئة بالاقدام والتراجع . وعلى عكس ما قد توحي به لهجتهم العنيفة فى المناظرات الفكرية ، فان الجسور بين المحافظين منهم والمجددين مفتوحة ، بينما الطريق بينهما مزدوجة الاتجاه . لذلك لا يصاب أحد بالدهشة لأن مفكراً قد عدل عن فكرة أقامت الدنيا وأقعدتها . بل إن الامر لا يلفت اهتمام المهتمين بالظواهر الفكرية والمتابعين لها !! .

بعد ثلاثين عاماً من الضجة التى احدثها كتابه الأول «من هنا نبدأ» (١٩٥٠) اعترف المفكر الاسلامى المعروف «خالد محمد خالد» فى كتابه الثامن والعشرين «الدولة فى الاسلام» (١٩٨١) بانه كان مخطئاً ومتجنياً ومجافياً لكل صواب حيث ذهب الى القول بان الاسلام دين لا دولة ، وانه بلاغ لا قيادة ، واعلن اقتناعه بانه «دين ودولة وحق وقوة وثقافة وحضارة .. وعبادة وسياسة» ..

وبنفس الجسارة التى ساق بها «خالد محمد خالد» أفكاره القديمة ، يقدم للحديث عن ارائه بنقد للذات ، مطالباً الكتاب والمفكرين بأن «يعيشوا بفكر مفتوح بعيداً عن ظلام التعصب وغواشي الفناء ، انذاك يهتدون للصواب ويقتربون من الحقيقة» وهو يلح عليهم «ان يفكروا دائما وان يراجعوا افكارهم وينكروا ذواتهم ويتخلوا عن كبريائهم امام الحقائق الوافدة» !

والهوامش التى تحيط بمتن خبر عدول «خالد محمد خالد» عن رايه الاول لاتقل اهمية عن الواقعة ذاتها . فالرجل ظاهرة تستحق التامل ، فهو كاتب اسلامى يتميز بمجموعة من الرؤى المتسقة والمتكاملة ، يصنفه بسببها معظم النقاد فى خانة «المجددين» ، وهو صاحب مواقف وكتابات مشهودة ـ او شاهدة ـ على اخلاصه فيمايدعو له ، وهو مفكر ذو نفوذ عند الكثرة القارئة ، اكتسبه بجدارة لاهتمامه بتناول مشكلات العصر برؤى تجديدية ، وباسلوب لايستعصى على فهم عامة القراء ، والراى الذى عدل عنه ، جلب عليه متاعب وحمله اكدارا ، لكنه يقدم للقارىء اعتذاره ويقدم له مبررات عدوله عن رايه !

خالد محمد خالد

وليس من بين هذه المبررات ان عدول الكتاب العرب عن ارائهم القديمة يكاد يكون ظاهرة من ظواهر فكرنا العربى ، وهى ظاهرة تنشد تفسيرا فى ذاتها بصرف النظر عن مدى الخطا والصواب فيما يتنقلون بينه من مدارس وافكار واتجاهات ..

سيقول البعض إنها مظهر حيوية عقل لا يتكلس عند مواقف ولا يتشرنق فى افكار ، وهى دليل اننا تطوريون لا جامدون ، ومستقبليون لا محافظون ، وسيعضدهم اخرون لأسباب ليست اسبابهم ـ بان الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو على كل شىء قدير ..

على ان اخرين ممن لا ينكرون قول هؤلاء ولا تعضيد اولئك ، يسالون :

● الا يدل ذلك ـ بين ما يدل ـ على اننا نحن العرب ، لا نؤصل افكارنا ، لذلك ننتقل من النقيض الى النقيض وتلك ملامح مراهقة فكرية وعنوان عدم نضج ! ..

● وكيف نطمئن الى اراء التجديديين اذا كانت تصاغ فى عجلة وتلقى فى استهانة ولا تصمد لطارق الزمن ؟

تاريخ حياة ظاهرة

ما يدعو للدهشة حقا ان احدا لا يشغل نفسه بالسؤال عن السوابق التى اباحت لنا اصدار حكم بان عدول المفكرين العرب عن ارائهم قد اصبح ظاهرة ، فكل من له إلمام بسيط بتاريخ الفكر العربى الحديث منذ بداية النهضة الى الآن ، يلحظ ان المفكرين العرب يدخلون ـ فى العادة ـ منحنيات فكرية شديدة التناقض .. فمسيرتهم مليئة بالاقدام والتراجع ، وعلى عكس ما قد توحى به لهجتهم العنيفة فى المناظرات الفكرية ، فان الجسور بين المحافظين منهم والمجددين مفتوحة والطريق بينهما مزدوجة الاتجاه .. لذلك لا يدهش احد لأن مفكرا قد عدل عن فكرة اقامت الدنيا واقعدتها .. بل إن الأمر لا يلفت اهتمام المهتمين بالظواهر الفكرية والمتابعين لها ؟

سوابق من هذا النوع تجدها عند الكثيرين لم يكن اولهم «علي مبارك» ، ولن يكون اخرهم «خالد محمد خالد» ، وفى القائمة اسماء : طه حسين وهيكل والعقاد وعلي عبد الرازق .

واقعة الأخير منهم تشبه اكثر من غيرها واقعة

«خالد محمد خالد» : فالبطل في كل منهما رجل دين جهر برأى خالف به السائد من افكار جيله ، واثار ضجة وضجيجا ، ثم عاد بعد سنوات تطول او تقصر ليعدل عن ذلك الذى اثار بهما اثار ! والفصل المعنون «قومية الحكم» فى كتاب «خالد محمد خالد» الأول «من هنا نبدا» يتناول العلاقة بين «الدين والدولة» وهو ما تناوله كتاب على عبد الرازق «الاســلام واصول الحكم» . ومع خلاف فى المقدمات فان الاثنين انتهيا الى نفس النتيجة وهى ان الاسلام دين لا دولة ، وبلاغ لا قيادة . اعلن الأول منهما رأيه فى عام ١٩٢٥ وعدل عنه بعد ٢٢ عاما ، حين قبل العفو الصادر بحقه وعين وزيرا للأوقاف فى عام ١٩٤٧ . وبعدها بسنوات ثلاث تبنى «خالد محمد خالد» الرأى الذى عدل عنه «على عبد الرازق» ليثير بتبنيه له ضجة وضجيجا ثم يعود ليعدل عنه بعد ثلاثين عاما فى كتابه «الدولة فى الاسلام» (١٩٨١)

ثم إن كلا الرجلين قد حصل على درجة العالمية من الأزهر الشريف . حصل الأول عليها عام ١٩١١ وعمل بعدها قاضيا شرعيا ، وحصل عليها «خالد محمد خالد» عام ١٩٤٧ ليعمل بعدها مدرسا فى نفس المعهد الذى تخرج منه . وكان على عبد الرازق سليل اسرة من اكبر اسر المنيا بصعيد مصر ، تمتلك عشرات الآلاف من الأفدنة ونفوذا سياسيا واسعا منذ اوائل القرن ، فهى ركن من اركان «حزب الأمة» قبل الحرب العظمى الكونية ، وبعض اعمدة حزب «الاحرار الدستوريين» بعدها ، تمول هذا الحزب كما كانت تتفضل على سلفه . ووالده «حسن باشا عبد الرازق» : ثانى اثنين عرضت عليهما سلطة الاحتلال الانجليزى تولى عرش مصر عقب خلع الخديو عباس حلمى الثانى عام ١٩١٤ . لكن عميد ال عبد الرازق رفض ان يجلس على العرش لأن السلطة التى قدمت له العرض غير شرعية وليس من حقها ان تقدم عرضا كهذا .

ويكاد تاريخ عائلة «خالد محمد خالد» يخلو من اية وقائع دراماتيكية من هذا النوع الذى يرويه مؤرخو ال عبد الرازق . وقد ولد عام ١٩٢٠ ليكون اول من تذكره حروف المطبعة من عائلته . وهو يعتز كثيرا بأبيه الذى كان مزارعا فى احدى قرى محافظة الشرقية . ولابد انه ينتمى لتلك القبائل العربية التى سكنت صحراء مصر الشرقية منذ الفتح الاسلامى ، ثم اجتذبهم الشاطىء الشرقى لدلتا النيل فاغراهم بالاستقرار .

ويدين «خالد محمد خالد» لشخصية ابيه بطاقة التحدى التى دفعته لمصادمة الكثير من الآراء المستقرة ، كما يدين له بذلك الاحترام لحرية الانسان وكرامته وحقه فى التعبير عن رأيه والاجتهاد فى شئون وطنه ودينه . ومع ان احدا لم يعرض العرش على الرجل إلا ان هناك من الشواهد مايدل على انه كان سيرفضه ربما لذات المبررات . إذ كان يمارس الاحساس بكرامته بدرجة فيها كثير من الاعتزاز بالذات .

ويقول «خالد محمد خالد» :

نشأت فى بلاد كانت تسمى «الشفالك» أى الدوائر الزراعية الكبيرة التى يملك كل منها مالك واحد . كانت قريتنا وثلاث من القرى المحيطة بها تتبع تفتيشا للأمير «محمد عبد الحليم» . وكان هذا التفتيش يكاد يعبد من دون الله . وكان له رهبوت فظيع فى نفوس الفلاحين وكان مفتش التفتيش يكاد يقول للناس : اعبدونى . كان الفلاح يؤجر فى اليوم بخمس قروش ، وحماره يؤجر بعشرة ، كان الحمار المصرى اغلى من الانسان المصرى . فاذا جنى الفلاح محصولا حمله خفــراء التفتيــش إلــى مخــازن التفتيــش ، ويتركونــك تضرب الارض بكفيك فلا تنال شيئا إلا إذا دفعت الايجار .. اما ابى فقد شببت لأراه الرجل الوحيد الذى يتحدى التفتيش فى شخص مفتشه ، وأنا اعتقد اننى رضعت هذه المعارضة .. إننى فى الواقع اقرب الى مقولة مكسيم جوركى : «جئت العالم لأعترض» .

«وانا طفل — والحديث لخالد محمد خالد — رأيت المحضر يدخل بيتنا اكثر من مرة ويحجز على الماشية ويحرمنى انا واخوتى من اللبن . لا لأننا كنا نماطل الدوائر والتفاتيش ولكن لأن ابى كان يقاوم هذه الدوائر وهذه التفاتيش . رأيتها تنتزع ابى فى منتصف الليل وهو بملابس النوم لأنه اتهم بتحريض الفلاحين على اشعال النار فى اقطان التفتيش ...»

المؤكد ان فلاح الشرقية المشاغب قد لعب دورا هاما فى تكوين ابنه . فهو لم يضرب امامه فحسب امثلة للاستقلال فى الرأى وللشجاعة فى ابدائه ، والصمود فى مواجهة نتائجه . ولكنه اتاح له ان يعيش قضية العدل الاجتماعى ويعانيها عن قرب ، فتميز بين المفكرين الاسلاميين بنظرته العطوف على فقراء المسلمين ، وبلقبه من المبشرين باسلام العدالة الاجتماعية ..

طائر واحد يستطيع التحليق

ولم يكن على عبد الرازق مهموما بقضية العدل الاجتماعى ، فهو مفكر من ذوى الأيدى الناعمة ، وهو لم يعش على خبز الجراية كما كان يعيش طلاب الأزهر ، بل من المرفهين من ابناء الاسر الذين حدثنا عنهم طه حسين فى «الايام» . لكنه مع هذا التقى — فى الأزهر — بالامام «محمد عبده» ، فتأثر بآرائه ، والأرجح انه تناول الغداء مرات عديدة فى مطاعم جامعة اكسفورد حيث قضى خمس سنوات يدرس الاجتماع والتاريخ والسياسة ، قبل ان تقطع الحرب الكونية الأولى دراسته فيعود ليعمل بالقضاء الشرعى . ولولا دراسته فى اكسفورد ما اتيح له ان يقرأ ما كتبه ارثر كينون وتوماس ارنولد والمفكر الهندى محمد بركت الله فى الفلسفة الاسلامية وقضية الخلافة .

ولأنه مفكر من ذوى الأيدى الناعمة فقد كانت قضيته فى جوهرها صراعا مع الجالس على عرش مصر : نفس العرش الذى رفض عميد ال عبد الرازق ان يجلس عليه عام ١٩١٤ فجلس عليه السلطان حسين كامل ، وبعد عامين غادره الى دار البقاء ليخلفه عليه السلطان — الملك فيما بعد — احمد فؤاد الأول ..

ولم يكن ال عبد الرازق يملكون نفوذ الجاه والمناصب والمال فحسب ، بل كانوا على صلة ود بالسلطة الفعلية فى مصر آنذاك وهى دار المندوب السامى البريطانى . ولأن ظهورهم تستند الى القوة الحقيقية فى السياسة المصرية فقد تعاملوا مع الملك احمد فؤاد تعامل الأنداد . حتى انهم رفضوا ان يبيعوه بيتهم الذى يقع خلف سراى عابدين ليوسع به اصطبلات خيوله . وكان هذا بداية احتكاك بين الاسرتين ، تصاعد حين رد عليه الملك فؤاد بتخطى رجال «ال عبد الرازق» فى التعيينات للمناصب الادارية الكبرى فى الدولة .

ولا احد يدرى على وجه الدقة العوامل التى دفعت «الشيخ على عبد الرازق» قاضى محكمة المنصورة الشرعية لكى يمسك ورقة فيخط عليها السطر الأول فى كتاب «الاسلام واصول الحكم» . ومعرفة هذه العوامل ضرورية لفهم العملية العقلية والنفسية التى تتكون خلالها فكرة ستوأد بعد ٢٢ عاما او بعد ٣٠ عاما . أهى منذ البداية فكرة غير مكتملة النمو ، غير ناضجة لا تستحق تسطيرا على قرطاس ، لولا اندفاع الشيخ وفورته ؟ وحين ادركها نضج الشيخوخة بدت فجة وطائشة وطالبت بالاعتذار عنها ؟



الفخ الذي وقع فيه علي عبد الرازق وخالد محمد خالد



لكن «علي عبد الرازق» كان على مشارف الكهولة حين اصدر ـ عام ١٩٢٥ ـ كتابه ، إذ كان في السابعة والثلاثين ، درس في الأزهر واكسفورد وعمل بالقضاء وليس من طبيعة الأمور ان يكون القضاة شبانا طائشين يلقون بالكلام على عواهنه . وكان «خالد محمد خالد» حين أصدر كتابه ـ ١٩٥١ ـ في الثلاثين من عمره ، وهي سن استواء ونضوج وليست عمر طيش واندفاع ..

وصحيح ان كلا الرجلين قد عدل عن رأيه القديم الى رأي جديد وهو في الستين من عمره ، إلا أن نظرية شيخوخة الأفكار ليست من الطيور التي تصلح للتحليق ، فهناك مفكرون كبار وفنانون عظام وأصحاب رسالات كبرى غيرت التاريخ بدأوا اقتحام العالم وهم في الاربعين وأحيانا وهم في الستين .

الجانب الوحيد الصحيح في هذه النظرية الخاطئة هو أن المجتمعات تعيش شبابا دائما : صرح علي عبد الرازق برأيه عام ١٩٢٥ وعدل عنه عام ١٩٤٧ ، لكن الرأي وجد شابا آخر تقدم لتبنيه والدفاع عنه عام ١٩٥٠ . وفي عام ١٩٨١ عدل خالد محمد خالد عن رأيه .. وربما اليوم او غدا سيخرج شاب ثالث يهاجمهما معا ويكرر حماقة شبابهما ، فالتطور هو قانون المجتمعات ، ولولا دفع الناس بعضهم لبعض لفسدت الأرض والأفكار !

متصوف سني .. وعلماني

وإذا كان الرجلان قد اختلفا في المنشأ الاجتماعي ، فقد تعرضا لمناخ فكري متقارب . ولعل هذا ما يجمع بينهما . انهما في الحقيقة اب وابن ينتميان للحلقة التاريخية نفسها : قبل الحربين الكونيتين وبينهما ، أيامها كان العرب يتمردون ويتخبطون كالطائر الدائخ بين شباك الاوروبيين وشباك العثمانيين . عنوان الطموح : الاستقلال عن هؤلاء واولئك . والأسلوب نزوع لتأكيد الذات . لم تكن المشاعر تجاه العثمانيين ودية ، فما أكثر المظالم التي يحفل بها سجلهم القديم والجديد وحين طرحت قضية الشعوب غير التركية في الامبراطورية العثمانية نفسها على الاتحاديين ، كشفوا عن تعصب لطورانيتهم أكد للعرب المبشرين بامبراطورية اسلامية متعددة القوميات ، انه لا أمل هناك . وان الاتراك عثمانيين وطورانيين يستخدمون الرابطة الدينية لاخفاء تعاليهم على الاجناس الاسلامية غير التركية وقهرهم لها . وهكذا تضاءلت الفرص امام الجامعة العثمانية كتيار فكري .. خاصة والنموذج العثماني لا يغري بالتكرار .

تجاه الاوروبيين ، كانت المشاعر اكثر تعقيدا ، لا جدال في ان العداوة كانت جزءا من تلك المشاعر . لكن المؤكد ان العرب قد انبهروا بالاوروبيين بقدر ما غضبوا منهم ونقموا عليهم . ومن دلائل هذا الانبهار أن يعود بعض الشبان الذين تعلموا في أوروبا ليصدموا مجتمعهم فيما يعتقد او يرى . فتثور الزوابع وترعد الرعود وتقوم الدنيا وتقعد ، لكن علينا الا ندهش اذا ما عدل هذا الشاب عن رأيه بعد سنوات ، إذ الواقع اننا امام مفكر جاء ليقول لنا انه كان في أوروبا ، ولذلك فهو حر التفكير قادر على التصريح بما يرتعد الآخرون من مجرد سماعه ، ولكنه ليس واثقا تماما من صحة ما انتهى اليه !

وحين يتوقع الانسان ان يكون «علي عبد الرازق» و «خالد محمد خالد» في صف الخلافة ، فانه يستقرىء واقع الرجلين بشكل صحيح تماما ، فذاك هو المعسكر الطبيعي لطلاب الأزهر ومشايخه وكل من تلقى ثقافة دينية جادة ، او هذا هو الفهم السائد للموضوع أيامها . لكن النوافذ فتحت على أوروبا فلم يعد شرطا ان يذهب خالد محمد خالد الى اوروبا كي يتأثر بها كما كان الحال أيام علي عبد الرازق . لم يتسكع الرجل في أبهاء اكسفورد ، ولم يقرأ آرثر

جمال الدين الأفغاني



محمد حسين هيكل



كينون ، ولا توماس ارنولد بل انه حتى لم يقرأ كتاب «الاسلام واصول الحكم» لعلي عبد الرازق .

على أن ذلك كله لم يكن شرطا لكي يجابه قومه برأي شبيه بما فعل علي عبد الرازق قبله بربع قرن . واقع الامر انه كان قد عاش ضمن الابنية الأوروبية التي جاءت تصوغ الوطن بعد ١٩١٩ : البرلمان والانتخابات وحرية الصحافة والمواطنة والدستور .. وتعرض لنفس التأثيرات .

وهو يقول :

«غادرت قريتي الى القاهرة وكنت طالبا في المرحلة الابتدائية . كان لدي حنين الى السياسة ، وكان اول كتاب غير مدرسي اشتريته للتثقيف العام كان «مذكرات لورد جراي» ـ وزير الخارجية البريطاني إبان الحرب العالمية الأولى ـ وكنت أيامها في الرابعة الابتدائية ، وإني الى الآن أعجب لماذا اخترت هذا الكتاب من بين ما كانت المكتبة تزدحم به» .

«ظللت مع الوفد بعواطفي ، اتتبع خطب مصطفى النحاس ومكرم عبيد ، وعندما انفصل النقراشي واحمد ماهر عن الوفد وقفت معهما ، وتركت الوفد لأصبح من شباب الهيئة السعدية ، وبدأت آنذاك امارس الخطابة السياسية . وكنت احتفظ بمحطة استقبال جيدة تحتفظ بالأحداث وتعمل على تحليلها والربط بينها والاستنتاج منها كانت المرحلة مرحلة نضال ديمقراطي مجيد ، وكنت اشهد النحاس وهو رئيس وزراء يترك المظاهرات تهتف بسقوطه ، والصحف تتهمه في نزاهته دون ان يضار هؤلاء . شهدنا حرية الصحافة ، وحرية معارضة برلمانية» .

● .... ؟

ـ ... بدأت أقرأ لويلز في معالم تاريخ الانسانية .. ولبيوري في حرية الفكر ولول ديورانت في «قصة الحضارة» ، بدأت اقرأ كتبا كثيرة عن التاريخ الأوروبي فكرا وسياسة ، فقرات عن بسمارك ، وفولتير ، قراءات متنوعة ، وكنت في هذه الأثناء احس أن عبارة الديمقراطية تصب في ضميري .. وفي قلبي صبا .. الى ان جاءت سنة ١٩٤٩ فكتبت كتاب «من هنا نبدأ» .

قبل هذا الكتاب لم يكن «خالد محمد خالد» قد نشر شيئا سوى مقال سياسي واحد ارسله للاهرام ، لكنه كان قد شغل بالتصوف فترة طويلة من حياته ، وكتب اثناءها مقالات دينية كثيرة .

كان مركز الجذب الديني لأفكاره سلفيا نقيا ، والسبب كما يذكره :

ـ انتميت في فترة مبكرة من عمري للجمعية الشرعية ، وقد انشأها من عهد بعيد شيخ من كبار أولياء الله وعلماء الاسلام هو الشيخ «محمود خطاب السبكي» ثم قادها بعده ابنه الشيخ أمين السبكي رحمهما الله .. وهي جمعية نشاطها ديني بحت ، وتتبع سنة الرسول وتقتدي به في كل شيء ..»

نحن اذن امام طبعة نادرة لمفكر ديني يجمع بين التصوف والسنية المتشددة وافكار عصرية تستشهد بويلز ، وفولتير ، وأفلاطون .

كما استشهد علي عبد الرازق بأقوال توماس ارنولد ، وارثر كينون . فلذا عرفنا ان رائد مدرسة التجديد الديني الامام محمد عبده بدأ حياته صوفيا ، وحين اصبح مفكرا متمردا وسياسيا

متمرداً تعلم من إمامه «الأفغاني» قوله :
ـ لا أفهم معنى قولهم ـ الصوفية ـ الفناء فى الله .. إنما الفناء يكون فى خلق الله بتعليمهم وتثقيفهم والحدب عليهم .

ومنذ اختار الامام محمد عبده الفاعلية فى العالم اعتزل التصوف ، وهذا هو المنطقى مع شخصية رجل يشتغل بالمسائل العامة ، معرفتنا لما سبق تؤكد لنا مدى الندرة فى شخصية «خالد محمد خالد» ، فهو متصوف مشغول بالفناء فى ذكر الله والتوق الى طلعة الذات الالهية ، وسنى مهموم بتتبع الصراط المستقيم الذى هدى الله اليه سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وهى سنة لا تعرف بدعة ، ولا تقر بضلال . وهو مع هذا عصرى علمانى يكتب بكل جسارة كتابه الأول ليكون من بين دعاواه أن الاسلام دين لا دولة وبلاغ لا حكومة !

الفخ الذى وقعنا فيه

فى تلك السنوات ، كان العقل العربى مايزال يبحث عن إجابة لعلامة الاستفهام المطروحة منذ عهد الصحوة الحديثة ، كيف نبنى نموذجنا القومى ؟ . انعود للماضى أم نطرحه ظهرا ونتنهل من الرؤى الأوروبية التى تفوقت علينا وحكمتنـــا واذلتنا ؟! .

وكان «علي عبد الرازق» قد تقدم عام ١٩٢٥ ليجيب على السؤال فجاءت اجابته ماكرة ، فقد صارع الماضى بالماضى ، وتحدى المتحمسين لعودة الخلافة الاسلامية أن ياتوه بنص من القرآن او السنة يدل على أن الخلافة من اصول الاعتقاد الاسلامى ، مؤكداً «أن محمداً صلى الله عليه وسلم ما كان إلا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين لا تشوبها نزعة ملك ولا حكومة ، وانه لم يقم بتاسيس مملكة وما كان إلا رسولا . وما كان ملكاً ولا مؤسس دولة ولا داعيا الى ملك» فنحن لم نسمع «ان النبى عليه الصلاة والسلام عزل واليا ولا عين قاضيا ولا نظم فى الامم عسسا ، ولا وضع قواعد لتجاراتهم أو لزراعاتهم ولا لصناعاتهم» .

خلاصة القول عند «علي عبد الرازق» ان «وظائف الحكم ومراكز الدولة ، كلهـا خطـط سياسية صرفة لا شأن للدين بها ، فهو لم يعرفها ولم ينكرهـــا ولا أمر بها ولا نهى عنها ، وإنما تركها لنا لنرجع فيها الى احكام العقل وتجارب الأمم والقواعد السياسية» .

وكان محتما أن يقع «علي عبد الرازق» فى الفخ السياسى ، لأنه ـ منذ البداية ـ تقدم كمصارع سياسى لا كمجتهد دينى ، لذلك جاءت وجهة نظره مليئة بالثغرات ، واكتشف النقاد الأقدمون والمحدثون انه انطلق من فكرة يريد ان يثبتها ولو طوع النصوص او اقتطعها أو أساء تفسيرها ، كان فى الواقع يقف فى مكتبة اكسفورد ، يعظ أمته التى تعيش فى الخيام فيطالبها ان تدير ظهرها لماض لم ير فيه سوى خلافة السلطان عبد الحميد الثانى وتنهل من الرؤى الأوروبية ..

والفخ الذى وقع فيه ، وقعنا جميعا فيه ، فعلاقة الاسلام باصول الحكم لم تكن الموضوع الذى شغل علي عبد الرازق . ولكنه طموح الملك فؤاد ان يلى الخلافة ، واثر ذلك على النظام الدستورى البرلمانى

● خالد محمد خالد يعـــدل

عن رأيه في الدولة الإسلاميـة

بعـــد ثـلاثـين عـــامـًا



● قضية الدولة الإسلامية طرحت

نفسها على الفكر العربي مــرارًا ..

لكن أحدًا لم يجتهد فيها بعـد

العلمانى الذى كانت مصر واقطار عربية اخرى قد بدأت تنقله من اوربا بعد الحرب الأولى .

ورد الملك فؤاد على مشاغبة علي عبد الرازق بمثلها ، فاذا بهيئة كبار العلماء تستدعيه للمحاكمة وتوجه اليه سبع تهم تدور كلها حول إنكاره ان هناك صلة بين الدين والدولة وبين الشريعة والسياسة ، وتنتهى بعد استعراض الاسباب الى الحكم باخراج الشيخ علي عبد الرازق احد علماء الجامع الأزهر والقاضى الشرعى بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية ومؤلف كتاب «الإسلام واصول الحكم» من زمرة العلماء ..

ولم يتنبه أحد ممن أصدروا الحكم لأن النظام السياسى الذى يعملون فى إطاره ويقبلون ضغوطا منه لاخراج الشيخ علي عبد الرازق من زمرة العلماء هو نظام دنيوى محض ينكر اى صلة بين الدين والدولة وبين الشريعة والحكومة .. وانه اقرب ـ من حيث الواقع ـ الى اراء علي عبد الرازق لا الى ارائهم ، وتحمل علي عبد الرازق الحكم كعقوبة سياسية لا كعقوبة نزلت بمجتهد ان اخطأ فله اجر وان اصاب فاجران . ذلك انه فى الواقع لم يجتهد ولكنه شاغب سياسيا فحسب ..

وحين جاء الظرف السياسى الذى يفرض اصلاح الموقف ، تمت تسويته على اسس سياسية محضة ، فقد كان الأحرار الدستوريون عام ١٩٤٧ شركاء فى حكم ائتلافى مع السعديين ، ومات الشيخ مصطفى عبد الرازق ، شيخ الأزهر وشقيق علي عبد الرازق ، وأصر د. محمد حسين هيكل رئيس حـــزب الأحرار على تعيين شقيقه علي وزيرا للأوقاف ، فوقف حكم هيئة كبار العلماء بطرده من زمرة العلماء دون ذلك ، وكان الملك فؤاد قد مات وخلفه ابنه فاروق ، وهكذا تغير الظرف السياسى ، وسقط مع تغيره الحكم باخراج علي عبد الرازق من زمرة العلماء ، اسقطه نفس الذين اصدروه ، باتفاق غير مكتوب بنده الأول الا يكرر علي عبد الرازق شغبه ، والا يظل حكم تجريده قائما اما القضية الأصلية فقد تاهت فى الزحام ووأدت مناقشة هامة وضرورية تتعلق بهمنا الرئيسى : كيف نبنى نموذجنا القومى؟

حين قلقت القضية

لذلك لم يكن غريبا ان انتهت الحرب الكونية الثانية ونحن مازلنا حيث كنا فى نهاية الحرب الكونية الأولى ، ضميرنا القومى حائر بين ما ورثنا وما تثبت وقائع العصر انه الأقوى والأنفع . ولما كانت الخلافة العثمانية قد اصبحت اثرا تاريخيا ، فلتتقدم الصيغة الجديدة : الدعوة لتطبيق الشريعة الاسلامية وانشاء دولة دينية . وسرعان ما تصبح مدرسة لها افكار ودعاة ..

ولابد انك ستلاحظ ان خالد محمد خالد كان بعيداً عن هذه الحركة ، برغم انغماسه فى الجمعية الشرعية واهتمامه بالشئون العامة ، وتسأله كما سألته :

● الم تكن ترى فى ذلك الوقت ان هناك ضرورة لحركة اسلامية اصلا ؟!

سيقول لك :

ـ نعم ، كنت أميل ان يظل الاسلام دينا يتعبد الناس به ربهم ، والا يقحم فى السياسة ، وناديت بما اسميته يومئذ قومية الحكم ، وناقشت ذلك فى الفصل الثالث من كتابى «من هنا نبدأ» ؟

فى ذلك الفصل ـ بتلخيص المؤلف نفسه ـ ذهب يقرر ان الاسلام دين لا دولة ، وانه ليس فى حاجة إلى ان يكون دولة .. وان الدين علامات تضيء لنا الطريق الى الله ، وليس قوة سياسية تتحكم فى الناس وتأخذهم بالقوة الى سواء السبيل ، ما على الدين إلا البلاغ وليس من حقه ان يقود بالعصا من يريد لهم الهدى وحسن الثواب .

فالدين حين يتحول الى حكومة ـ كما قال خالد محمد خالد ـ فان هذه الحكومة الدينية تتحول الى عبء لا يطاق ، وذهب يعدد يومئذ ما اسماه «غرائز الحكومة الدينية» باعتبارها من المؤسسات التاريخية التى استنفدت اغراضها ولم يعد لها فى التاريخ الحديث دور تؤديه ، فكان من بين تلك الغرائز الغموض المطلق والغرور ووحدانية السلطة والجمود والقسوة !

وكان منطقيا مع الأعراف العربية المقننة ان يحاكم خالد محمد خالد على افكار كتلك ، وصادرت النيابة الكتاب بناء على تحليل للجنة الفتوى يتحصل فى ان الكتاب يسلب الدين اخص وظائفه وهى الهيمنة على شئون الحياة وتدبيرها واقامة امور الناس فيها على اسس العدل والاستقامة ، وسياستهم بكل ما فيه اصلاح حالهم فى الدنيا وتوفير اسباب سعادتهم فى الآخرة ، تارة بالنصح والارشاد والوعظ والهداية واخرى بالقضاء العادل والحكم الرشيد وتامين الناس على انفسهم واموالهم وسائر حقوقهم وانصاف المظلومين والضرب على ايدى المعتدين الظالمين ، وإن كتاب الله وسنة نبيه كلاهما مليء بالتصريح الفقهى الواضح البين فى الحكم والقضاء وما اليهما من مظاهر الهيمنة الفعلية على جميع نواحى الحياة الاجتماعية مالية وجنائية فردية واجتماعية ودولية» .

وفى راى لجنة الفتوى محاولة لاجتناب التناقض الذى وقع فيه اتهام هيئة كبار العلماء لعلي عبد الرازق ، لذلك لم تجابه المؤلف صراحة بان

الاسلام دين ودولة ، وان اقامة الامامة جزء من الاعتقاد ، رداً على مماراته فى ذلك ، إذ كانت تدرك ــ ولا جدال ــ ان حكماً كهذا بحق خالد محمد خالد سيبدو غير منسجم مع تتويجه باسم ملك يحكم بدستور مستلهم من أب بلجيكى ..

وهكذا ، للمرة الثانية ، وربما الثالثة أو الرابعة ، تفلت القضية من بين أيدينا ، ونحرم من فهمها على وجهها الصحيح ، لاننا لا نجتهد ، بل نصارع سياسيا ، وهذا ما يعترف به خالد محمد خالد :

ــ .. كنت اخشى على الاسلام من الحركات الاسلامية التى انتشرت فى بلاده وخاصة بعد ان اتجهت اقسام منهم الى الاغتيال السياسى ، وكنت ايضا قد قرأت كثيراً عن الحكومة الدينية المسيحية فعكست هذا الوضع على الاسلام وتصورت ان الحكومة الدينية الاسلامية يمكن ان تقع فى ذات الخطأ . من هنا كان رفضى لقيام حكومة اسلامية ..

فى كلا الخطأين ــ كما يقول خالد محمد خالد ــ كان هناك خطأ فى المنهج ذاته فقد جعلت ما تأثرت به من قراءاتى عن الحكومة الدينية فى المسيحية وما تأثرت به من تحول بعض الشباب المسلم من نساك الى قتله .. جعلت هذا وذاك «مصدر» تفكيرى لا «موضع» تفكيرى !! تجعله موضع تفكيرك . عندما يكون مصدر تفكيرك فانه يقودك فى طريقه هو لا فى طريق الحقيقة . أما حين يكون الشيء موضع تفكيرك فانه يمد تفكيرك المحايد والمستقل بكل اعتبارات القضية المدروسة دون ان يلزمك بحكم مسبق ليتحرك الفكر داخل اطاره الحديدى الصارم» !

وذلك هو الفخ نفسه الذى وقع فيه علــــى عبد الرازق ..

الجديد الذى نسخ القديم

حول الكتاب الجديد الذى نسخ القديم كان حوارنا . سألته :

● ترى ، هل كانت الدعوة للعودة للأصالة وراء نسخك لرأيك القديم .. وماذا ترى فى حركة التجديد الاسلامى اليوم ؟

تجاهل الشطر الأول من السؤال .. مباشرة قال :

ــ أعتقد اننا نعيش عصر بعث للاسلام كدين وكدولة ومجتمع . اما تجديد الفكر الدينى ، فتلك مسالة رهينة بظروفها ، فالتجديد بهذا المعنى يعتمد على علماء مبرزين احرار يستطيعون أن يتبوأوا مكانة الاجتهاد فى الاسلام .. ويستطيعون بشجاعة ان يعيدوا فتح باب الاجتهاد !

● الا ترى اننا نسير نعرج ، إذ كيف تتقدم حركة بعث الاسلام كدولة ، حركة التجديد الدينى ، أليس المنطق ان تسبقها تمهد لها او تواكبها لتشد الناس اليها بما تطرح من رؤى اسلامية لمشكلات العصر ؟!

ــ انا معك فى هذا لان الفكر دائما يسبق العمل .. وهناك محاولات لتجديد الفكر الاسلامى ، ولكن هذه المحاولات ليست بالطاقة أو بالشمول الذى تسير به حركة بعث الاسلام كدين وكمجتمع .

● البعض يقارنون بين أولى حلقات التجديد الاسلامى عند الأفغانى وآخر حلقاته فى عصرنا فينزعجون ، إذ يبدو لهم اننا نتراجع عن نقطة البدء فالمجددون المعاصرون اكثر تشدد أو محافظة مما كان عليه الافغانى ومن تتلمذوا عليه وخلفوه ؟ فما رأيك ؟!

الفـــخ الذي وقـــع فيـــه عــــلى عبـــد الرازقـــ وخـــالد محـــمد خـــالد

ــ الواقع ان جمال الدين الأفغانى كان زعيما أو ملهما سياسيا أكثر منه مفكرا دينيا ، وهو لم يترك لنا ثروة فكرية يمكن ان نشير اليها ونقول هذا تجديد فكرى . الأفغانى جعل شغله الشاغل تحرير الامم الاسلامية سياسيا وكان محرضا على التمرد ، والشيخ محمد عبده كان الى حد غير بعيد يحمل بذور افكار دينية جديدة .. لكن السياسة شغلته هو الآخر عن اتمام دوره كما ينبغى ، اما حسن البنا فقد ركز على بعث روح اسلامى كما كان يصنع الافغانى ، ولم يشغل نفسه بمشاكل فكرية او فقهيــــة فى الاسلام .

● عند من من المجددين الاسلاميين تقف ؟

ــ انا اقف عند اقبال ، ومولاى محمد على ، وابو الكلام ازاد ، وهم هنود هم الثلاثة . وانا أقف عند روح التجديد ، إذ كان ثلاثتهم مستعدين لتحمل الهتاف بآراء جديدة فى تفسير بعض النصوص الاسلامية . فالامام عمر بن الخطاب مثلا الغى حق المؤلفة قلوبهم فى الزكاة ، مع ان هذا الحق ثابت لهم بنص القرآن ، وقال ان الله قد أعز الاسلام ، فهو ليس فى حاجة الى تأليف قلوب احد وكان يجتهد فى احكام شرعية كثيرة ، ويعطى رأيا شجاعا يخالف النص ، فالاسلام بطبيعته لا يتأبى ولا يرفض محاولات التجديد فيه .. نحن الآن امام قضايا معاصرة مجيدة الى ودائع البنوك ، وهى قضايا لا معاصرة مجيدة وصغيرة ولكنها تشغل المسلم بدءاً من شهادات الاستثمار الى ودائع البنوك ، وهى قضايا لا تجد فيها رأيا شجاعا او اجتهادا خلاقا . فالبنك يعطيك ربحاً على ودائعك ولا يعود عليك بخسارة ، وهذه صورة من صور الربا ، لكن منطق البنك يؤكد انه لا يخسر وان انواعه لا تخسر إلا اذا سرق صاحب البنك ودائعه ، ومنطق البنك يتطلب اجتهاداً .

بعد لحظة تأمل اضاف :

ــ هناك قضايا معاصرة كثيرة جدا لا تزال معلقة بين الصواب والخطأ وبين الحل والحرمة ، ولا تجد المجتهد الجسور الذى يدرس القضية دراسة وافية جدا ، ويتقدم بالرأى ولا تجد حتى مجمعا للبحوث الاسلامية فى مستوى مسئولياته يتقدم للناس برأيه وباجتهاده .

● هل كان اقبال فى رأيك هو ذلك المجتهد الجسور ؟

ــ إن اقبال مثلا يذهب إلى أن الاسلام كان خاتم الديانات ورسوله كان خاتم المرسلين وهذا إيذان بأن « العقل قد ورث الوحى» وتولى المهمة بدلا منه . وهذه مقولة جريئة لانها تحل لنا مشاكل عديدة .. المسالة تتطلب مجتهداً جسوراً ..

قلت معلقا على شكل سؤال :

● أهى مشكلة جسارة فحسب .. أم مشكلة مناخ وظروف ؟

ــ مشكلة فقدان جسارة ونقص معرفة . لابد أن يصل المجتهد إلى مستوى رفيع من العلم والمعرفة قبل أن يكون مؤهلا للاجتهاد ، ليس العلم بالاسلام فقط بل وبالواقع المعاصر ايضا ثم بعد هذا الوعى الذاتى ، لابد أن يكون المجتهد جسوراً لكى يواجه الرأى العام المسلم باجتهاده ..

كان الاجتهاد قائما يوم لم تكن فى حاجة إليه ، ونحن اليوم فى حاجة شديدة إليه ، ولدينا مجمعات بحوث وروابط ومؤتمرات وعدة تشكيلات ومع ذلك فهى جميعا عاجزة عن أن تأخذ دور المجتهد وتربط قضايانا المعاصرة بمبادىء الاسلام .

● الا ترى ان الفعل النشط فى حركة البعث الاسلامى اليوم ، مع العجز عن الاجتهاد يمكن ان يكون ذا أثر سلبى .. كثيرون يقولون بأن معظم الحركات الاسلامية ليس لديها برنامج واضح للدولة الاسلامية التى تبشر بها ؟

قال خالد محمد خالد :

ــ ان البعث الاسلامى فى شموله يجذب إليه محاولات التجديد الفكرى فى الاسلام وهو وان يكن يتقدم بتجديد التفكير فان هذا التجديد يسير بقوة هذا البعث وبحرارته ، وان لم يكن بالصورة المرجوه . فلا خطورة هناك ، فاذا حقق البعث الاسلامى هدفه ، ستجد مشاكل تفرض نفسها على الدولة ، وهذه المشاكل لا تفرض نفسها علينا اليوم ، لكن الضرورة ستعلن عن نفسها فى ظل الدولة الاسلامية فيفتح باب الاجتهاد ليواجه تلك المشاكل ..

بدا لى فيما بعد ان السؤال التالى قد نقل المناقشة الى محور مختلف . قلت :

● فى مؤلفاتك بشكل عام خطان واضحان تماما ، هما اسلام الديمقراطية واسلام العدل الاجتماعى ، فاذا وقفنا عند الجانب الاول .. كيف تراه اليوم بعد ان انضممت لصفوف المطالبين بدولة اسلامية ؟

ــ لو حكمت بشخصى دولة اسلامية فسأطبق الديمقراطية النيابية التى تقوم صورتها الآن فى بريطانيا ، فالدولة الاسلامية التى ادعو إليها دولة تقوم على تعدد الاتجاهات وبالتالى تعدد الاحزاب وتقوم على معارضة لها مكانتها وحريتها ، وهذه هى الشورى كما قال بها الاسلام . الحاكم يمثل الأمة ويوكل عنها ، ولا يجوز لحاكم ان يقول لنا انه يحكم باسم الله ، لانه يحكم بحكم الله ، لكنه فى الوقت نفسه وكيل عن الامة التى انتخبته واختارته ! »

● كأنك بهذا تقول أن الشورى ملزمة للحاكم المسلم ، اظن ان هناك خلافاً بين الفقهاء حول إلزامها ؟! .

ـ هو صحيح . ولعل الذين قالوا بعدم الزامها كانوا واقعين تحت ضغط الخوف من حكامهم . لكن الحقيقة التى اراها ان الشورى ملزمة، إذ لو لم تكن كذلك فلا مبرر لها . وقد امر الله رسوله « وشاورهم فى الأمر » ، وصدر امره جل جلاله للنبى بعد ان شاور الرسول صحابته فى غزوة «احد» واخذ برايهم فادى ذلك لهزيمة استشهد فيها سبعون صحابياً بينهم عم الرسول حمزة ، فكان الآية نزلت تامر الرسول بالشورى بصرف النظر عن النتائج .

● يذهب البعض الى ان الحاكم المسلم يستشير اهل الخبرة الذين يصطلح على تسميتهم باهل الحل والعقد ؟

ـ اهل الحل والعقد في رأيي هم النواب الذين يختارهم الشعب بمحض حريته ، وهذا ايضا اجتهاد جديد منى ، لأن العادة مضت فى الفقه الاسلامي على ان اهل الحل والعقد هم اهل الخبرة . وهؤلاء يمكن الاستعانة بهم فى مجالس متخصصة تقوم على الاختيار .. اما اهل الحل والعقد الذين يفصلون في مصائر الامة السياسية ، لا يمكن إلا ان يكونوا نواب هذه الأمة التى اختارتهم بملء ارادتها دون ادنى تزييف لاقتناعها .

عن الشطر الثاني تساءلت :

● وماذا تقدم الدولة الاسلامية على صعيد العدل الاجتماعي ، ؟

يقول خالد محمد خالد :

ـ مررنا بتطبيق يبعث فى نفوسنا كثيراً من التفاؤل بمستقبل الكرامة الانسانية والعدل الاجتماعي فى ظل الاسلام ، فقد استوصى الى ابعد الحدود بالعدالة الاجتماعية ، وإذا كان الاسلام اعتمد على الزكاة كضريبة اساسية يحقق بها العدل الاجتماعي فانه لم يخلق الباب امام ضرائب اخرى تصطنعها الدولة كما تشاء تغطية لمتطلبات العدل الاجتماعى . الاسلام فى مبادئه يرى ان الناس سواسية كاسنان المشط وان حقهم جميعا فى الحياة المعيشية متكافيء ، وكان بيت مال المسلمين يرتب العطايا الشهرية او السنوية على فقراء المسلمين بحيث يغطى حاجة كل مسلم . وكان الرسول يقول : « إن الأشعريين كانوا إذا ارملوا فى غزو او قل عندهم الطعام جمعوا ما عندهم جميعاً فى ثوب واحد ثم اقتسموه بالسوية ـ وضع كلمة السوية بين قوسين ـ فهم مني وانا منهم . لا يوجد ابدا مباركة للعدل الاجتماعي بافضل مما فعل الرسول ، فهو يقول : « الناس شركاء فى ثلاثة : الماء والنار والكلأ » اى فى كل ما ينتج عن استغلال هذه الاشياء الثلاثة . فالماء يروى الزرع والنار تدير المصانع ، والناس جميعا شركاء فيهما ايضا ..

ويصف الاسلام المؤمنين بالذين فى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ، وافتى علماء الاسلام بانه إذا مات فى قرية او بلد احد من الجوع ، فان القصاص والدية تقع على جميع اهل هذه القرية . والرسول يخبرنا بان من بات شبعانا وجاره الى جواره طاو ـ من الجوع ـ فقد خان الله ورسوله ، اى خان الاسلام .

من حيث المبدأ نجد ان الاسلام قد وضع اسس العدل الاجتماعي ، ومن حيث التطبيق فقد طبق

● **الإسلام بطبيعته لا يرفض محاولات التجديد فيه . وقد ألغى الخليفة عمر بن الخطاب حق المؤلفة قلوبهم في الزكاة**



السلطان حسين كامل



مصطفى النحاس



أحمد ماهر



هذا العدل الاجتماعي ايام ابى بكر وعمر على شكل يبهر الألباب ، وحدث على عهد علي ، ثم حدث على عهد عمر بن عبد العزيز ، وهو نسيج وحده فى هذا المجال وميزته كعادل اجتماعي انه خرج من مستنقع الدولة الاموية ولم يكن من الرجال الذين عاشوا مع الرسول او صاحبوه ، ومع ذلك طبق مبادىء الاسلام فبلغ من العدالة مبلغا يكاد يكون منقطع النظير ، فاذا سالنى سائل اى نموذج تراه صالحا كمثال للدولة الاسلامية قلت دولة عمر بن عبد العزيز ، ولذلك اخترته كنموذج لما ادعو إليه فى كتاب « الدولة فى الاسلام » . إن ظروف عمر بن عبد العزيز وبيئته لم تكن توحي ابدا بان فى استطاعتها ان تخرج لنا هذا الحاكم القديس المطلق فى عدله وهو نفسه يقول : والله لولا الاسلام لكنت كغيرى من الناس . هو فى رايي معجزة الاسلام .

● هل اخذ هذا الجانب من التفكير الاسلامي حقه من السلف ام انه ـ في رايك ـ مايزال يحتاج الى مزيد من الاجتهاد ؟

ـ كل ما يمت للفقراء كان موضع عناية الاسلام وعلمائه وحكامه فى كل عصر رغم الترف الذى كان يميز بعض الحكومات الاسلامية . حتى فى تلك الفترات كان الناس جميعا يحسون بضرورة وحتمية وجود العدل الاجتماعي كشيء من اهم الاشياء فى الاسلام .

● الا ترى معي ان هناك صياغة معاصرة لهذه القضية تكون قريبة من مشاكل عصرنا المليء بالتيارات والافكار وايضا بالفقر ؟

ـ .. ربما .. فى عهد عمر بن عبد العزيز كانت الدولة الاسلامية تلتزم بتوفير مسكن ودابة وخادم ومورد للمعيشة لكل مواطن ، وتتكفل بذلك للمسلمين ولغير المسلمين . وربما تطلب العصر الحديث بعض الاجتهاد فى التنظيم والاسلام لا يابى قط اى اجراء جديد ينأى عن الظلم ، فمن حق الحاكم المسلم ان يفرض ما يشاء من الضرائب لتغطية حاجات المجتمع ، شريطة الا يفتئت بهذه الضرائب على حقوق ثابتة . فالتاميم الشامل غير اسلامي . والضرورة الاجتماعية مقدمة فى إطار مراعاة قواعد العدل الاسلامي العام .

● واين تقع الفكرة القومية من هذه المطالبة بدولة اسلامية ؟

ـ العرب لم يعرفوا إلا بالاسلام ، واللغة العربية لم يصنها سوى القران ، فاذا كان هناك عروبة فمن اجل ان هناك إسلاما ، فلا يمكن ان يقع تناقض جنسى او عنصرى بين المواطنين فى دولة اسلامية ، لكن احتمال هذا التناقض وارد إذا وضعنا فى اعتبارنا ان هناك اقليات فى الوطن الاسلامي ، ومشكلة الاقليات تاتي من صميم واجبات الدولة الاسلامية ، فالاسلام لا يغفر قط اى ظلم يقع على الاقليات الاسلامية . والرسول وضع قواعد راسخة للايصاء باهل الذمة ، وسموا اهل الذمة بما لهم من حقوق فى ذمة المجتمع المسلم والدولة المسلمة ، والرسول يقول من اذى ذميا او معاهدا فقد خان الله ورسوله ، وسيدنا عمر عندما راى يهوديا يسال الناس اخذ بيده وساله عن شانه واخذه الى بيت المال وجعل له مرتبا وهو يقول : ما انصفناك

الفخ الذي وقع فيه علي عبد الرازق وخالد محمد خالد



● كان الاجتهاد قائماً يوم لم نكن في حاجة إليه . ولكن كل مؤسساتنا تعجز الآن عنه بالرغم من شدة حاجتنا إليه

محمد عبده



محمد اقبال



فولتير



يا ذمي ، اخذنا منك الجزية صغيرا وضيعناك كبيرا ، وأرسل الى ولاته على الأقاليم الا يظلموا ذميا او يكلوه إلى عالته ، والجزية كالزكاة ضريبة لا وسيلة قهر او إعنات ، بل عدل كامل .

● وكيف تنظر الى مسالة المرأة فى الدولة الاسلامية ؟

ـ انظر اليها نظرة الفاهم لدينه ، فليس ثمة دين ولا نظام بما فى ذلك حضارتنا الراهنة احترم المرأة وكفل حقوقها كما فعل الاسلام فالاسلام اعطاها حقوقها كانسان ، تعبد الله كما تشاء ، تتاجر كما تشاء ، تملك كما تشاء ، كل هذه الحقوق التى لم تعرفها اوربا إلى الامس القريب وبعض دولها إلى الآن لم تعترف بهذا.. وهذه الحقوق اعطاها الاسلام للمرأة كما اعطاها للرجل تماما ، اما ما يكون موضعا للخلاف فهو حق العمل ، وقد كفله الاسلام للمرأة فى قول الله تعالى « لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض » . كانت المرأة تتاجر وتمارس التجارة والفتيا ـ وهو نوع من القضاء ـ فليس هناك نص يمنع المرأة من مزاولة الاعمال اللائقة بها . والآية الكريمة « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » لا تحرم عمل المرأة ولا تقيد ذلك بدليل إنهن كن يخرجن . إلى الجهاد والى الصلاة وإلى اعمالهن ، فالآية دعوة للفضيلة .

● والحقوق السياسية للمرأة ؟

ـ انا رايي ان المرأة من حقها ان تنتخب وان تنتخب وهذا راي فقهاء كثيرين وعلى راسهم الامام الاعظم ابو حنيفة ، إذ يرون أن للمرأة ان تكون وكيلة فى الخصومة ، اى وكيلة نيابة ، كذلك من حقها ان تكون قاضية ، واشترط « ابو حنيفة » ان يكون قضاء المرأة فى غير الحدود ، وقال ابو حماد شيخ « ابي حنيفة » بل من حقها ان تكون قاضية فى الحدود ايضا . فاذا وصل الاسلام بالمرأة ان تكون قاضية فبأى حق واستنادا لاى نص تحرم حقها فى ان تنتخب و تنتخب ، وتكون نائبة عن الأمة .. كل ما هنالك الا تبتذل المرأة فى زيها وفى سلوكها .

● اين يقع رايك الأول بان الاسلام دين لا دولة من كتاب الشيخ على عبد الرازق الاسلام واصول الحكم ؟

ـ انا لم أقرا الكتاب ولكنى سمعت عنه ، وهذا خطا ولا شك ، ولكننى عندما كتبت فصل « قومية الحكم » كنت بعيدا تماما عن مسالة الخلافة ، إذ كنت اناقش قضية الحكومة الدينية . ولا اظن ان الشيخ علي عبد الرازق كان ضد الحكومة الدينية ولكنه كان يناقش فى مسالة الخلافة من وجهة نظر تضع فى اعتبارها الشخصية المرشحة لشغل هذا المنصب انذاك وهي الملك فؤاد .

ونحن ارتكبنا وزرا كبيرا وركبتنا المؤامرة الغربية . ولاسيما مؤامرة انجلترا ضد الخلافة الاسلامية . واستطاعوا ان يسلبونا عقولنا وان يحرضونا عليها ، وان نكون احد المعاول التى هدمت بنيانها . خسارة كبرى لم نصب بمثلها ..

● سؤال اخير .. ماذا تستطيع الدولة الاسلامية ان تقدم للمواطن المسلم وللجماعة الاسلامية وللعالم الذى نعيش فيه ؟

● قال خالد محمد خالد :

ـ الدولة المسلمة تستطيع أن تقدم لنا اليوم ما قدمته فى تاريخها الاول ، فهي تقدم للفرد المسلم العون الكافي لكي ياخذ طريقه الى الله فى ظل القيم الاسلامية والفضائل التى زكاها القران ودعا إليها وامر بها ، وهى تضمن لهذا الفرد قدرا معينا من الكفاية التى تمنحه معيشة رخية وسهلة ، وهى تضمن له اقرار النظم السياسية والادارية التى تحفظ له كرامته ، وتحفظ فيه انسانية الانسان وتلبي كل احتياجاته العقلية والروحية والمادية .

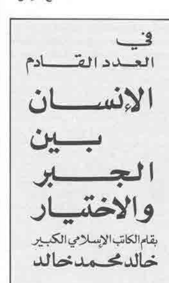
وما توفره للفرد كفرد سيتوفر تلقائيا للمجتمع كمجموعة أفراد ، اما ما توفره للعالم فانها ستقدم له الاسلام تقديما يسوى الكثير من المشاكل والمظالم التى تثيرها الحضارة المعاصرة ، فعالم اليوم غابة ، يفترس القوى فيها الضعيف ، وهو عالم لا يفكر إلا تفكيرا شهوانيا انانيا ، والمجتمعات المعاصرة تزكي جميعها الصراع على المال والنفوذ ، والحضارة الغربية القائمة الآن هى الابنة الشرعية لحضارة الاسلام ، فقد اخذت معظم عناصرها واعتمدت فى نجاحها على حضارة الاسلام فى الاندلس وقرطبة ودمشق .

الحضارة الاسلامية كائن تاريخي لا تستطيع أن تغمض عينيك عنه . سيقدم الاسلام للحضارة المادية حضارة الروح . مجتمع اليوم خال من كل ما هو روحاني ، وهذا احتياج انساني ، والاسلام هو الذى جمع فى التجربة التاريخية بين حضارة الروح وحضارة المادة ، وهذا امر يحتاجه عالمنا بشدة ...

. . . .

هل انتهت الضجة التى بدأت قبل ثلاثين عاما .. ام تجددت ؟ لا ادرى !

«صلاح عيسى»



دولــــة قطـــــر
وزارة الكـهربــاء والمــــاء
إدارة الكـهربــاء
الدوحـــة

STATE OF QATAR
MINISTRY OF ELECTRICITY AND WATER
ELECTRICITY DEPARTMENT
DOHA

منشـــور عـــام رقـــم "٤٤"

صـــادر بتاريـخ ١٤٠١/٧/٩هـ "١٩٨١/٥/١٣م"

تمشيـا مـع قـرار سعـادة وزير الكهربـاء والمـاء رقـم ٢ لسنـة ١٤٠٠هـ بتاريـخ ١٣ / ٦ / ١٤٠٠ هـ والمتضمن في مادتـه الأولى انشـاء لجنـة فنيـة تسمى لجنـة تصنيف رخص المقاولين الكهربائيين والكهربائيين الأفـراد .

فان ادارة الكهربـاء ممثلـة في هـذه اللجنـة تنبـه عـلى جميـع مقاولـي أعمـال التبريـد وتكييـف الهـواء بالتقدم لاستيفـاء واستكمال البيانـات والمعلومـات المطلوبـة منهـم والكشوف مـن قسم التبريـد وتكييـف الهـواء بالادارة خـلال ساعات الدوام الرسمي والتوقـيع عليهـا بالاستـلام .

وهـذه البيانـات والمعلومـات المطلـوب تقديمهـا يجب أن تكـون مصـدقة ومعتمدة من الجهـات الرسمية المختصة ، وسوف لن يعتـد بالبيانـات والمعلومات المقدمة للجنـة مالم تكـن مصدقة ومعتمدة ويتم تقديم هـذه البيانات والمعلومـات في خـلال مدة اقصاها « شهرين » من تاريـخ نشر هـذا الاعلان لمقاولي التبريـد وتكييف الهـواء الموجودين حاليـاً وسوف لـن ينظر فى الطلبـات التى تـرد بعد انقضـاء هذه المـدة . أمـا بالنسبـة للمقـاولين الذين ينـوون التقـدم للتسجيـل لأول مـرة فان البـاب مفتـوح لهم للتقـدم بذلك .

ادارة الكهربـــاء



فيلم ابواب الجنة وهو الفيلم الذى تسبب فى افلاس الشركة المنتجة

رسالة مهرجان كان السينمائي

من : رؤوف توفيق

مذبحة فيلم ونهاية أسطورة

بالتأكد .. لم يكن مهرجان « كان » السينمائى فى عامه الرابع والثلاثين .. فى أحسن أحواله بالنسبة لنوعية الافلام التى قدمها على مدى أسبوعين من ١٣ ــ ٢٧ مايو ..

الافلام كثيرة نعم .. متنوعة ، نعم من مختلف انحاء العالم ، نعم .. لكن هناك شىء مفقود ، وغائب .. هذا الاحساس بالامتلاء والشبع ، والمتعة ، والتلذذ بسحر فن السينما ، وما يضيفه كل يوم هؤلاء الفنانون المفكرون العباقرة ..

مضت الأيام .. وكل يوم تولد معه هذه الرغبة فى أن ينكسر هذا الاحساس بخيبة الأمل .. وينتهى اليوم على أمل أن يأتى الغد بالشىء المفقود .. وهكذا استمر الحال .. يوم بعد آخر .. وعندما جاء موعد الرحيل .. فتشنا فى أوراقنا ، وما تبقى فى الوجدان .. فلم نجد سوى القليل من الفن ، ومتعة العقل .. والكثير جداً من العبث والألاعيب التكنيكية التى تغطى هزال الفكر ، والتردى فى الموضوعات التقليدية أو الشاذة !

ما الذى جرى ؟!

لاشك أن مهرجان «كان» السينمائى ، من أرسخ المهرجانات السينمائية ، وأكثرها عراقة وقوة وشهرة .. ولكن مهرجان «كان» ــ وأى مهرجان سينمائى آخر ــ لا يصنع الأفلام .. ولكن يختار ما هو أفضل من انتاج السينما العالمية !

بل هناك اضافة التزم بها مهرجان «كان» .. أن يرسل مندوبيه الى مختلف دول العالم ، يفتشون ويشاهدون كل جديد فى السينما ، ويدقون أبواب المخرجين الكبار ليتفقوا معهم على تقديم أفلامهم فى هذا المهرجان .. سواء داخل المسابقة الرسمية أو خارجها ..

ولكن .. كما يقول المثل الشعبى .. ان ما فى الاناء تخرجه المغرفة !



الحشود الكبيرة التى قدمها فيلم ابواب الجنة

وما فى إناء السينما العالمية ، هذا العام .. الكثير من الارتباك والقلق والغموض .. وربما كان هذا انعكاساً حقيقياً لما يشهده العالم من اضطراب وتغييرات وضغوط اقتصادية عديدة . وربما كان هذا ايضاً نتيجة الهجوم العنيف للتليفزيون وشرائط الفيديو ، الأمر الذى جعل صناع السينما فى حيرة من المستقبل ، وارتباك فى تقدير نوعية الافلام ، وميزانياتها ، وحجم التوقع من ايراداتها !

والأمثلة من خلال ما عرض فى مهرجان «كان» هذا العام .. كثيرة ومتنوعة .

ولكن اكثر الأمثلة .. قسوة .. ودلالة .. هذا الفيلم القادم من امريكا ، والذى اشتركت به رسمياً فى مسابقة المهرجان .

أبواب الجنة وافلاس الشركة

سبب قسوة التجربة .. أن نتيجتها افلاس الشركة المنتجة ـ وهى من أكبر الشركات السينمائية الأمريكية ـ مما اضطرها الى عرض أسهمها للبيع بسعر بخس .. وقد اشتراها مليونير أمريكى لا علاقة له بفن السينما .. وإنما أراد أن يستثمر أمواله ، وان يضيف الى ممتلكاته شركة سينمائية لها اسم وتاريخ كما فعل من قبل عندما اشترى أسهم شركة «مترو جولدن ماير» .. وهكذا انضمت شركة «يونيتد ارتست» الى شركة «مترو» فى قبضة هذا المليونير الأمريكى .

وسبب هذه الكارثة التى لحقت بشركة «يونيتد» .. فيلم «أبواب الجنة» للمخرج الأمريكى الشاب «مايكل شيمنو» الذى لم يتجاوز عمره السابعة والثلاثين عاماً .. والذى لعب بطولته عدد من النجوم منهم الممثلة الفرنسية «ايزابيل هوبير» .. والممثلون الأمريكيون «كريس كريستوفر فرسون» ـ «كريستوفر والكن» ـ «نات شامبيون» ـ «جوزيف كوتون» وغيرهم .

الميزانية تقفز الى الضعف

كانت الميزانية المحددة لانتاج هذا الفيلم ، لا تتجاوز ١٥ مليون دولار .. واذا بها تقفز أثناء العمل التنفيذى للفيلم الى ٣٥ مليون دولار !! .. أى اكثر من ضعف المبلغ المحدد ! .. ولم تستطع الشركة المنتجة ايقاف تنفيذ الفيلم ، خوفاً من ضياع المبالغ المنصرفة ، وعلى امل أن يحقق الفيلم نجاحاً تجارياً يعوض ما انفق عليه .. خصوصاً وان مخرجه «مايكل شيمنو» قد سجل بفيلمه السابق «صائد الغزلان» عدة جوائز أوسكار ، منها جائزة احسن مخرج .. ثم ما أحيط بذلك الفيلم من ضجة بسبب مناقشته لحرب فيتنام من وجهة نظر تدين الفيتنامبين فى معاملتهم القاسية للأسرى الأمريكيين .. وقد كاد ذلك الفيلم «صائد الغزلان» ان يتسبب فى انهيار مهرجان برلين السينمائى عام ٧٩ .. عندما تقدمت أمريكا للاشتراك به .. فتجمعت كل دول الكتلة الاشتراكية وأعلنت انسحابها من المهرجان .. وكان رد الفعل مفاجئاً مما وضع مهرجان برلين فى مأزق حرج ، لم تستطع الخروج منه .. وعرض فيلم «صائد الغزلان» وسط ضجة عنيفة !

وقد استفادت الشركة المنتجة من هذه الضجة .. واستفاد المخرج .. وهكذا دخل التجربة التالية ، فيلم «أبواب الجنة» ، باحساس المنتصر الذى يملى شروطه كما يريد .. واستسلمت الشركة المنتجة لكل طلباته .. حتى وقعت الكارثة .

سقط الفيلم سقوطاً بشعاً فى عرضه الاول بامريكا .. وهاجمه النقاد بشدة .. واضطرت الشركة المنتجة الى سحب الفيلم من السوق على أمل أن يعيد المخرج النظر فى الفيلم ، وتكثيف

مذبحة فيلم ونهاية أسطورة

احداثه ، وضغط مدته (فقد وصل طول الفيلم فى نسخته الأولى التى عرضت بامريكا الى ما يزيد عن ثلاث ساعات) .

وبدأ المخرج «مايكل شيمنو» فى إعادة مونتاج الفيلم .. واستمر العمل من جديد لمدة ستة اشهر .. ولم تنقطع حملة النقد القاسية التى وجهت الى الفيلم .. وبدأت الشركة المنتجة تشعر بالانهيار المؤكد .. فاعلنت عن تصفية أعمالها وبيع أسهمها ..

وظهرت النسخة المعدلة من الفيلم ، بعد أن تم حذف حوالى الساعة من مدته .. واختير أن يكون مكان العرض الجديد فى ولايات جنوب أمريكا .. وكانت النتيجة .. نفس الفشل .. ونفس الهجوم القاسى من النقاد .. حتى أن مجلة تايم الأمريكية علقت بأن المخرج فى إعادة مونتاج الفيلم ، حذف كل المشاهد الجيدة والمثيرة !!

وكتب اشهر ناقد كندى معلقاً على الفيلم .. بأنه حاول أن يكون حنوناً .. ولكن ما رآه على الشاشة .. كان مجرد «دخان بنادق» ولا شيء اكثر من هذا .. وتساءل فى مرارة : هل يستحق هذا الدخان أن يصرف عليه كل هذه الملايين ؟!

وفى آخر محاولة لانقاذ الفيلم .. تقرر اشتراكه فى مهرجان «كان» السينمائى كتاشيرة دخول الى منطقة أوربا .. وعلى أمل أن ينال حظاً افضل من النقاد والجمهور الأوربى ..

وقد شاهدت الفيلم فى عرضه الوحيد الذى تم داخل إطار المسابقة الرسمية للمهرجان .. وسط مظاهر الاهتمام والترقب من الجميع لرؤية هذا الفيلم «المشكلة» !! .. ومع كل دقيقة من تتابع مشاهد الفيلم الذى يصل طوله الى ساعتين و ٣٥ دقيقة .. كنت أحاول أن اعثر على مبرر واحد يدعو لانفاق هذه الملايين فى هذا الفيلم ؟!

مشاهد جميلة بلا فائدة

إن أى فيلم .. أو اية وسيلة فنية .. لابد وان تخدم فكرة واضحة يراد ايصالها للجمهور .. ومعنى كلمة «تخدم» انها توظف كل الامكانات الفنية لتاكيد الفكرة دون بهرجة أو تخمة .. وايضا دون ضعف أو عجز ..

ولكن ما حدث فى فيلم «أبواب الجنة» .. اننا نفاجأ بمشاهد طويلة قدمت بأبرع وأمهر الفنيين .. وانفق عليها عدة ملايين من الدولارات .. دون أن تضيف هذه المشاهد أية اضافة حقيقية لمضمون الفيلم .. إنه نوع من السفه ، الذى قد يجد له البعض تعبيراً مهذباً «كاستعراض المهارات الفنية» .. أو «ابهار المتفرجين» ! .. مع أن المفروض أن تستغل كل هذه المهارات ووسائل الابهار داخل نطاق الموضوع .

مثلا .. يفتتح الفيلم باحتفالات التخرج من جامعة «هارفارد» الاف الكومبارس والنجوم .. رقص وموسيقى وغناء .. مشاهد باذخة التكاليف لاعادة إحياء زمن هذه الاحتفالات عام ١٨٧٠ .. بكل ما يستدعى العودة الى نهاية القرن التاسع عشر من ملابس وديكورات واكسسوارات .. مشاهد استغرق عرضها على الشاشة حوالى العشر دقائق .. وتكلفت ما يقرب من ثلاثة ملايين .. وفى النهاية لا تقول شيئاً أكثر من معلومة صغيرة مؤداها أن اثنين من هؤلاء الخريجين تقابلا من جديد وبعد أن وصل عمرها الى مشارف الأربعين .. ليواجها الموقف الرئيسى الذى قام من اجله الفيلم ! .

كيف يمكن تبرير هذه الافتتاحية المنفصلة عن الفيلم .. صحيح كانت مشاهد رائعة ، مليئة بالحيوية والجمال .. (تصوير المصور السينمائى العالمى فيلموس زيجموند) .. ولكن مع تتابع الأحداث الرئيسية للفيلم .. نشعر أن ما قد رأيناه فى البداية شيء منفصل .. قد يبقى فى الذاكرة كلوحة جميلة ولكن خارج الموضوع ! .

موضوع الفيلم

وموضوع الفيلم يتناول الحرب التى قامت فى مقاطعة جونسون عام ١٨٩٠ .. حينما قام احد كبار الملاك بحملة لابادة المهاجرين والمتسللين الى هذه المقاطعة والذين جاءوا بحثاً عن وسيلة للحياة .. وخطة الابادة تبدأ باختيار ١٢٥ مهاجراً وإعدامهم بتهمة السرقة والانحراف وإثارة الشغب .. ويقف خريج جامعة «هارفاد» مع المهاجرين فى معركتهم ضد



المشاهد التى انفقوا عليها عدة ملايين



المواقف العاطفية فى الفيلم

ايزابيل هوبير



الممثل أفريل



نات شمدبون



جورج إجلستون

اتحاد كبار الملاك والذى يتزعمه الخريج الآخر من جامعة هارفارد ..

اى أن الاثنين تخرجا من نفس الجامعة .. ودرسا نفس المواد .. ولهما بالطبع نفس الجذور الطبقية والتى سمحت لهما ـ على الأقل ـ بالالتحاق بهذه الجامعة .. فيقفان فى النهاية ضد بعضهما .. احدهما يمثل مصالح الأغنياء .. والآخر يمثل مصالح الفقراء

وحتى هذه النقطة الأساسية التى قام عليها بناء الفيلم .. لم يحاول السيناريو ان يوضح لنا .. لماذا انحاز احدهما ضد طبقته .. ولماذا حارب مع الفقراء .. وماهى العوامل والمؤثرات التى شكلت تفكيره .. وحسمت موقفه ؟!

كل ما أوضحه الفيلم .. وأكد عليه فى مشاهد عديدة .. هو العلاقة بين هذا «المناضل» مع الفقراء ، و « غانية » من بينهم ، أحبها وارتبط بها .. وينتهى الفيلم بعد معارك طويلة وجثث كثيرة .. وهذا «المناضل» يحمل عشيقته «الغانية» وقد تحول جسدها الى جثة ملطخة بالدماء وممزقة بالرصاص ، يحملها ويبكي بكاء مرأ .. بينما كل ما حوله يفوح بالخراب والدمار !! .

ما الذى توحي به هذه النهاية ؟ .

من الصعب ، وغير المنطقي ، تحميل العلاقات اكثر مما تحتمل .. فكل الأفكار ضبابية !

وحتى هؤلاء المهاجرين الى هذه الارض .. والذي قيل في بعض جمل الحوار إنهم قادمون من أوربا الشرقية .. حتى هذا الوضع لا يمنح الفيلم شرف اعتباره فيلما ضد العنصرية ..وضد الأقليات ..

المهاجرون على أسطح القطارات فى فيلم «أبواب الجنة»



مذبحة فيلم ونهاية أسطورة

وهذه المرأة الغانية التي تدير بيتها للدعارة .. لا يمكن تحميلها شرف انها رمز المهاجرين ومعاناتهم .! .. فهي كما ظهرت فى الفيلم ليست إلا جسداً جميلا .. ولاشيء غير هذا !

وهكذا يجد المشاهد نفسه في دوامة من التساؤلات .. ما هي الرسالة التى يريد الفيلم إبلاغها لنا .؟

وعندما يصل المشاهد الى هذه النتيجة من الحيرة .. والتخبط .. فمعنى هذا أن الرسالة غير واضحة .. وأن البناء الذي قام عليه الفيلم لم يكن سليما .!

وقد قام بكتابة سيناريو الفيلم ، نفس المخرج «مايكل شيمنو» الذي أوضح لنا في المؤتمر الصحفي الذي عقد بعد انتهاء الفيلم مباشرة في مهرجان «كان» ..انه أخذ مادة الفيلم من واقعة حقيقية حدثت في التاريخ الأمريكي .. وانه التزم بكل ما ارتبط بهذه الفترة من أشخاص وملابس وديكورات وأدوات قتال .. من خلال أرشيف الصور الفوتغرافية في متحف تلك الولاية الامريكية التي وقعت فيها هذه المعركة بين المهاجرين والملاك!

مؤتمر صحفى أم جلسة تأبين ؟!

وقد كانت وقائع هذا المؤتمر الصحفي للمخرج وبعض ممثلي الفيلم واحد مسئولى شركة الانتاج التي مولت الفيلم ..أشبه ما تكون بجلسات التابين

حالة وفاة .. وبعض التبريرات .. وتقرير بالغ القسوة وبلهجة ادانة ، لا تخفيها عبارات المجلجلة ، قدمه مسئول شركة الانتاج .. وهو يقول «لقد وضعنا كل الامكانات أمام المخرج .. ولم نبخل بشيء .. واعتقد انه يعترف امامكم بهذا .. وكان كل املنا أن ينجح الفيلم في امريكا .. حتى ترتفع قيمة أسهم الشركة قبل بيعها»

وتكلم المخرج بكلمات متقطعة ..محملة بالحزن والمرارة .. وبصوت



التزحلق على الجليد على إيقاع الموسيقى



المخرج مايكل شيمنو

خافت . كأنه يخرج من جسد ارهقه قسوة ردود الفعل .. قال مجيبا على سؤال «انه استمر يعمل في اعادة مونتاج الفيلم لمدة ستة اشهر .. ولم يستطع خلالها أن يقرأ كل ما كتب عن الفيلم .. فقد كان من المستحيل ان يعيد صياغة الفيلم وان يقرأ ما كتب عنه في نفس الوقت » !

هزة فى صناعة السينما الأمريكية

إنها تجربة قاسية بالفعل..

اشبه ما تكون بالمذبحة .. ولا اخفي مشاعري .. فقد اشفقت على هذا المخرج الشاب ، وانا اراه امامي يتمزق في مواجهة مئات من الصحفيين والنقاد من جميع انحاء العالم ..وكانه يتسول كلمة طيبة يحاول بها انقاذ الفيلم أثناء عرضه في دول أوربا .

ولكن ما يهمنا في هذه التجربة ــ بغض النظر عن العواطف ــ هو الاجابة على سؤال : هل تستطيع ملايين الدولارات وحدها أن تصنع فيلما جيداً ؟

إن هذا السؤال مطروح الآن فى شركات الانتاج السينمائي بامريكا .. فقد ايقظ تفكيرهم ، حادث سقوط هذا الفيلم ، وجعلهم يعيدون خططهم ومشروعاتهم ..

وتوالت الانباء عن التفكير الجديد الذي بدأ يسود شركات الانتاج .. بالغاء مشاريع الافلام ذات الميزانيات الضخمة .. وتفتيت الاموال في عدة افلام .. حتى يمكن تجنب او احتمال الخسائر !

ومن المصادفات الغريبة .. ان يعرض مهرجان «كان» في احد الايام التالية بعد عرض فيلم «أبواب الجنة» .. برنامجا خاصا للاحتفال بالمخرج الفرنسى «لوي بونويل» وفي هذا البرنامج ، تم عرض فيلم يتضمن آخر لقاء أجراه «لوي بونويل» أثناء اقامته في المكسيك .. كان اللقاء حول بدايته الفنية واسلوبه السينمائي .. وافكاره .. ومن ضمن ما قاله ..انه عندما التقى بصديقه المخرج الامريكي الراحل «نيكولاس راي» ساله بونويل عن الميزانيات الضخمة في الأفلام الامريكية .. ولماذا لا يقدمون افلاما بميزانيات قليلة .. وضرب مثلا بعدد من الافلام انتجت بميزانية لا تتجاوز ٢٠٠ الف دولار .. أجاب «نيكولاس» : إنه كلما زادت ميزانية الفيلم ، كلما زادت قيمة المخرج .. ولهذا ظهرت الافلام التي تتكلف الملايين .. وعلق المخرج الفرنسى الشهير « بونويل» على هذا الوضع بقوله : «انها كارثة حقيقية» !

فعلا .. إنها كارثة .. فالفن الحقيقي لا تصنعه كمية النقود .

وشكرا لفيلم «ابواب الجنة» فقد انهى أسطورة الافلام ذات الميزانيات الضخمة .. وانهى بالتالي السباق المجنون الذي افسد صناعة السينما !

رءوف توفيق

الناس والحياة

● محنة الانسان وعظمته انه خلق ناقصاً .

ليس الانسان إلا «مشروعاً» .. مجرد صورة تدور حول ذاتها وتبحث دوماً عن معناها .. صورة مفتوحة على الغيب من جميع نواحيها .

اما الحيوان فكائن سوى تام قد بلغ بدءاً غايته ومنتهاه .

● الاخلاق نتاج المجتمع . اجل ! ولكن لامعنى لها اذا هى لم تتجاوزه تسامياً به او تحدياً له .

● قد ينسى الانسان احب الناس إليه ولكنه لن يسلو ابداً موطنه إذا اغترب عنه ، لان الوطن هو المبدأ والغاية .. هو القبلة والمنطلق .

هو الذات الكبرى منها يستمد لب كيانه وجوهر حقيقته .

● إذا انفصل الحق عن الجمال اصبحت الحياة قشراً لايغنى من جوع .. مسرحاً بهرجاً تغدو عليه الاشباح وتروح بئس البديل الأدب الذى يذهلنا ويسلينا بالهذر البيزنطى ،والغزل ، والمجون ، عن حياة يزدرى فيها الانسان فيطعن فى الصميم من حرمته وحريته ، ويضطر الى احد اثنين .. إما الفناء أو العيش فى البؤس والهوان .

● فى الانسان الواحد الفرد من طاقة الرغبة والشوق والأمل ما يستطيع به أن يعمر الأرض كلها ويغزو الكون كله لولا خذلان المكان والزمان له .

● كيف تطمئن منك النفس ويرتاح الضمير ، ولايزال بوجه ارضك سيماء الفقر والجوع ، والآف العيون من اخوانك هنا وهناك تنعى عليك اليسر والرفاة .!؟

إن لم تحمل في قلبك الوطن كله ، على ثقله وأساه ، فعبثاً تتغنى بالمحبة ، وتدعى الوفاء والاخلاص .

● انظر الى الحياة فى شغف ولا مبالاة .. فى سخرية وحنين .. فاذا هى طوع يدك ، تدر باطايبها عليك . وكذا بعض الزهد غنم .

● الوحدة ــ إن كانت عن سلامة ــ مقياس ثراء الشخصية .

فالكيس اللبيب لاينى يستمد من ذاته قوتاً لذاته ومسرة .

«البشير المجذوب»

الارادة والقدرة



● لا يتحدد مكان الانسان فى الحياة بما يعرفه هذا الانسان .بل بما يريده ، وبما يقدر عليه .

«جوستاف لوبون»

اخطاؤنا نحن

● فى لحظات معينة يكون الناس هم الذين يقررون مصائرهم . لذا إذا كانت اوضاعنا متدنية ، فليس الخطا خطا النجوم والابراج .. إنه خطانا نحن .

«شكسبير»

الكاتب .. والقلم



● انا لم افقد شجاعتى . إن الحياة فى كل مكان .. فى داخلنا .. وليست فى العالم الخارجى . فالشمس ترى دائماً .

هل من الممكن الا امسك بالقلم بعد الآن ابداً ؟ نعم .. إن لم اكتب ساهلك . إننى افضل خمسة عشر عاماً من السجن ، شريطة ان يكون القلم فى يدى .

«دوستويفسكى»

ان تكون أنت

● ان تكون نفسك الحقة فى فعلك .. مثلما تكون الأم فى طفلها : هذا هو مبدأ فضيلتك .

«نيتشة»

الحرب دائماً

● نهار وليل . شتاء وصيف ، حرب وسلام . شبع وجوع . وتعم الحرب ، وينشب الصراع بين جميع الأشياء . وينشا كل ما فى الوجود بمقتضى الصراع والتنازع . فالحرب هى أم الأشياء وملكتها جميعاً . تجعل البعض اساطير وأبطالا . وتجعل البعض الآخر بشراً . وتحيل البعض عبيداً . كما تجعل غيرهم احراراً .

«هيراقليطس»

عن المسرح

● المسرح مدرسة دموع وضحك ومنبر حر يستطيع الناس فيه أن يفضحوا الأخلاق البالية أو ذات الوجهين ، وأن يقدموا بالأمثلة الحية نماذج خالدة للقلب الانسانى والشعور الانسانى .

● المسرح واحدة من اقوى الأدوات وأكثرها نفعاً فى تربية الأمة . وهو البارومتر الذى يدل على عظمتها أو انحطاطها . إن مسرحاً حساساً موجهاً توجيهاً حسناً فى اقسامه كلها من التراجيديا الى الفودفيل ، يستطيع ان يغير وعى الشعب فى بضع سنوات . مثلما يستطيع مسرح مزعزع تحل الحوافر فيه محل الأجنحة ان يحط ويخدر امة باسرها .

● أيها الأصدقاء : إننى اسمع كل يوم نقاشاً عن أزمة المسرح . وإننى لأفكر دائماً بان المشكلة إنما هى مرض مستعص . فمادام الممثلون والمؤلفون فى ايدى مؤسسات تجارية بحتة ، لا حدود لها ولا قيود . ولا تخضع لأية رقابة ادبية وفنية . مؤسسات تجهل اى معيار وليس فيها ضمان من اى نوع . فان الممثلين والمؤلفين والمسرح كله سوف ينحدرون يوماً إثر يوم دون أى أمل فى الخلاص .

«جارسيا لوركا»
مدريد عام ١٩٣٥

د. حسن عيسى عبد الظاهر





خريطتان فى الأولى موقع نهر النيجر .. وفى الأخرى نرى البلاد التى يمر بها النهر



للأنهار أثرها البشرى والحضارى فى توجيه الشعوب وتوحيدها وحركاتها وحضارتها . أما فى النهر كله ، أو فى الجزء الأعظم من مجراه ، فاننا نجد ذلك واضحاً عند ثنية « النيجر » أو منحناه الكبير . إذ قامت على شواطئه الوسطى أمم ودول وممالك ومدن اسلامية ، أضاء منها نور الاسلام على ظلام القارة الافريقية .

هذه صفحة من قصة الحضارة فى غرب افريقيا ، ترتكز على نهر ومدينة ..

اما النهر فهو (نهر النيجر) ، وللأنهار كلها او جزؤها قصتها الحضارية ، واثرها القوى فى الانسان ، وتوحيد قوى الشعب وتوجيهها فى حركتها ، وحياتها ، قديماً وحديثاً يحكى قصة الماضى ويوضح حقيقة الواقع فى اكثر من دولة تشغل التاريخ الحديث وترسم خطوط المستقبل .

واما المدينة : فهى مدينة (تنبكتو) بين الصحراء والغابة على راس نهر النيجر عند ثنيته الكبرى : (ما دنستها عبادة الأوثان ، ولا سجد على اديمها قط لغير الرحمن ، مأوى العلماء العابدين ، ومالف الأولياء والزاهدين ، وملتقى الفلك والسيار) اقامها الاسلام منارة فكانت ملتقى حضارى وثقافى واقتصادى هناك ..

من الرحلات الاسلامية

وعبر ثلاثة قرون من الزمان (الثامن والتاسع والعاشر) هـ ـ (الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر) م عاش كل من النهر والمدينة تحت ظل نفوذ اسلامى مثلته سلسلة من الدول والممالك الاسلامية ابرزها (مملكة مالى الاسلامية ..

ومع صحبة رحالتين افريقيين مسلمين من رواد الرحالين العالميين مبكراً وهما :

● الرحالة : ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتى البربرى المعروف بابن بطوطة الذى طاف بمعظم ارجاء العالم الاسلامى ـ ومنها حوض منحنى النيجر ـ ودون رحلاته تلك التى استغرقت ما يقرب من عشرين عاماً فى كتابه المسمى (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ..

● والرحالة الثانى هو : الحسن بن محمد الوزان الذى ولد فى أسرة عربية فى مدينة (غرناطة) حوالى سنة

١٤٩٤ م ، ونشا وتربى فى (فاس) ، ثم وقع اسيراً فى أيدى القراصنة الأوربيين سنة ١٥١٨ م وقدم هدية للبابا (ليو العاشر) الذى لمح فيه المقدرة والكفاءة فضمه للمجلس البابوى ، ثم قام برحلات واسعة فى افريقية ، وعاش الحسن بقية عمره فى (تونس) احسن ما يكون اسلاماً ..

رحلة ابن بطوطة

ومن خلال رؤية هذين الرحالتين سوف نطل على بعض جوانب فى تلك الحقبة على ضفاف النيجر ومدينة (تنبكتو) ..

أما (ابن بطوطة) فقد بدا رحلة شاقة الى بلاد السودان الغربى وحتى منحنى نهر النيجر وما بعده ..

بدأها فى غرة المحرم سنة ٧٥٣ هـ - ١٣٥٢ م من (سجلماسة) أول عمالة السودان الغربى فى مرحلة أولى استغرقت خمسة وعشرين يوماً حتى (تغازى) ، ودون لنا من عجائب (تغازى) كيف أن بناء بيوتها ومسجدها من حجارة وسقفها من جلود الجمال ... وبالملح يتصارف كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعاً ، ويتبايعون به ، وقد اقام بها عشرة ايام فى جهد .... ثم وصل الى (تاسر هلا) وهى إحساء ماء تنزل القوافل عليها ويقيمون ثلاثة ايام ... ومن هناك يبعث (لتكشيف) - أى كشاف للطريق والقوافل.

وصل الى مدينة (إيوالاتن) فى غرة شهر ربيع الأول - اى بعد شهرين كاملين من خروجه من سجلماسة - واقام بها خمسين يوماً نادما على قدومه اليها ناعيا عليهم لسوء ادبهم ، واحتقارهم للأبيض كما يقول ؛ ويذكر أنها شديدة الحر ... وثياب أهلها حسان مصرية ، وشان هؤلاء القوم عجيب ، وأمرهم غريب ، ولا ينتسب أحدهم الى أبيه بل ينتسب الى خاله ..

ولما عزم على السفر الى (مالى) - وبينها وبين إيوالاتن مسيرة أربعة وعشرين يوماً - اكترى دليلاً وقطع المسافة عبر طريق كثيرة الأشجار وأشجارها ضخمة تستظل القافلة بظل الشجرة الواحدة منها ، وبعضها قد استأسن داخلها واستنقع فيه ماء المطر فكانها بئر ويشرب الناس من الماء الذى فيها ، ...

والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زاداً ، ولا إداماً ، ولا ديناراً ، ولا درهماً ، وإنما يحمل قطع الملح وحلى الزجاج ..

صورة من الواقع

وبعد أن سار ابن بطوطة عشرة أيام من (إيوالاتن) وصل الى قرية (زاغرى) وهى قرية كبيرة يسكنها تجار السودان الغربى ويسمون (ونجراته) ، ويسكن معهم جماعة من البيضان يذهبون مذهب (الاباضية) من الخوارج ويسمون (صغنغو) ؛ والسنيون المالكيون من البيض يسمون عندهم (تورى) ...... ثم سار من (زاغرى) .... (فوصلنا الى النهر الأعظم) وهو النيل وعليه بلدة (كارسخو) ... والنيل ينحدر منها الى (كابرة) ثم الى (زاغة) ، ولكابرة وزاغة سلطانان يؤديان الطاعة لملك (مالى) ؛ واهل (زاغة) قدماء فى الاسلام لهم ديانة وطلب للعلم ؛....

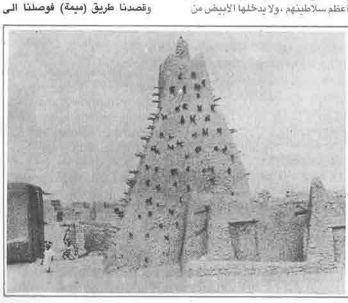
ثم ينحدر (النيل) من (زاغة) الى (تنبكتو) ، ثم الى (كوكو) ثم الى بلدة (مولى) من بلاد الليميين وهى اخر عمالة (مالى) ، ثم الى (يوفى) وهى من اكبر بلاد السودان - الغربى - وسلطانها من أعظم سلاطينهم ، ولا يدخلها الابيض من الناس لأنهم يقتلونه قبل الوصول اليها .

ثم ينحدر (النيل) الى بلاد النوبة .. ثم الى (دنقلة) وسلطانها يدعى بابن كنز الدين أسلم على أيام الملك الناصر .. ثم ينحدر الى جنادل وهى آخر عمالة السودان ، واول عمالة (أسوان) من صعيد مصر ، !!!! كذا ...

ورايت التمساح بهذا الموضع من النيل (اى عند كارسخو) بالقرب من الساحل كانه قارب صغير ، ولقد نزلت يوماً الى النيل لقضاء حاجة فاذا بأحد السودان قد جاء ووقف فيما بينى وبين النهر تعجبت من سوء ادبه ، وقلة حيائه وذكرت ذلك لبعض الناس ، فقال : إنما فعل ذلك خوفاً عليك من التمساح فحال بينك وبينه ؛ ... ثم سرنا من (كارسخو) . فوصلنا الى نهر (صنصرة) وهو على نحو عشرة أميال من (مالى) . وعادتهم أن يمنع الناس من دخولها إلا باذن ... فلما وصلت الى النهر المذكور جزت فى (المعدية) ، ولم يمنعنى احد ، فوصلت الى مدينة (مالى) حضرة ملك السودان - الغربى - ...

وكان دخولى اليها فى الرابع عشر لجمادى الأولى سنة ٧٥٣ هـ ، وخروجى عنها فى الثانى والعشرين من المحرم سنة ٧٥٤ هـ ...

وقصدنا طريق (ميمة) فوصلنا الى



صورة لجامع سانكورى فى تمبكتو فى القرن الخامس عشر .

نهـر النيجـر
شريان حضارة الإنسان بين الصحراء والغابة

خليج كبير يخرج من (النيل) لا يجاز إلا فى المراكب ، وذلك الموضع كثير البعوض فلا يمر احد به إلا بالليل : ووصلنا الخليج ثلث الليل ، والليل مقمر ؛ ولما وصلناه رايت على ضفته ست عشرة دابة ضخمة الخلقة فعجبت منها ، وظننتها فيلة لكثرتها هنالك ، ثم إنى رايتها دخلت فى النهر فقلت لرفيقى (أبى بكر بن يعقوب) ما هذه الدواب ؟ فقال : هى خيل البحر خرجت ترعى فى البر وهى اغلظ من الخيل ولها اعراف واذناب ورؤوسها كرؤوس الخيل وارجلها كارجل الفيلة ، ورايت هذه الخيل مرة اخرى لما ركبنا (النيل) من (تنبكتو) الى (كوكو) وهى تعوم فى الماء ، وترفع رأسها ، وتنفخ ، وخاف منها اهل المركب فقربوا من البر لئلا تغرقهم ، ولهم حيلة فى صيدها حسنة وذلك ان لهم رماحاً مثقوبة قد جعل فى ثقبها شرائط وثيقة فيضربون الفرس بها فان صادفت الضربة رجله او عنقه انفذته وجنبوه بالحبل حتى يصل الى الساحل فيقتلونه ، ويأكلون لحمه ، ومن عظامها بالساحل كثير ..

وكان نزولنا عند هذا الخليج بقرية كبيرة عليها حاكم من السودان حاج فاضل يسمى : (فربا مغا) وهو ممن حج مع السلطان (منسى موسى) ... ويحكى (فربا مغا) انه لما وصل السلطان الى هذا الخليج كان معه قاض من البيضان يعرف بالدكالى ـ وحدث منه ما دعا السلطان الى ان نفاه الى بلاد الكفار الذين ياكلون لحم بنى آدم فأقام عندهم أربع سنين ، ثم رده الى بلده ، وإنما لم ياكله الكفار لبياضته لأنهم يقولون إن اكل البيض مضر لأنه لم ينضج ، والأسود هو النضيج ..

ثم رحل ابن بطوطة من هذه القرية التى عند الخليج فوصل الى بلدة (قرى منسى) ... ثم سافر منها الى مدينة (تنبكتو) وبينها وبين النيـل اربعة أميال ...

(ومن تنبكتو) ركبت النيل فى مركب صغير منجوت من خشبة واحدة ، وكنا ننزل كل ليلة بالقرى فنشترى ما نحتاج اليه من الطعام والسمن بالملح.

ثم سرت الى مدينة (كوكو) وهى مدينة على النيل من أحسن مـدن السودان وأكبرها وأخصبها .. ثم سافرت منها برسم (تكدا) فى البر مع قافلة كبيرة ... ثم وصلنا الى بلاد (بردامة) وهى قبيلة من البربر ...

الزحام فى المساجد

ولم يفت ابن بطوطة ان يسجل كثيراً من ملاحظاته ومشاهداته عن المجتمع هناك عند ثنية النيجر ... فيقول عن الشعراء هناك :

(وإذا كان يوم عيد جاء الشعراء ـ حيث تقام الاحتفالات أمام السلطان ـ ويسمون الجلا واحدهم (جالى) وقد دخل كل واحد منهم فى جوف صورة مصنوعة من الريش تشبه الشقشاق ، وجعل لها رأس من الخشب لها منقار احمر كانه الشقشاق ويقفون بين يدى السلطان بتلك الهيئة المضحكة فينشدون اشعارهم ، وذكر لي أن شعرهم نوع من الوعظ يقولون فيه للسلطان إن هذا البنبى الذى عليه جلس فوقه من الملوك فلان وكان من أحسن افعاله كذا ، وفلان وكان من افعاله كذا ، فافعل انت من الخير ما يذكر بعدك ، ثم يصعد كبير الشعراء على درج البنبى ، ويضع رأسه فى حجر السلطان ثم يصعد الى اعلى البنبى فيضع رأسه على كتف السلطان الأيمن ثم على كتفه الأيسر وهو يتكلم بلسانهم ثم ينزل ،وأخبرت أن هذا الفعل لم يزل قديماً عندهم قبل الاسلام فاستمروا عليه) ....

ومن افعالهم الحسنة قلة الظلم فهم ابعد الناس عنه ، وسلطانهم (الحاج) لا يسامح احداً فى شىء منه ....

ومنها : شمول الأمن فى بلادهـم ـ الاسلامية ـ فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ، ولا غاصب ...

ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقنطرة وإنما يتركونه بيد ثقة من البيضان حتى يأخذه مستحقه ...

ومنها مواظبتهم على الصلوات والتزامهم لها فى الجماعات ... وضربهم أولادهم على تركها ..

وإذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الانسان الى المسجد لم يجد اين يصلى لكثرة الزحام ... ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة .. ولو لم يكن لأحدهم إلا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة ...

ومنها : عنايتهم بحفظ القرآن العظيم ويجعلون لأولادهم القيود فى أقدامهم إذا ظهر فى حقهم التقصير فى حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظوه ...

● اعتقد ابن بطوطة أنه نهر النيل ولكن "مانجو بارك" أثبت أنه نهر النيجر

الحصاد على شاطىء النهر فى نيجيريا



الموسيقى والألحان على طول النهر

النهر العظيم

وهكذا كان (ابن بطوطة) أول رحالة جاب الصحراء الافريقية الكبرى ووصف مشاهداته فيها ، وزار (مملكة مالى) على نهر النيجر والتى خلفت (مملكة غانة) والتى امتدت حدودها عليه حتى مدينة (جاؤ) .

اما النهر الذى تحدث عنه ابن بطوطة فهو (نهر النيجر) وقد حسبه انه (نهر النيل) وقد ظل كل الرحالة من بعده يعتقدون ذلك حتى اثبت (مانجو بارك) سنة ١٧٩٥ م أن لاصلة بين نهر النيجر ، ونهر النيل ...

وحديثه عن الخيل التى تكون فى (النيل) ـ يعنى النيجر ـ إنما يعنى بها (افراس النهر) .. وركوبه هذا النهر فى بعض انتقالاته يعطينا فكرة عن النقل النهرى آنذاك ، كما وصف المراكب التى كانت مستعملة آنذاك ..تلك صفحة الماضى اما حاضره فيشغل واقع اكثر من خمس دول افريقية منها سيراليون وغينيا ومالى والنيجر ونيجيريا . تصنع الآن حضارة الانسان فى غرب افريقية اما ما هى حقيقة هذا النهر وحقيقة معالمه على ضوء ما تم اكتشافه منه بعد ذاك فذاك يستدعى رحلة جادة نتابعه فيها من منابعه الى مصبه فى غرب افريقية من بين جبال متناثرة الى رمال وصحارى مترامية الى مستنقعات آسنة الى محيط كان يسمى يوما ما (بحر الظلمات) ..

يبدأ نهر النيجر رحلته من منابعه من هضبة (فوتا جالون) : وهذه المنطقة تمتد من جهات غينيا الداخلية فى الشمال عبر سيرالون وليبيريا الى قرب حدود ساحل العاج الساحلية . وهى منطقة مدارية جوها حار مشبع بالرطوبة ، ونباتاتها اكثر غزارة وضخامة ، وحيواناتها مدارية كذلك ...

ومن هذه الهضبة ينبع نهر السنغال رابع انهار افريقية الكبرى و (نهر النيجر) يتجه الى الشمال ثم الى الشرق ، ثم الى الجنوب محفوفاً بروافد فى اكثر من جهة طوال رحلة طويلة تبلغ (٢٦٠٠) ميل،

ونهر النيجر من أوضح معالم غربى افريقية ، وثالث انهار القارة بعد نهر النيل ، ونهر الكونغو ،

وقد عرف قديما وحديثاً ، وفى المراجع العربية والافريقية والافرنجية التاريخية منها والجغرافية باكثر من اسم ..

ففى المراجع العربية عرف باسم (النيل) كما ذكره ابن بطوطة وغيره ..

وعرف بنيل السود .

وله اسماء محلية أكثرها شيوعاً اسم (جوليبا) بلغة الماندنجو ، ومعناها (النهر العظيم) ..

ويسميه الطوارق (نجير نجيرو) اى نهر الأنهار ..

رحلة النهر

والجغرافيون وهم يقسمون مجرى النهر الواحد الى ثلاثة اقسام أعلى واوسط وأدنى يجعلون لكل منها خصائصه ...

ويمكن ملاحظة ذلك ومتابعته فى (نهر النيجر) من منابعه الى مصبه على الصورة التالية :

١ ـ نهر النيجر الأعلى : وينبع متدفقاً من مرتفعات (فوتا جالون) على حدود سيراليون وغينيا من منطقة تبعد حوالى (١٥٠) ميل عن المحيط الاطلسى . ويسير من الجنوب الغربى حتى الشمال الشرقى على مقربة من الموقع الحالى لمدينة (تنبكتو) على المنحنى الكبير (ثنية النيجر) ..

٢ ـ نهر النيجر الأوسط : ـ ويعرف محلياً باسم (كوارا) ..

وهو امتداد للنيجر الأعلى من عند أقصى امتداده شمالا عند تنبكتو حيث يأخذ فى انحناء كبير نحو الشرق تماما حتى (جاؤ) ، وهناك تحده الصحراء الكبرى من الشمال ، وأحيانا من الجانبين !!.

ثم عند (توسابيى) ينحنى نحو الجنوب الشرقى داخلا فى بلاد الهوسا ، وفيها وعند انتهاء المنطقة الصحراوية يتصل به أول رافد له وهو نهر صكتو ثم نهر زاكافرا ، ثم نهر كادونا ،

٣ ـ نهر النيجر الأدنى : ـ ويبدأ عندما ينحرف (النهر) الى الجنوب حيث يلتقى باهم رافد له وهو نهر (بينوى) القادم من الشرق من شمال (الكمرون) ،

هذا وكما ذكرنا أن للأنهار اثرها البشرى والحضارى القوى فى توجيه الشعوب وتوحيدها وحركاتها وحضاراتها اما فى النهر كله أو فى الجزء الأعظم من مجراه فاننا نجد ذلك واضحاً عند (ثنية النيجر) المنحنى الكبير إذ قامت على شواطئه الوسطى منذ أزمنة امم ودول وممالك ومدن اسلامية اضاء منها نور الاسلام على ظلام القارة

دكتور حسن عيسى عبد الظاهر

نصّ المحاضرة التي ألقاها الشاعر البحريني الكبير
الأستاذ إبراهيم العريّض في جامعة قطر الشهر الماضي

لماذا هذه الصعوبة في فهم الشعر الحديث؟

موضوع محاضرتى اليوم هو الشعر الحديث ، لماذا هذه الصعوبة فى فهمه ؟ وبمجرد أن نجعل العنوان للمحاضرة بهذه الصيغة تظهر أمامنا قضايا يثيرها العنوان ، ولذلك قبل أن أبدأ فى المحاضرة أعرض عليكم هذه الفرضيات التى سأتناولها وسأبنى عليها النتائج .

ما الفرق بين الشعر القديم والشعر الحديث ؟ لقد لاحظت أن الذين يولعون بالشعر القديم بمجرد أن يسمعوا اسم الشعر الحديث يقولون : لا .

الفرضية الثانية هى دلالة الشعر عندما ينشد انشاداً ، وعندما يقرأ قراءة ،وعندما يقرأ صمتاً . فهل هذه الأساليب فى إلقاء الشعر وفهمه خاصة بالعرب كامة أم هى عامة بالنسبة الى الأمم الأخرى ؟

وعندما يلتقى الشاعر بالجمهور .. هل لخلفية الشاعر أثر إزاء خلفية المستمع ؟ . الفرق بين لغة النثر ولغة الشعر .. إختلاف عبقرية كل لغة فى التعبير ؟

آداب ما قبل الحرب الثانية

الى الحرب العالمية الثانية كانت الأمم مستقلة كل منها بتراثها : فالعربى له تراثه ، والصينى له تراثه ، والياباني له تراثه ، وكل منهم مكتف بهذا التراث يتذوقه على أصوله ، ولأن عبقرية اللغات تختلف ، فقد اكتسب التراث فى كل لغة من عبقرية تلك اللغة ، ما يقتضيه من المحسنات التى تجعل التعبير أدبياً فنياً ، فالعربى لكون لغته غنية بالأوزان « اسم فاعل ، اسم مفعول ، الفعل الرباعى ، والثلاثى » ، فالشاعر إذا كتب قصيدة وادخل فيها من القافية اكثر من مائة بيت ، فانا لا أعتقد أن له فضلا فى هذا لأن اللغة هى التى تمده بهذه القوافى بينما فى اللغة الصينية ، لأنها تكتب بالصور ، واللغات الصينية شمالا أو جنوبا أو شرقا أو غربا تختلف عن بعضها ، فالذى يقرأ هذه الصور يقرؤها كما يتكلم فى لغته . فالصينيان الشمالى والجنوبي عندما يقرآن العبارة وإن كانت بتلك الصور ، كل يستعمل الكلمة الخاصة بلغته ولذلك لايجوز عند الصينى أن يعول على قافية لأن ما يصح أن يكون قافية عند متكلم ، لا يمكن أن يكون كذلك عند المتكلم الآخر . فى اللغة الانجليزية مثلا لو أراد الشاعر ان يتزود بالقافية فاستكثر منها من اثنين الى ثلاثة الى أربعة ، اصبح متكلفاً لأنه يأتى الى كلمة ويقحمها لتادية معنى معين ، ويجد أن هذا المعنى لا يتأتى بصورة فنية باستعمال تلك القافية . من هنا كل أبناء اللغات اتخذوا معنى للغاتهم من عبقريات وأدخلوا التحسينات فى اللغة .

الانفتاح على العالم

هذا ما كان عليه الحال الى الحرب العالمية الثانية . جاءت الحرب هذه فجمعت الناس فى مأساة واحدة ، وأصبح الذى فى الشرق الأوسط يشعر بالمأساة فى الغرب أو الشرق الأقصى ، ووجد الناس أن الشعر الذى يكتب باللغات المختلفة يترجم فى المجلات ، وبمجرد ان يترجم نأتى الى هذه الترجمة فنحس أثناء فهمنا من تراث تلك اللغة أشياء كثيرة كنا نجهلها ، وبغض النظر عما يعتبره التراث من حسنات اللغة بالرغم من كل ذلك فان المأساة التى تجلت فيما ينظمه الشعراء فى ظروفهم أصبحت عامة بالنسبة للبشرية ، وإذا كان الشاب – إن كان الفيتنامى ، أو الصينى ، أو الانجليزى ، أو الفرنسى ، قد استطاع ان يوصل صوته إلينا ، فما الذى يمنع من أن يوصل أيضاً صوتنا اليهم ؟ والوسيلة الوحيدة الآن لايصال هذا الصوت .. لايصال ما يعانيه الشاعر فى أية لغة من اللغات هى : الترجمة ، ولأن الشعر الذى وصلنا وفهمناه فى صحفنا ومجلاتنا من تلك المواد مترجما ، فقد قررنا أيضاً – سواء وعيا أو بدون وعى – أن نتخذ أسلوباً فى الشعر يمكن بالترجمة أن يصل الى أسماع من هم من غير العرب .

ضرورة الترجمة

هذه الحقيقة أدركتها أنا عندما دعينا الى مؤتمر الأدباء العرب فى القاهرة فى عام ١٩٥٦ ، فالقيت محاضرة استشهدت بالشعر الذى آنذاك كان قد عرض فى الصحف . وقد تعجبون أن الذى استشهدت به قد مضى عليه اكثر من ربع قرن . وكان صديقى «نزار قبانى» قد كتب فى ذلك الوقت قصيدة عنوانها «من شاعر سورى الى مواطن امريكى» ، فهل يتخيل أحدكم أن هذا الشاعر عندما كتب هذه القصيدة ، كان يريدها مقصورة على الا



ابراهيم العريض

يفهمها غير العرب بمحسناتها وبديعها وبيانها ؟ العنوان يدل على انه يريد أن تصل هذه الكلمة التى كتبها بلسان العرب الى أسماع الأمريكى ، وكيف تصل ؟ لو كانت منظومة على الطريقة الكلاسيكية لعجز المترجمون عن ترجمتها ، واستنكف الأمريكى ان يلقى نظرة عليها . كانت القصيدة ـ والآن سأتلوها عليكم ـ قد قسمت الى مقطوعات . المقطوعة الأولى يصف فيها بلاده . المقطوعة الثانية يبين سبب كتابته هذه القصيدة الى هذا المواطن الأمريكى . المقطوعة الثالثة يوجه النداء أو الخطاب الى صاحب الأسطول السادس . وفى الفقرة الرابعة يبين الموفود الذى جاء وماذا يريد ، ثم يختم القصيدة . هى ليست قصيدة كلاسيكية ، ولا ننتظر منها ما ننتظر من شعر «المتنبـــى» و «أبى تمام» ، و «البحترى» .

يقول نزار :

من بلد فى الشرق الأوسط أسكنه يدعى سورية .
يتسلق خارطة الدنيا .
كالنخلة فى العش الأخضر .
كرسالة حب مطوية .
من وطنى مخزن نجمات .
يتزحلق فوق الأبعاد .
حلوا كنشيد الإنشاد .
كهدايا عيد الميلاد .
من أرض تحت حجارتها .
ولدت كلمات التوراة .
ولدت أفكارى ونواتى .
آتيك اليوم وفوق يدى عصفور وكتاب صلاة .
ويصدرى بعض الكلمات .
من هذى الأرض أناديك .
وأنادى فيك الانسان .
فأنا لا أكره إنسانا .
لكن رئيسك يحسبنى .
هنديا من أوكلاهاما .
مازال يحاول تصويرى للدنيا باللون الأحمر .
إنى عربى لا أكثر ! .
يكره فلسفة الألوان .
يا رب الأسطول الأسود .
دعنى يا رب الرادار .
دعنى لحقولى ولدارى .
لأربى فى السلم صغارى .
من تستعمل فى غزوى .
أسلوب الأزمنة الوسطى .
أسلوب رعاة الأبقار .
بالأمس أتانا موفود .
برداء فقير هندى .

يخفى فى جعبته حية .
يخفى مدية .
بالأمس أتى هذا الخائب .
ليزور تقريراً كاذب .
يا من أوفد إنى لا أؤمن .
لا أؤمن أبداً .
بعطاء المستورد .
فى هذه الأرض أنا السيد .
لن تأخذ شبراً من أرضى .
لن تأخذ شبراً من بيتى .
فالزيت لأصحاب الزيت .
يا من أوفد .
ما عاد الشرق كما تقرأ .
رقصاً وحريماً ونهوداً .
تبغاً وبساطاً ممدوداً .
أنا لن أخدع
لن أخدع بمبادىء عالمنا الحر .
لا تقلق للشرق الأوسط .
فالشرق الأوسط فى خير .
لو ظلك من صدرى يرفع .

قرأتها عليكم طويلة حتى أعطيكم نكهة ما يقصده الشعراء عندما يقولون هذا الشعر الحديث الذى لا تجدون فيه القوافى ولا تجدون فيه أوزانا كما وضح . وإذا عرف السبب بطل العجب .

مثال آخر

كنت احضرت مثالا آخر لشاعرة عربية ذهبت الى انجلترا أو سكنت فى انجلترا ، وركبت فى القطار ، وصادف أنها أصبحت وحدها فى القطار .. جلس بقربها انجليزى يسافر معها فى القطار . وعندما يجتمع



نزار قباني



المتنبي



أبو تمام العباسي



ابراهيم العريض

لماذا هذه الصعوبة في فهم الشعر الحديث؟

الاثنان ويطول بهما السفر ، يلتفت أحدهما للثانى حتى يفتح مجال الحوار .

كانت هذه الشاعرة العربية هى فدوى طوقان الأردنية الفلسطينية . فلما صورت هذه التجربة فى قصيدة ، هل عبرت عنها بالاسلوب الكلاسيكى؟ إنها لو فعلت لكانت قصرت كثيراً فى الوصول الى ما تريد التعبير عنه .

قالت فدوى فى قصيدتها تلك :

طقس كئيب .
طقس كئيب . وسماؤنا أبداً ضبابية .
من اين ؟ .. أسبانية ؟
كلا ! .. أنا من الأردن .
عفواً ـ من الأردن ؟ .. لا افهم .
انا من روابى القدس .
وطنى السنا والشمس .
(هى قالت .. وهو فهم ، ولكن ماذا فهم ؟)
يا .. يا .. عرفت .. إذن يهودية !
يا طعنة أهوت على كبدى .
صماء وحشية .
انى من القوم الذين
من الجذور مبعثرين .
ها هنا ، وها هنا
لا ينتمون الى وطن .
حقيقة فيها نغالط النفوس .
ندعى انا كباقى الآخرين .
قوم لنا وطن .
هيهات ! كيف تعلم .
هنا الضباب والدخان فى بلادكم .
يلفلف الأشياء .
يطمس الضياء .
فلا ترى العيون غير ما يراد للعيون أن تراه .

هل كان ممكنا لشاعرتنا ان تؤدى هذا المعنى لو ارادت ان تنظمه بالأسلوب الكلاسيكى ؟

رسالة صغيرة

وهنا رسالة صغيرة أرجو ان أستشهد بها من شاعر فى الأراضى المحتلة .

اخوه فى بيروت وهو فى الأرض المحتلة كتب له رسالة . وهو يريد لهذه الرسالة ان تفهم من قبل الدول ، من قبل الشعوب والأمم جميعاً لا من قبل العرب وحدهم ، لأن العرب كانوا ينظمون الشعر فى فلسطين ، ومضى عليهم أكثر من نصف قرن وهم قد بدأوا بما نظموه ولم ينتهوا منه . الرسالة . هذه المرة هى رسالة :

اخى الغالى :
اليك هناك فى بيروت .
«العجيب انها كتبت قبل ربع قرن ، وانا عندما اقرؤها احس انها كتبت امس» .
اليك هناك حيث تموت .
كزنبقة بلا جذور
كنهر ضيع المنبع
كاغنية بلا مطلع
كعاصفة بلا عصف
اليك هناك حيث تموت
كالشمس الخريفية .
اليك هناك ، يا جرحى
ويا عارى وساكبا ماء الوجه فى نارى
اليك .. اليك من قلبى المكاظم
جائعاً عارى
تحياتى واشواقى ولعنة بيتك الباقى .

انا لا اعتقد ان إنساناً فى الخليج يقرأ هذه القصيدة دون ان يحس بالمرارة التى يحسها الفلسطينى سواء كان فى بيروت أو فى غيرها او الأمم الاخرى الذين عانوا فراق الأرض .

كانت الفقرة الأولى فى المحاضرة هى : ما الفرق بين الشعر الحديث والشعر القديم ، وأرجو ان يتضح لكم ما هو الفرق ؟

دلالة الشعر

ناتى الى الفقرة الثانية : دلالة الشعر عندما ينشد إنشاداً ، عندما يقرأ قراءة ، عندما يقرأ صمتاً .

فيما يتعلق بالشعر الشعبى ، وانا اعتقد ان هذا الاسلوب استطيع أن اسميه الأسلوب الافضائى ، لأنه يمكن آن تنشده وتقراه على الجماهير ، ولذلك فهو بسيط جداً فى الأسلوب الذى ينشد الشعر إنشاداً والانشاد يتصوره بعض الناس خاصاً بالعرب . ولكن الانشاد غير خاص بالعرب ، الشعر يتلوه الانجليزى بطريقة خاصة ، ويتلوه الهندى بطريقة خاصة ، ويتلوه الفرنسى بطريقة خاصة ، وكان شعراؤنا أيضاً فى الماضى ينشدونه انشاداً ، لا أدرى ان كنتم تريدون أن أعطيكم بعض الأمثلة عن كيف ينشد الشعر فى اللغات الاخرى .

إذن ، الانشاد له دلالة ، عندما ينشد الشعر يبعث فى النفس نوعاً من الاطمئنان ، نوعاً من الانسجام مع الطبيعة يجعل الانسان يشعر ان الحياة هادئة حوله ، ولكن اذا أحس الشاعر أن الحياة غير هادئة حوله ، وانها مبعث قلق ، وأنه يعانى من هذا القلق ، فلابد له من نقل جو القلق الذى يعيش فيه فى شعره ، وعند ذلك يذهب الانشاد وتذهب حتى القراءة الناطقة ، ويقتصر الشعر على القراءة الصامتة لأن التشكيلة التى يقوم عليها الشعر ستكون مبنية على دلالتها ، على القلق ، فيأتى عندئذ الشعر غير موجه الى الجمهور وإنما موجه الى الذات .

الناس يتصورون ان الشعر الحديث يحمل طابعاً واحداً ، انا اريتكم ما يحمل طابع البساطة ، ما يحمل صفة كونه قابلاً للترجمة . وهناك فى الشعر الحديث اللون الثانى الذى لا تستطيع أن تنشده ولا تستطيع ان تقراه على الناس ، ولا تستطيع إلا ان تقراه صامتاً بينك وبين نفسك . من هذا النوع آتيكم بشاهدين كلاهما الشاعر فى حالة واحدة ، هو يتحدث عن محبوبة كان يحبها . لكن هذه المحبوبة بعد ان اعتمدت عليه لكى يرتفع شانها فى بادىء الأمر ركبت راسها فيما بعد .

والقطعة الثانية يتكلم فيها عن زوجته باعتباره انساناً محترماً ، عندما يتقدمه فى المجتمع الذى يعيش فيه ، يراه الناس زوجاً مثالياً ولكنه فى قصيدته التى كتبها يبين ان وراءه ما وراءه . هذا الأديب وهذه القطعة مضى عليها اكثر من ٣٠ سنة .

يلتفت فى القطعة الأولى الى هذه التى



فدوى طوقان



ابراهيم طوقان

كانت معشوقته ، ثم أخذت تتصرف تصرفاً غير الذى كان ينتظره منها :

حقيرة أنت ـ خلعت عليك المجد فكنت .
وأشع الغرور من مقلتيك ومن كل عبق فاح منك .
أيها الصنم الذى خلقت .
خسئت الرفعة فلست منها .
من بقايا الشجون وثمالة الكاس وأطراح دمى .
جبلت الوهم ظمانا ، وقلت له كن .. فكنت
ما أنت ؟ . من انت بربك ؟ من أنت ؟ ..
وقف الصدى عن ترجيع صلاتى .. فكنت ! .

وأما القطعة الثانية بالنسبة الى زوجته ، فعنوانها (وفاء) وتأكدوا أن هذه القطعة لا يمكن أن تنشد شعراً جمهورياً ، لأن القصد هو شعر إيحائى ذاتى :

لم أحببك يوماً .. بل أحببت فيك نفسى .
وانعكاسات رؤاى الحالمة .
واعرف انني فى خاطرك لم اك غير انتقام لحب اضعته .
وعشنا معاً فتالفت منا أسطورة .
غصت بها روحانا المآ
وعرفتنا الدنيا أنشودة خالدة
فيا لهوان الهوى
لست لي
ولم اكن لك
سأذهب وتذهبين غريبين عاشا معاً

وابقيا من بعدهما أكذوبة .

توافق الشاعر والجمهور

المشكلة عندما يتحدث أحدنا عن الشعر .. هو يعنى أن الشاعر الذى يفضى ويتلو وينشد قصيدة له خلفية ، وفى الوقت نفسه الجمهور الذى يتلقى ويستمع اليه له خلفية أيضاً . فاذا كانت الخلفيتان متساويتين استراحت .

واذا اختلفت خلفية جانب عن خلفية الجانب الثانى حصلت المأساة ، فانئذ لا الشاعر يستطيع أن يخلق اتصالا بالجمهور ، ولا الجمهور يستطيع أن يفهم ماذا يريد الشاعر .

فى ظهيرة اليوم كنا نحن الأخوين مجتمعين ، وجاء الكلام على شعر المناسبات . يتصور بعض الناس أن شعر المناسبة هو شىء يزرى ، أو أنه شىء يؤخذ على الشاعر ، لا ! .. انا أعتقد أن كل شعر هو شعر مناسبة ، لكن يختلف ماذا تقصد المناسبة ، اذا كان هذا الشاعر يتصور انه إذا تاتت المناسبة فعليه أن يقدم للجمهور ما يريده هو ، ما يتوقعه الجمهور فى مثل هذه المناسبة حسب خلفيته المحدودة . هذا خطأ . المناسبة تقتضى أن يقول هو ما يتوقع منه ، لا ما يتوقع منه الجمهور ، لأن الجمهور عنده فكرة أن الشعر هو للطرب ، أو أن الشعر هو للحماس ، أو أن الشعر هو للتصفيق .. هكذا يفهم الجمهور اذا كانت خلفيته محدودة ، أما اذا كانت المناسبة والشاعر واع ، فيجب أن يقدم للجمهور ما يتوقعه هو فى حدود معرفته ، وفهمه . أيها الشاعر قدم له ما يتوقع منك أنت كانسان واع .

هنا شاعر فى مناسبة قدم أبياتاً وهى أبيات نظمها فى المناسبة ، وستتعجبون اذا قلت لكم انها أبيات مضى عليها نصف قرن ، واذا سمعتموها ربما تتصورون أنها كتبت أمس .

عنوان القصيدة هو : الى الزعماء والشاعر هو : ابراهيم طوقان رحمه الله . اخترت منها أبيات موجهة الى الزعماء :

انتم المخلصون للوطنية
انتم الحاملون عبء القضية
انتم العاملون من غير قوم
بارك الله فى الزنود القوية
وبيان منكم يعادل جيشاً
بمعدات زحفه الحربية
اجتماع منكم يرد علينا
غابر المجد فى فتوح أمية
ما جحدنا أفضالكم غير أنا
لم تزل فى نفوسنا أمنية
فى يديكم بقية من بلاد
فاستريحوا كيلا تطير البقية

لاحظتم فى الشعر الحديث الأسلوب الافضائى والأسلوب الايحائى والاسلوب الايحائى يقوم على الرموز ، واذا فهمت دافع الشاعر وحالته وظروفه فهمت الشعر . والثانى هو الشعر البسيط الذى يفترض فيه إذا كان يقصد منه ان يكون شعراً حديثاً قابلاً للترجمة ، أما اذا ادخلت فيه عنصر الغموض أدبرت الغرض منه .

أعتقد أن هذا يكفى . ولكن قبل أن أختم كلمتى اريد ان اقول جواباً على السؤال فى عنوان المحاضرة «لماذا هذه الصعوبة فى فهم الشعر الحديث ؟» اعتقد أن الجواب هو أن كثيراً من الناس ممن يتصورون أن الشعر صنعة ، عندما يأتون الى الشعر الحديث يرون أن مستلزمات الصنعة قد أزيلت من طريقه ، وسهل وعبد لهم ، هم لا يذكرون الهدف القائم وراء هذا الشعر الحديث سواء فى أسلوبه الافضائى ، أو فى أسلوبه الايحائى ، وإنما يتصورون أن هذا الشعر الحديث هو شىء يكتب لا يتطلب وزناً ، ولا يتطلب قافية ، فلماذا لا أحاول ؟ .. هذه واحدة .

والأسلوب الايحائى لأن هناك ومضات رمزية تدل على العاطفة من ورائها ، وقلق الذات من ورائها ، فهم يتصورون أنه اذا أتوا بالتركيبات الغامضة قربوا من الشعر الحديث ، وفى ذلك الجواب على السؤال «لماذا هذه الصعوبة فى فهم الشعر الحديث» ، هو لماذا هذه السهولة فى تناول الشعر الحديث ؟!

ابراهيم العريض

الموهوبـون فقط كانوا أصحاب الحق في الالتحاق بها دون شرط آخـر
ومن هـؤلاء فنـانون تـدوي أسماؤهـم في العـالم التشكيلي الآن

جمـــال قطـــب

قصة أول مدرسة للفنون الجميلة في الوطن العربي

هذه قصة أول مدرسة للفنون الجميلة فى العالم العربى . وقد تم إنشاؤها منذ ٧٣ عاماً ، حيث لم يكن فى العالم العربى كله أى اعتراف بالفنون التشكيلية أو بصلاحيتها لأن تكون موضوعاً للدراسة مثل سائر الموضوعات الأخرى .

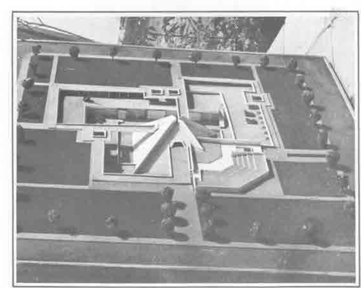
وقد أثارت هذه المدرسة منذ إنشائها مشكلة دقيقة هى : هل يخضع طالب الفنون الجميلة لما يخضع له طالب الكيمياء والهندسة والطب من درجات وقيود ؟ وكان الرأى الغالب أن الفن فوق القيود . وأن دراسة الفن لا يجوز أن تخضع لضرورات المجموع ولوائح الروتين الجامعى والجرى وراء الدرجات العلمية المستحدثة التى تبدو غريبة المذاق على الفن والفنانين . ولا نتصور أن الدكتور « بيكاسو » أو الدكتور « سلفادور دالى » أو الدكتور « محمود مختار » كانوا سيقبلون بهذا التعريف عوضاً عن اللقب الخالد وهو : الفنان !

لقد مر الفن بمراحل تاريخية متعاقبة ، كانت له أهداف تحكمها الظروف البيئية والاجتماعية ؛ ففى العصور البدائية ، عبر الانسان الفنان ـ وفى داخل كل إنسان فنان كما يقول علماء النفس ـ عن معاناته وصراعاته اليومية مع الوحوش الضارية وقسوة الطبيعة ، بما يشبه الطقوس والسحر لأغراض اتقاء ودرء الأخطار المحيقة به ، ولذلك كان الفن فى تلك العهود السحيقة تفاعلاً وانفعالا وتعبيراً عن غايات ومتطلبات ملحة لاستمرار الحياة .

وكنتيجة للتطور الطبيعي ، تكونت المجتمعات فى الوديان حول مصادر المياه وعلى ضفاف الأنهار ، وسيطرت النزعات الروحية متجسدة فى ديانات ومقدسات شتى ، وصار للفنان الدور الأساسى فى تجسيد وتخليد هذه المعتقدات كما رأينا فى الحضارة الفرعونية ، وأصبح إبداعه وقفاً ـ تقريباً ـ على خدمة هذه الأغراض السامية ، ثم تشعبت الاهتمامات بعد ذلك فى القرون الوسطى تبعاً لتطور المجتمعات وتعدد احتياجاتها ، وظهرت الفنون التطبيقية لأغراض الحياة ، وصار الفن مواكباً للحياة العامة وخدمة المجتمع . وكانت الفنون الاسلامية أبرز سمات هذه النهضة الابداعية في الاستخدامات النافعة ، حيث ركزت على الجوانب الذهنية أكثر من تركيزها على الجانب الوجداني ، وأصبحت الفنون التطبيقية الاسلامية هى الرائدة فى العالم المتحضر انذاك ممثلة في العمارة ، والصناعات المعدنية والخشبية ، والخزف والنسيج والزجاج والمخطوطات وغيرها من متطلبات الحياة اليومية ، ولذلك ، كان الرأى القائل « بأن أبرز سمات الحضارة الاسلامية هو الفن » حقيقة لاجدال فيها ، لأن لمسات الفنان الواعية ، قد أضفت على كل مرافق الحياة ثوباً رائعاً من الذوق الرفيع .

عصور الانحدار

وبانتهاء الدولة العثمانية التركية منذ نحو مائتين وخمسين عاماً ، اندثر عقد الابداع العربي الاسلامي كمدرسة فنية منظمة لها أصولها وجذورها ، ووقعت الأقاليم العربية فريسة لأطماع المستعمرين ، وخضعت للتأثيرات الفنية الوافدة ، وبذلك تفتت الاصالة والطابع المميز . وفى الحقيقة ، فان هذا التفتت قد حدث من قبل ، وبالتحديد منذ عام ٩٢٢هـ ـ ١٥١٦م ، عندما انتزع سليم



مشروع متحف الحرب والسلام



صلاح نايل



محمود مختار

جمال السجينى

الأول مصر وسوريا من المماليك ، واتسعت الامبراطورية العثمانية فى أواسط القرن السادس عشر الميلادى فشملت جنوب شرق أوربا بالاضافة الى العراق والشام ومصر ، وكان (محمد الفاتح) قد استولى فى عام ١٤٥٣م على القسطنطينية عاصمة البيزنطيين ومركز الآثار البيزنطية (الرومانية الشرقية) ، فتأثرت الفنون الاسلامية بهذه الآثار ، وظهر على يد الأتراك طراز فني هو ملتقى تيارات مختلفة : تيار بيزنطى ظهر فى فن العمارة ، وآخر إيرانى كان له أثره فى الخزف والنسيج والتصوير ، وثالث أوربي كالأعصار العنيف . غزا الامبراطورية العثمانية فى القرن السابع عشر ، عندما توثق اتصال الحكام العثمانيين بالبلاد الأوربية ، وقد امتدت تأثيرات هذه الأساليب ـ وبخاصة الأوربية منها ـ الى جميع مراكز العالم الاسلامي التابعة للدولة العثمانية مثل القاهرة ، وبغداد ، ودمشق ، وتونس ، والجزائر .

وبانتهاء الدولة العثمانية فى عام ١١٣٤هـ ـ ١٧٣٠م ووقوع بلادنا العربية فى مناطق النفوذ الغربي تحت سيطرة الاستعمارين البريطاني والفرنسى بصفة خاصة ، لم تستطع الحركة الفنية العربية أن تنهض وتشق طريقها لتنافس المدارس الغربية التى تألقت فى أوربا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .. وأصبحنا ندور فى فراغ ! .

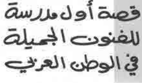
وكانت مصر طوال تاريخها العربي الاسلامي ، ومنذ أيام الفتح الأولى ، مصدر اشعاع فكرى فى المنطقة العربية والاسلامية بوجه عام ، وشهدت عصوراً ذهبية رائعة فى مجال الفن فى العهدين الفاطمي والمملوكى وغيرهما ، حتى أقدم السلطان سليم الأول على تلك الهجمة الشرسة اللاأخلاقية ، حيث أفرغ البلاد المصرية من الفنانين والصناع المهرة وأرسل بهم الى الآستانة ، وبانحدار الامبراطورية العثمانية التركية ، توالت النكسات على الوطن العربي ، وتعثرت الحركة الفنية المصرية ، وظلت تبحث عن هوية قومية دون جدوى .. حتى كان مطلع هذا القرن .

أول مدرسة للفنون الجميلة

كانت المراسم الخاصة التى كونها الفنانون الأجانب والمستشرقون المقيمون فى القاهرة والأسكندرية ، منتشرة على نطاق واسع فى أواخر القرن الماضى ومطلع هذا القرن ، وكانت هذه المراسم كخلايا فكرية تمثل ظاهرة حضارية فى المجتمع المصرى المتطلع إلى آفاق التذوق والمعرفة .. حتى كان الحدث الكبير عام ١٩٠٨م ، عندما انشأ احد أمراء الأسرة المالكة المصرية ويدعى الأمير يوسف كمال أول مدرسة للفنون الجميلة فى العالم العربي باسم : مدرسة الفنون الجميلة بالقاهرة . واتخذ من أحد قصوره مقراً لها بحي درب الجماميز بالقاهرة . وعلى مدى السبعين عاماً الماضية ، شهد هذا الصرح الفنى العديد من التطورات والتحولات ، حتى أصبحت كلية الفنون الجميلة ـ حالياً ـ بحي الزمالك تضم عدة مبان فسيحة وحديقة رائعة تزينها التماثيل والأشجار والخمائل ، كما تحتل فى العالم العربي كله منزلة رفيعة فى عالم التألق والابداع الراقى ، وتشمل الكلية العريقة ستة أقسام رئيسية هي : العمارة ـ الديكور ـ التصوير ـ الحفر (الجرافيك) ـ النحت ـ والعلوم الانشائية .

كما أن مجلس جامعة حلوان (وهي الجامعة التى تتبع لها الكليات الفنية فى مصر) يمنح ـ بناء على طلب مجلس الكلية ـ الدرجات العلمية والدبلومات المختلفة مثل البكالوريوس ، ودبلوم الدراسات العليا فى الفنون الجميلة ، ودرجة الماجستير ، وكذلك درجة الدكتوراه فى الفلسفة والفنون الجميلة ، وقد يكون لنا بعض التحفظات فى مبدأ انخراط الكلية تحت نظم ولوائح

واجـهة رئيسـية



الجامعة وقيود الدرجات العلمية ! ويراها البعض بمثابة قيد لا يتفق مع تحرر الفن وانطلاقة الفنان . ورحم الله محمود مختار ــ فنان مصر الخالد ــ عندما قاوم انتماء مدرسة الفنون هذه إلى مؤسسة حكومية ، بل لقد عمل على أن تكون لها استقلاليتها الكاملة بعيداً عن اى قيد او روتين إلا قيد الهواية والموهبة ! .

استقلالية الفن ورعاية الموهبة

كان ذلك فى العشرينات ، عندما اصبحت المدرسة تلقى باشعاعاتها على المنطقة كلها ، فارادت الحكومة ان تضمها إلى رعايتها المباشرة اسوُة بباقي المؤسسات الثقافية الاهلية الأخرى . وبالفعل ، فقد اصبحت الجامعة المصرية ــ انذاك ــ مؤسسة حكومية . وعمل مختار على ان يقتصر الالتحاق بمدرسة الفنون على أصحاب الميول الفنية والموهبة الحقيقية ، وقاوم فكرة الحصول على شهادة الثانوية العامة كشرط اساسى لدخول المدرسة ، وطالب بان يكون أساس تعليم الفنون الجميلة هو احتضان المواهب المتفتحة ورعايتها وتدريبها فى مدرسة تحضيرية تسبق الدراسات الأكاديمية المتخصصة . وتم لمحمود مختار ما أراد ! وبهذا سبق عصره وخرجت مدرسة الفنون فى الثلاثينات فنانين من الأفذاذ من أمثال جمال السجيني ، وكامل مصطفى ، وحسنى البناني وعشرات غيرهم . وهذا ما ننادى به اليوم ، وبعد نحو ستين عاماً من نجاح التجربة الرائدة ، او على اقل تقدير يجب الا تخضع دراسة الفن لقيود المجموع ولوائح الروتين الجامعي والجرى وراء الدرجات العلمية المستحدثة التى تبدو غريبة المذاق على الفن والفنانين . ولنعلم ان تمثالا أو لوحة ملهمة تبدعها انامل فنان موهوب ، تتالق فى وجداننا وتتسامى فوق الماجستير والدكتوراه وكل الدرجات الاخرى ! ولا اتصور ان (الدكتور) بيكاسو ، او (الدكتور) سلفادور دالي ، أو (الدكتور محمود مختار) ، كانوا سيقبلون بهذا التعريف عوضاً عن اللقب الخالد وهو : الفنان ! .

الظاهرة الرائدة

نعود الى هذه المؤسسة الفنية العريقة : كلية الفنون الجميلة بالقاهرة والدور الحضارى لرسالة الفن بصفة عامة فى عصر التطور والتفاعل الاجتماعى فى عالمنا العربي المعاصر . غالباً ما تتردد اصداء الصيحات الشاكية الأبدية للفنان المصرى ــ والعربي عموماً ــ من انفصال حركة الابداع عن القاعدة العريضة للجماهير . ولهذه الشكوى ما يبررها ، وقد تناولت المشكلة من جانبى وعالجتها فى خمس مقالات متتالية على هذه الصفحات فى الشهور الماضية ، مبتدئا من إعداد النشء فى مراحل تعليمه الأولي لتدريب بصيرته على التذوق الفنى بمعناه الشامل ، ومستعرضا العقبات والمشاكل التى تواجه كلا من الفنان والجمهور ومسئولية كل فريق منهما إزاء الاخر ، ومنتهياً بظاهـــرة عــدم الاهتمام بالمتاحف وقاعات العرض والتية فى خضم المستوردات وفرض الأذواق الوافدة والبعد عن الاصالة والجهل بالتراث وإهمال الجانب الثقافي للفنان ، مما زاد من عزلة الفنان عن مجتمعه وقصوره عن القيام بدوره القيادى فى أوطاننا العربية !

وكانت من المظاهر الملفتة للنظر ، عدم المشاركة الفعلية من الفنان في بناء وطنه والمساهمة فى مشاريعه الكبرى . وأذكر ان هذه القضية بعينها كانت موضوع محاضرة أعدت لها إدارة الثقافة والفنون القطرية ، ركزت فيها على أن مشاركة الفنان فى اقامة مثل هذه المشاريع ، هي عامل نفسى قبل كل شيء يعيد الثقة للفنان ويرفع من معنوياته ، فيشعر بوجوده واهميته وتاثيره على مواطنيه كاحد القادة الرواد . وهذا التعريف هو ما وضعه (رابلي فور) عندما وصف الفنان فى مجتمعه ولقبه (بالفنان البطل) ! فليس من المعقول أن تظل دور العلم والمؤسسات الثقافية بمعزل عن نبض الجماهير ، غارقة فى دراسات أكاديمية بعيدة عن متطلبات الحياة اليومية !

واخيراً ، اصبحت كلية الفنون الجميلة ، بكل عراقتها وتاريخها الطويل رائدة في مجال المشاركة العملية وحل المشاكل القومية .

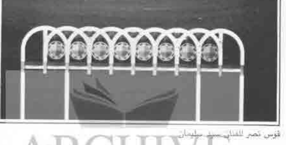
وانه لشيء رائع ان نرى هذه الخلايا الابداعية بكل تخصصاتها الستة تعايش الخطط الانشائية والفنية معايشة كاملة ، واصبحت مشاريع التخرج لشهادة البكالوريوس تعد

الفنان سامي رافع وخلفه نصب الشهداء



نصب الشهداء فى صورته النهائية

شموخ .. للفنان ناصر المنشى



قوس نصر للفنان سيد سليمان



الباحث سيد سليمان

خصيصا لكي تنفذ الأعمال الممتازة منها بالاتفاق بين الجهات المسئولة ومجلس الكلية . ومن الأمور الطبيعية أن نرى الفنانين من الطلبة واساتذتهم يجوبون الصحارى والمدن والقرى ، ينقبون عن عناصر ملهمة لتتحول فى تصميماتهم الى انشاءات تنفذ على أرض الواقع .

كما أن هناك جسورا ممتدة بصفة منتظمة بين مجالس المحافظات المختلفة واقسام العمارة والفنون بالكلية ، للاضطلاع بالمشاريع العمرانية ومتطلباتها الفنية أولا بأول . ومن المألوف كذلك أن تأخذ المعارض طابعا خاصا ؛ فالأعمال الفنية فى معظمها تخدم أهداف التنمية فى شتى صورها ، كما أن أقسام الكلية تقوم بدراسات مستمرة للمنشآت الحكومية والقوات المسلحة ومداخل المدن الجديدة والنصب التذكارية وديكورات الفنادق والبنوك والمعارض والمكاتب السياحية والمحال التجارية ، فضلا عن تصميم العملات والطوابع وترميم القصور والمباني الأثرية .. إلى غير ذلك من الأعمال الفنية الرفيعة !

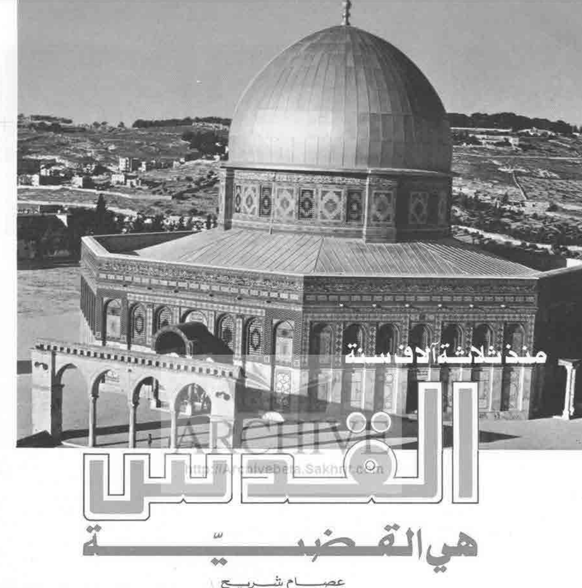
امثلة مشرقة

ومن الأمثلة الرائعة لتعاون الكفاءات العالية بين اسرة كلية الفنون الجميلة بالقاهـرة والمشاريع الفنية الكبرى ، إقامة النصب التذكارى للجندى المجهول فى أعقاب حرب رمضان المجيدة ، حيث فاز بالجائزة الأولى من بين خمسة وسبعين فنانا ، احد الفنانين البارزين من أساتذة الكلية ، هو سامي رافع ، وقد تعدت شهرته حدود الوطن العربي وانطلقت الى العالمية . وجاء تصميمه مزجا من الأصالة والمعاصرة على شكل هرم من اربعة حوائط قطرية وليست محيطية ، مفرغ من وسطه ليعطى رؤية متعددة الأشكال بفعل التلاحم بين هذا الفراغ والظلال المتساقطة من القوائم ، ويرتفع النصب الى ٣١,٦٤ مترا ، ويبلغ سمك حوائطه نحو مترين ، وقد غطت حوائطه اسماء الشهداء الرمزية بطريقة النحت البارز ، وكأنها معزوفة من زخارف (الأرابيسك) تضفى على هذا النصب روعة ورهبة وإجلالا .

ومثل آخر ، هو بحث علمي فني مقدم من الفنان محمد سيد سليمان كرسالة للحصول على درجة الماجستير فى الديكور ، وكان موضوعها : أهمية الديكور فى المهرجانات القومية والاحتفالات العامة ، وفيها عرض شيق مدعم بالتصميمات واللوحات والاحصاءات الدقيقة المصورة عن احدث الاتجاهات العالمية فى هذا المجال ، ولكنه اضفى على تصميماته طابعا عربيا خالصا معالجا بنظرة حديثة متطورة ..

وأخيرا ، إذا كان إيماننا راسخا بأن الفن يجب أن يواكب الأحداث ، وأن يلبى متطلباتها ، وأن يقود الفنان جموع المواطنين إلى عالم التذوق الفني الرفيع ، وجب علينا فى نفس الوقت ، أن نسلح الفنانين بثقافة تراثية واعية تمتد جذورها إلى منابع الحضارة العربية الاسلامية الرائدة ، لتسبغ الأصالة على عطائهم الابداعي ، وليكونوا أهلا لهذه القيادة فى وطننا العربي الكبير .

جمال قطب



منذ ثلاثة آلاف سنة

القدس هي القضيّة

عصام شريح

وصف المؤرخ البريطانى الراحل «ارنولد توينبى» قيام «اسرائيل» على ارض فلسطين المغتصبة ، بانه «ازمة» ، وقال : «ان الازمة التى خلقتها الحرب الصليبية للعرب والمسلمين ، شبيهة بالأزمة التى خلقها ظهور اسرائيل ، وقد نجح العرب فى الحرب الصليبية الأولى فى توحيد صفوفهم توحيداً وثيقاً ، وعلى نطاق واسع ، فانقذوا انفسهم من الخطر الذى تعرضوا له» . وأضاف «توينبى» : «وما كان ليتاتى قيام «الوطن القومى اليهودى» ، إلا باستخدام القوة الغاشمة ضد سكان فلسطين ، الذين كانوا فى بلادهم قبل مجيء اليهود بزمن طويل ... فكان ان ضُحي بشعب بريء فى سبيل تحقيق اطماع طائفة تتعلق باهداب فكرة رجعية تتنافى مع واقع التطور البشرى ، وتجافى المثل الانسانية العليا» .

لقد استشهدنا بقول «توينبى» هذا ـ وهو اشهر مؤرخ عرفه القرن العشرون ولأنه صاحب نظرية فلسفية فى التاريخ ـ لنؤكد حقيقة ، طالما تجاهلها مؤرخو الغرب المتحيزون ضد العرب ، وهى أن اليهود كانوا فى العصور القديمة من التاريخ كما فى العصر الحالى ، مجرد قوم طارئين على فلسطين ولم تقم لهم دولة حقيقية عاصمتها القدس ، إلا فى عهد الملكين داوود وسليمان ، ولفترة من الزمن لم تتعد ٦٩ عاما ، وحتى فى عهد هذين الملكين اليهوديين لم يستطع «العبرانيون» السيطرة على فلسطين كلها ، وخلال حكم سليمان بن داوود ، كان الكنعانيون (العرب) يشكلون الأغلبية من سكان فلسطين ، ولم يغادروها بشكل جماعى









لقطات من المدينة ذات الأبعاد التاريخية والحضارية والسياسية والدينية

لأن القدس اختصاراً هى « القضية » ، ولأن الصراع على القدس هو الصراع العربي ـ الصهيوني بكل معانيه وأبعاده التاريخية والحضارية والسياسية والدينية ، ولأن فى الحديث عن القدس عودة الى جذور هذا الصراع ... ولكي لا ننسى فى زحمة المتاهات اليومية ، القضية الأساسية ، عدنا الى طرح قضية القدس ـ أى القضية العربية ـ للتذكير بها ، لأن .. الذكرى تنفع المؤمنين .

ـ وإن كانت جماعات منهم قد نزحت الى اطراف بلاد الشام الأخرى مع فلسطين (وهى ما تعرف اليوم بسوريا ولبنان والأردن) ـ وما أشبه اليوم بالبارحة ! ولعل خير دليل على أصالة الشعب الفلسطينى فى وطنه ، وكون اليهود مجرد جماعات غازية طارئة فى فلسطين ان اليهود لم يتركوا اية آثار فيها ، وتذكر «فرانسيس نيوتن» ـ البريطانية ـ فى كتابها «الانتداب على فلسطين» ما يلى :

«لا يوجد فى فلسطين نقش واحد يمكن ان ينسب الى المملكة العبرية .. ولقد فشلت اليهودية فى تقديم اى آثر لداوود وسليمان ، او اى نقش او اثر او حجر او حتى نصب تذكارى ، ولهذا فان قضيتهم تفتقر الى دليل مسجل على غرار الأدلة للوجود التاريخى لشعوب غرب آسيا ، كما أن المؤرخين الأغريق لم يذكروا شيئاً عن اليهود فى تاريخ فلسطين المبكر ، ومما لا شك فيه أنه كان من شأن الاغريق الاتصال باليهود ، لو كانت فلسطين حقاً وطنهم القومى .

عروبة القدس

كان أول اسم عرفت به القدس «أور سلام» و «اور» لفظة ارامية قديمة تعنى المدينة أو الساحة ، و «سلام» تعنى التحية والأمان والصلح والحكمة ، فيكون معنى «أور سلام» اذن ، «مدينة السلام» او «دار السلام» ، لكن من المؤسف أن دار السلام هذه لم تعرف السلام الدائم فى تاريخها ، بل ان المعتدين ارتكبوا من المجازر فيها ما يندى له جبين الانسانية خجلا ، فالصليبيون على سبيل المثال قتلوا من اهل القدس العرب لدى دخولهم اليها (٧٠) الف شخص ، ولا يقل مجموع الضحايا من



بوابة وقلعة



داخل المسجد



مسجد قبة الصخرة

عرب القدس منذ قيام الكيان الصهيوني ، وحتى اليوم عن هذا الرقم ، وهو رقم مرعب لو كنا نذكر ذلك .

وكانت «أور سلام» مدينة مقدسة لدى اليبوسيين – الذين هم فرع من الكنعانيين العرب – لأنهم كانوا يعتبرونها مدينة إلههم «إيل عليون» – أى الاله العلي .

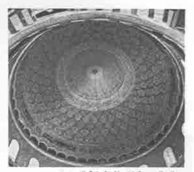
اما اليهود الغزاة ،فقد انتحلوا الاسم الكنعاني للقدس ، واطلقوا عليها اسم «اور شلام» أو «اور شالم» ، واصبحت هذه اللفظة مع تقادم الزمن «اور شليم» التى يتمسك بها الاسرائيليون اليوم . ومن اسماء القدس القديمة كذلك «يبوس» نسبة الى «شعبها» اليبوسى الذى جاء ذكره فى التاريخ انه استوطن فلسطين قبل ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد ، وكان اول ملوكهم «ملكى صادق» الذى استضاف ابراهيم الخليل .

وقد عرف «ملكى صادق» بحبه للسلام حتى اطلق عليه اسم «ملك السلام» .

وهكذا يكون اليهود قد اقتبسوا اسم «اور شليم» وانتحلوا صفتها كمدينة مقدسة عن الفلسطينيين الأوائل ، ناهيك باقتباسهم من حضارة الكنعانيين الشيء الكثير .

اما سيطرة اليهود على القدس ، فقد جاءت متأخرة نسبيا عن فترة خروجهم من مصر ، وغزوهم لفلسطين بخمسين سنة على الأقل ، حيث احتلها ملك اليهود «داوود» فى أوائل الألف الأول قبل الميلاد وبعد وفاة داوود قام ابنه «الملك سليمان» ببناء هيكل جعله لعبادة «يهوه» . اما بعد وفاة سليمان فى ٩٣٥ ق.م ، فقد تولى شئون المملكة اليهودية ابنه «رحبعام» الذى جمع رؤساء «اسباط – عشائر» اليهود ، وهددهم قائلا : «أبى أدبكم بالسوط .. أما انا فسأأدبكم بالعقارب» . لكن تهديده هذا لم يمنع انقسام المملكة الى مملكتين ، حيث ملك «رحبعام» على سبطى «يهوذا وبنيامين» ، وجعل «اور شليم» عاصمة لمملكته التى اطلق عليها اسم «مملكة يهوذا» ، فيما ملك «يربعام» على الأسباط العشرة الباقية ، واتخذ من «السامرة» (منطقة نابلس) ، عاصمة لمملكته التى اسماها «مملكة اسرائيل» . وقد منع «يربعام» يهود «اسرائيل» من زيارة القدس ، كما تفرض عليهم الشريعة اليهودية ، ليمنع حصول اختلاط بين المملكتين اليهوديتين وبنى «مذبحا» فى قرية «بيت إيل» الكنعانية التى احتلها ، وتقع بالقرب من مدينة «رام الله» ، ووضع على المذبح عجلا ذهبيا ، وأمر الأسباط العشرة بعبادته .

وفيما بعد ادت الخلافات الى تداعى الدولتين ، حتى قضى «سرجون الثانى» ملك الكلدانيين على «مملكة اسرائيل» فى عام ٧٢١ ق.م ، وازالها من الوجود ، وسبا الوفا من اليهود الى عاصمته «بابل» ، وعاد الكنعانيون الى اراضيهم ووطنهم ، اما مملكة يهوذا فقد عمرت أكثر من مملكة اسرائيل ، الى ان زحف عليها سنحاريب ملك الآشوريين وخربها واحتل القدس فى عام ٧٠١ ق.م ، إلا ان من بقى منهم فى فلسطين استغل الصراع على النفوذ الذى كان قائما بين الآشوريين والفراعنة وحاولوا استعادة كيانهم المنهار ، فزحف عليهم ملك الكلدانيين «نبوخذ نصر الثانى» وفى عام ٥٨٦ ق.م تمكن من السيطرة على القدس بشكل نهائى ، وقتل اخر ملوك يهوذا المدعو «صدقيا» ، وأحرق الهيكل وقصر الملك وهدم اسوار المدينة واسر معظم سكانها من اليهود ، وقام نبوخذ نصر كذلك بتدمير سائر المدن والقرى «اليهودية» فى فلسطين ، فكانت بذلك نهاية اسرائيل ككيان سياسى فى




جمال الهندسة الاسلامية بقبة الصخرة

حائط المبكى



مسجد عمر



المدينة القديمة

فلسطين .

غزوات اخرى

فى الواقع كانت الغزوة اليهودية لفلسطين واحتلالهم للقدس ، اقصر الغزوات والاحتلالات عمراً فى التاريخ ، ولم يكن اليهود هم الوحيدون الذين دخلوا فلسطين بشكل طارىء ودون ان يتمكنوا من التجذر فى الأرض ، إذ جاء الفرس بعد ذلك واحتلوا بلاد الشام ومنها فلسطين ، واخذوا يتهيأون لاجتياح مصر والسيطرة عليها ، فاستغل يهود السبي فى بابل (العراق) هذه الفرصة ، وسعوا لدى الملك الفارسى «قورش» من اجل السماح لهم بالعودة الى فلسطين ، فاتاح لهم «قورش» ذلك واستعان بهم للتعرف الى مسالك البلدان وطرقها ، وساروا امام جيوش الفرس الغازية ، وفى عهد الملك «دارا» سمحوا لهم باعادة بناء سور القدس وهيكل سليمان .

ثم جاءت بعد ذلك الغزوة اليونانية بقيادة الاسكندر المقدونى (٣٣٢ ق.م) ، فلم يغير فى وضع اليهود شيئا ، وكذلك فعل خلفاؤه البطالسة .

وعندما احتل الرومان بلاد الشرق ، ودخل «بومبى» فلسطين هدم سور «اور شليم» ، لكن اليهود لجاوا الى اعمال الشغب ضد الحكام الجدد ، فقام الامبراطور «هدريانوس» بتدمير اورشليم وحرث ارضها بالمحاريث ، وهدم الهيكل للمرة الثانية – والأخيرة – واليهود اليوم يحاولون بناء الهيكل (الثالث) مكان المسجد الأقصى المبارك .

وعلى انقاض المدينة القديمة التى زالت عنها الصبغة اليهودية ، شيد الرومان مدينة جديدة اطلقوا عليها اسم «إيليا» او «إيلياء» وذلك نسبة الى الاصبراطور «إيليوس هدريانوس» (إيليوس هو إلياس) ، وعندما جاء الامبراطور قسطنطين على عرش الامبراطورية الرومانية ، وغدا مؤسس الدولة البيزنطية التى اتخذ القسطنطينية عاصمة لها ، أصبحت «إيليا» مدينة بيزنطية ، وشيدت امه «هيلانة» كنيسة القيامة فيها .

وخلال هذه الحقب التاريخية جميعها لم يظهر لليهود فى فلسطين اى كيان سياسى ، فى حين استمر الشعب العربى الفلسطينى فى حياته العادية فى وطنه وبلاده .

الفتح الاسلامى

فى القرن السابع للميلاد عزم العرب المسلمون على فتح القدس لأسباب دينية واستراتيجية واقتصادية ، وبعد انتصارهم فى معركة اليرموك ، وتولى «ابو عبيدة الجراح» قيادة الجيوش الاسلامية فى بلاد الشام بدلا من خالد بن الوليد ، زحف ابو عبيدة على القدس وضرب الحصار عليها ، فطلب اهلها «المسيحيون» الصلح على غرار ما صولح عليه اهل مدن الشام من اداء الجزية والخراج وحرية الاختيار بين الدين الاسلامى ودينهم السابق . فكتب ابو عبيدة الى الخليفة عمر بن الخطاب بذلك ، وعندما وصلته الرسالة ، توجه عمر بنفسه الى بلاد الشام ونزل «الجابية» بدمشق ، ثم سار الى القدس وقام ابو عبيدة بابلاغ بطريرك النصارى فى المدينة بمقدم الخليفة عمر ، فخرج هذا اليه حاملا الصليب على صدره ، فما كان من عمر العظيم ، إلا ان قابله بالتكريم والاكبار ، وكتب له «وثيقة الامان» الشهيرة ، التى عاهد فيها عمر اهل إيلياء على الأمان لأنفسهم واموالهم وكنائسهم وشعائرهم ، وفيما يلى نص تلك الوثيقة المعروفة «بالعهدة العمرية»:

«بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما اعطى عبد الله امير المؤمنين عمر اهل



القدس
هي القضية





إيليا من الأمان . اعطاهم امانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم ، مقيمها وبريها ، وسائر ملتها ، انها لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ولا ينتقص منها ، ولا من حدها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم ، ولا يسكن بايليا معهم أحد من اليهود . وعلى أهل إيليا ان يعطوا الجزية ، كما يعطى اهل المدائن ، وعلى أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله ، حتى يبلغوا مامنهم ، ومن اقام منهم فهو امن ، وعليه مثل ما على اهل إيليا من الجزية ، ومن احب من اهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلى بيعتهم وصليبهم ، فانهم آمنون على انفسهم وعلى بيعتهم وصليبهم حتى يبلغوا مامنهم ، ومن كانوا فيها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى أرضه ، فانه لا يؤخذ منه شيء حتى يحصد حصادهم .

وعلى ما فى هذا الكتاب ، عهد الله ، وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين ، اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .

شهد بذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن ابى سفيان» .

ولعل من أهم الملاحظات حول «العهدة العمرية» . الى جانب كونها تفيض تسامحا وترفعا عن الصغائر ، واحترام انسانية الانسان حتى فى ظل الحروب وعنفها وصفاتها المفجعة ، ان أهـــل القـدس من الفلســطينيين (المسيحيين) اعربوا للخليفة العظيم عمر بن الخطاب عن رغبتهم فى عدم السماح لليهود بسكنى القدس ، فكان أن استجاب عمر لهذه الرغبة ، وهذا يثبت ان القدس لم تكن يهودية عندما دخلها المسلمون . وأن تاريخهم المزعوم فى فلسطين ليس إلا تاريخ غزاة طارئين .

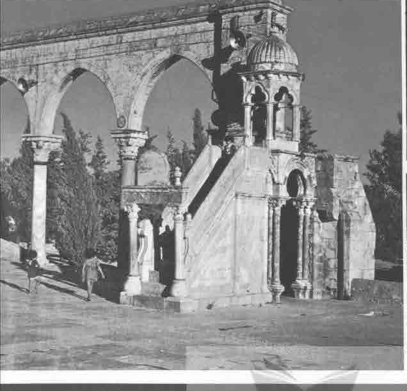
ومن الملاحظ هنا ، أن اسم «أورشليم» قد تغير فى ظل الحكم الاسلامى ، فقد أصبح اسمها بعد أن دخلها عمر ، القدس أو بيت المقدس ، اى البيت المطهر ، الذى يتطهر فيه المسلمون من ذنوبهم .

وقد تعاقبت على المدينة كما على فلسطين ، كما على بلاد الشام ، عهود الخلفـــاء الراشـــدين ، فالأمويـــين فالعباسيين ، ثم عهد الأتراك العثمانيين وتوالى عليها حكام وولاة من اجناس مختلفة وانتماءات متباينة (فاطميين وإخشيديين وطولونيين .. الخ) ، لكن القدس ، بقيت مدينة عربية صافية ، تهفو اليها نفوس المسلمين وعقولهم فى مشارق الأرض ومغاربها ، لأنها مع دخول الاسلام اليها ، وتشييد المسجد الاقصى فيها ، اصبحت اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وحتى فى ظل الحكـــم الصليبى الأجنبى الذى عمر اكثر مما عمرت دويلة اليهود القديمة (حكم الصليبيون حوالى ٢٠٠ سنة) ، فقد استمرت القدس مدينة عربية ، وظل اهلها العرب ، يمارسون حياتهم الاجتماعية فى معزل عن طابع النظام الاقطاعى الذى كان سمة الدولة الصليبية ، وقد عادت القدس الى اصحابها العرب على يد البطـل صلاح الدين الأيوبى ، وخرج الصليبيون الغزاة الطارئون من القدس وفلسطين وبلاد الشام فى نهاية الصراع .

موقع القدس

تقع القدس على سلسلة جبال ضمن هضبة تعلو عن سطح البحر نحوا من ثمانمائة متر ، وتحيط بالمدينة عدة جبال اشهرها جبل سكوبس أو جبل المشارف من الشمال ، وجبل المكبر من الجنوب ،







وجبل الطور او جبل الزيتون من الشرق ، وجبل صهيون من الغرب . وتقع القدس القديمة (التاريخية) ضمن سور يحيط بها من جميع الجهات ويبلغ طوله نحوا من اربعة كيلو مترات ، وارتفاعه نحوا من اثنى عشر مترا ، وللسور سبعة ابواب كبيرة مفتوحة ، يدخل الناس منها الى المدينة من نواحيها المختلفة ، ومن اشهر هذه الأبواب ، باب العمود من الشمال ، وباب المغاربة من الجنوب ، وباب سان ستيفان من الشرق ، وباب الخليل من الغرب . وللسور باب ثامن هو الباب الذهبى الذى يقع فى الجهة الشرقية ، إلا انه غير مستخدم منذ فترة بعيدة .

ومعظم أجزاء السور الحالى للقدس ، من بناء السلطان العثمانى سليمان القانونى ، وقد دامت اعمال البناء فى السور مدة خمس سنوات وقد بلغت مساحة الأرض التى تحتلها القدس حتى عام ١٩٤٨ اى قبيل قيام الكيان الصهيونى ، ما يزيد قليـــلا على ٣١ كيلو مترا مربعا ، وتبلغ مساحة «القدس القديمـــة» ٩٢٧ دونمـا (أو كيلو مترا مربعا) اما بالنسبة لتملك اليهود فى المدينة المقدسة ، فحتى عام ١٩٤٨ ، لم يكن اليهود قد تملكوا بفعل سياسة الاستعمار البريطانى فى فلسطين ، اكثر من خمسة الاف دونم من اصل ثلاثين الف دونم ، اى ١٧ بالمائة من مساحة المدينة . وبمعنى اخر فان ٢٥ الف دونم من ارض القدس ، اى ما يوازى ٨٣ بالمائة من مساحتها ، كان املاكا عربية ، إلا ان سياسة مصادرة الأراضى التى درجت عليها حكومات العدو الصهيونى المتعاقبة ، قلصت هذه المساحة الى درجة لا يستهان بها ، وسياسة مصادرة الأراضى العربية مستمرة كل يوم كما تحمل لنا الانباء وتقارير الاخبار .

وقد تمكن اليهـــود بمســـاعدة البريطانيين من الاستيلاء على حوالى عشرين الف دونم من أراضى العرب فيما يسمى بالقدس الحديثة ، اما ما تملكوه فى القدس القديمة فلم يزد على أربعين دونما ، اى ٤ بالمائة من مساحتها ، وتقع هذه ضمن «الحى اليهودى» فى الجهة الجنوبية ، وبعض الاحياء الأخرى ، ولا يملك اليهود من اراضى «الحى اليهودى» نفسه ومن مبانيه سوى جزء صغير لا يتجاوز ما نسبته ١٥ بالمائة ، إذ أن ٨٥ بالمائة من تلك الحى هى املاك تابعة للوقف الاسلامى .

ويمكن تحديد ملكية اليهود فى القدس حتى عام ١٩٤٨ على الشكل التالى :

- القدس الحديثة : ١٧ بالمائة من مساحة مقدارها ٣٠ الف دونم .
- القدس القديمة : ٤ بالمائة من مساحة مقدارها ٩٢٧ دونما .
- فى الحى اليهودى : ١٥ بالمائة من مساحة مقدارها ٣٠ دونما .

وقد جاءت شهرة القدس من اماكنها المقدسة ، وفى مقدمتها الحرم الشريف الذى يضم المسجد الاقصى ومسجد الصخرة ، وهو يقع فى الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة القديمة ، وفى القدس مساجد اسلامية اخرى يبلغ تعدادها ٣٥ مسجدا ، كما ان فيها مقابر اثرية مهمة ، وزوايا ، وفيها ركن البراق الشريف وغير ذلك كثير .

هذا بالنسبة للمقدسات الاسلامية ، اما بالنسبة للمسيحيين ففى القدس من مقدساتهم كنيسة القيامة التى تقع وسط المدينة والتى تشمل على درب (او طريق) الآلام ، وكنيسة الجسمانية ، وكنائس واديرة ومقابر اخرى عديدة تملكها الطوائف المسيحية المختلفة .

واما اليهود ، الذين يزعمون اليوم ان



العمارة الاسلامية فى عهد المماليك

المسجد الاقصى وسط مبانى المدينة

القدس [illegible] اللقطة من فوق جبل الزيتون



القدس هي القضية

القدس مدينتهم المقدسة ، فانهم لا يملكون اية آثار دينية أو غيرها فى المدينة كما قدمنا ، وكل ما ينسبونه الى انفسهم فيها ، هو الحائط الغربى للحرم الشريف الذى هو ملك اسلامى ، ويزعمون انه احد جدران هيكل سليمان ، وقد عطف المسلمون عليهم لما بكوا وندبوا طويلا زاعمين أن الحائط لهم ، فسمحوا لهم بزيارة ذلك الحائط والبكاء عند القسم الجنوبى منه .

اما الحقيقة التاريخية البارزة ، فهى ان الحائط الغربى للمسجد الأقصى لا يمت باية صلة لهيكل سليمان ، لأن ذلك الهيكل تعرض للهدم مرتين ولم يبق منه اى اثر . والدليل على ذلك أن الاسرائيليين اخفقوا برغم جميع الحفريات التى اجروها فى القدس وتحت الحائط الغربى للمسجد الأقصى وجنبات أخرى من المسجد ، فى العثور على أى اثر لهيكل سليمان هذا ، وكل ما كان لليهود فى القدس قبل رحيل الانكليز عن فلسطين يتركز فيما يسمى بالحى اليهودى ، وهو عبارة عن بعض كنس وبيوت دينية ، وجميعها حديثة العهد وغير اثرية ، واكثرها يقتصر على غرف فى منازل عربية مؤجرة لهم ، كما لليهود بعض المقابر فى «القدس القديمة» ، ومنها ما يقع على أرض اسلامية مؤجرة لهم بعقود إيجار رسمية ، وهذه ايضا اشارة الى تسامح المسلمين مع اليهود فى العصور الغابرة ، وقبل اغتصابهم فلسطين ، ويبقى أن نشير الى عدد سكان المدينة المقدسة ، حسب احصاءات عام ١٩٤٨ ، حيث كان سكان القدس قد بلغوا ١٦٠ الفا ، نصفهم من اليهود ، وقد تنامى عدد اليهود فى القدس نتيجة للهجرة اليهودية من الغرب بصورة خاصة الى فلسطين المحتلة ، وخاصة بعد صدور وعد بلفور ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى فى عام ١٩١٨ .

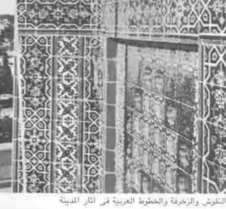
اما قبل ذلك ، وفى النصف الثانى من القرن السابع عشر على وجه التحديد فلم يكن عدد اليهود فى مدينة القدس اكثر من ١٥٠ شخصا وفى أوائل القرن الثانى عشر (١١٧٠ ميلادية) لم يكن فى المدينة المقدسة غير يهودى واحد .

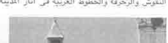
تهويد القدس

واخر الفصول اليهودية فى القدس ، كان اقدام حكومة مناحيم بيغن على اعلان قرار بضم القدس الى الكيان الصهيونى ، وجعلها عاصمة «رسمية وأبدية لاسرائيل» ، وقد صادق الكنيست (البرلمان) الصهيونى على هذا القرار يوم الاربعاء الموافق ٣٠ تموز (يوليو) من العام الماضى ١٩٨٠ .

وقد نص «قانون» ضم القدس الذى اطلق عليه الصهاينة اسم «قانون القدس» على ما يلى :

١ ـ ان القدس الموحدة هى عاصمة





النقوش والزخرفة والخطوط العربية فى آثار المدينة

الصخرة المشرفة



مباني المدينة العربية

اسرائيل .

٢ ـ ان القدس هى مقر رئيس الدولة والكنيست والحكومة والمحكمة العليا .

٣ ـ ان الأماكن المقدسة سيجرى حمايتها من التدنيس والضرر ، أو أى شىء يمكن أن يؤثر على الوصول الحر لأتباع كافة الديانات الى الأماكن المقدسة ، أو على مشاعرهم تجاه هذه الأماكن .

٤ ـ ان الحكومة (الاسرائيلية) ستشرف على تطوير وتنمية القدس وازدهار سكانها (!!) بتخصيص أموال خاصة لذلك بما فيها منحة سنوية خاصة لبلديتها بموافقة اللجنة المالية فى الكنيست .

إن هذا القرار الصهيونى ، يعنى ببساطة تهويد القدس وجعلها عاصمة للكيان الصهيونى ، ويعنى فيما يعنى أن القدس سوف تفرغ من سكانها العرب الذين مايزالون فيها (حوالى ٨٠ الف حاليا) ، وان الأماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية ستهدم وتصبح اثرا بعد عين ، وان هيكل سليمان (الهيكل الثالث) سيبنى مكان المسجد الأقصى وعلى انقاضه .

أما ما جاء فى قرار التهويد من حديث عن احترام اماكن العبادة لاتباع كافة الديانات ، فهو مجرد لغو لا ينطوى على اى معنى فعلى او حقيقى ، لأن الأساس فى «قانون القدس» وفى الصهيونية ، هو اقامة دولة يهودية خالصة فى فلسطين المحتلة ، واعتبار القدس عاصمة لهذا الكيان ، ومن هنا يمكن ان نفهم قول «بن غوريـــون» أول رئيس وزراء صهيونى : «انه لا معنى لاسرائيل بدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون الهيكل» . فالغاية اذن هى القدس أولا وقبل كل شىء ، والهيكل بعد ذلك ، ومادام اليهود لم يبنوا الهيكل ، فان يهوديتهم لا تكتمل و «دولتهم» لا تعتبر قائمة من الوجهة النظرية والعقائدية ، ولذلك ، فان «فصل» ضم القدس ، لن يكون الفصل الأخير فى المدينة ، فهناك فصلان آخران هما : طرد جميع العرب من القدس ، وهذا ما يجرى حاليا عن طريق مصادرة أراضيهم ودفعهم الى الهجرة ، ثم هدم الأماكن الاسلامية والمسيحية المقدسة وقيام هيكل سليمان من جديد مكان المسجد الأقصى .

ولأن القدس اختصاراً هى «القضية» ، ولأن الصراع على القدس هو الصراع العربى ـ الصهيونى بكل معانيه وابعاده التاريخية والحضارية والسياسية والدينية ، ولأن فى الحديث عن القدس عودة الىجذور هذا الصراع ... ولكى لا ننسى فى زحمة المتاهات اليومية ، القضية الأساسية ، عدنا الى طرح قضية القدس ـ أى القضية العربية ـ للتذكير بها ، لأن «الذكرى تنفع المؤمنين» .

عصام شريح

العم زيدان

محمد البساطي

عاد العم زيدان .
وقف امام البيت المهدم ، وانزل الخرج عن ظهر الحمارة . كان بيتاً بلا صاحب يبدو كالخرابة ، بلا سقف أو أبواب .
قالت امى : «هو .. هو عمك . له الآن ذقن طويلة وعباءة» .
قلت : ولم لا ياتى ليقيم عندنا .

كانت تجلس امام الموقد تنفخ فى النار وعيناها تدمعان من الدخان .
قالت انه رحل عندما كنت احبو . اخذ الفلوس من جدى وسافر لياتى بالشعير ولم يعد .
انهم ايضاً فى البيت لم يتحدثوا عنه طوال هذه السنوات . كان جدى – حين ياتى ما يذكرهم به – يتجهم فجاة وينتابه السعال .

وقفت امام البيت المهدم . كان هو فى الداخل يزيح الأحجار المتساقطة جانباً باحدى الحجرات ، والتفت ورائى ، واشار لى ان ادخل . وجريت عائداً الى البيت . ورأيته مرة اخرى وكان خارجاً ، وأراد ان يعبر القناة الجافة امام البيت وانحنى ونقل ساقى الحمارة الأماميتين الى الشاطىء الآخر ، وقفزت الحمارة . كنت فوق سطح بيتنا ، وهبطت مسرعاً ، وجريت وراءه . كانت الحمارة تجنح الى الطريق وتحتك بالأشجار . وقلت :
– اهى عمياء ؟
– اوما صامتاً . وكان يحدق فى وجهى وسالنى :
– اتعرفنى ؟
– انت العم زيدان .

– ومن قال لك . اهو جدك ؟
– جدى لا يقول ، راك ابى وانت قادم . ولماذا اشتريتها ؟
– اهو الذى يناديك ؟
والتفت . ورأيت ابى امام بيتنا يلوح لى . وعدت جرياً .
طوح بى ابى فى عنف ، وسقطت بين ارجل البهائم . ورايته وانا ازحف مبتعداً ينحنى على الأرض ، وسمعت صياح جدى :
– اضربه ..
ثم رايت ابى قادماً وبيده فرع شجرة ، وقفزت الى جدار الحوش ، وتسلقت عريشة البهائم ، وصاحت امى وجرت نحونا وجذبت ابى بعيداً . وزمجر ابى :
– لو رايتك تحدث هذا الرجل مرة اخرى !!
جففت امى الجرح فى راسى بتراب الفرن ، وسحبتنى من يدى الى الحجرة .

● ● ●

كنت انام وجدى فى حجرة واحدة . وكانت نوبات السعال تنتابه اثناء الليل . ووضعت امى بجوارى «قلة» ماء . وحين



تزداد حدة النوبة ويصبح عاجزا عن مناداتى .. كنت انتبه فجاة من النعاس . وبعد جرعة الماء كان يهدأ وأعود لنومى .

وفى الصباح الباكر يحمله ابى فى عباءته الصوفية ويخرج به الى الحوش حيث اعد له فراشا من القش . وحين يكون الجو دافئا يخرج به الى المصطبة . كان يبدو صغيرا على كتف ابى ، وقد تعرت ساقاه الضعيفتان وبدتا شديدتى النحول . كانت امى ايضا تحمله فى سهولة . ترفعه من تحت أبطيه وتجذبه بعيدا عن القش الذى بلله اثناء جلوسه فى الحوش وتنزع اللفافة المبتلة حول فخذيه ، وتضع اخرى جافة . ويدس جدى وجهه فى الجدار . كان يحس بى حين اقترب ، ويهمس لامى دون ان التفت : «الولد» ..

وتستدير امى وتنهرنى لأبتعد .

كف جدى عن الخروج الى المصطبة منذ جاء العم زيدان . كان يجلس فى ركن الحوش وبجواره وعاء النار ، وعصا طويلة يطرد بها الفراخ والبط التى تقترب منه ، والكلاب التى تتسلل احيانا من الخارج حين يكون فى غفوة وتتشمم وتلعق وجهه .

كان ينتبه على خطوات امى ، ويسألها عن الذين مروا بالبيت وسمع اصواتهم منذ قليل وحين يرانى امامه كان يقول :

ـ انظر .. اهو فلان الذى مر الآن ؟

واقول انه هو ..

ويغمض عينيه ، ويحكم العباءة حول جسده ، ويعود الى غفوته .

● ● ●

كان ابى يحمله فى الليل بعد العشاء الى المصطبة . ويبدو جدى لحظتها مبتهجا . كانت امى تجلس على عتبة الباب ، وأتمدد بجوارها . ويشير جدى الى الحقول الممتدة ويقول :

ـ كلها كانت بور .

ويقول ابى : اه .. بور

ويقول جدى : لو كنت اعرف لاشتريت يومها مائة فدان .. وكان معى النقود .. كنا عائدين من السودان ومعنا النقود .. واشترى عباس عشرين فدانا وجابر ايضا .. اه .. كان الفدان بملاليم .. خمسون قرشا .. ولا قطرة ماء .. من كان يعرف انهم سيحفرون الترعة بعدها .. قلت لهم ومن اين تنفقون عليها .. يكفى خمسة ..

ويقول ابى : خير وبركة ..

ويقول جدى : الحمد لله .

ويصمتان . ثم اسمع شخير جدى الهادىء . ويحمله ابى الى الداخل .

● ● ●

كانت المرة الأولى التى يتحدثان فيها عن العم زيدان ، وكان قد مر أسبوع على مجيئه ، وكنا نتناول العشاء فى الحوش.

قال جدى : أمازال هنا ؟

وقال أبى : آه هنا .

ـ وماذا جاء به ؟

ـ العلم عند الله .

ـ الم تلتق به ؟

ـ التقيت . من يومين . كان واقفا عند بقالة عبد الصمد .

كان صوتهما خافتا ، وعيونهما فى الطعام . وقال جدى :

ـ وفيم تحدثتما ؟

ـ لم نتحدث . اشتريت الدخان ومضيت .



العم زيدان

ـ ولماذا دكان عبد الصمد ؟
ـ لم أره إلا وأنا فى الدكان .
ـ ولم يقل شيئاً ؟
ـ أبداً . ظل ينظر إلى حتى خرجت .

● ● ●

لم يتحمل جدى أن يبتعد طويلا عن المصطبة . واعد له ابى «فرشة» بجوار باب الحوش الخارجى . كان يوارب الباب قليلا ، وتبدو عيناه وهو ينظر الى الحقول وكأنه يوشك على النعاس . وحين يكتشف ان خللا ما قد تسرب الى المنظر العريض الممتد امامه كان يلاحق أبى وامى بالسؤال ويتصيد المارة ويسالهم . وقد ظل اياماً ـ قبل عودة العم زيدان ـ يشير الى القناة العريضة بجوار حوض الذرة قائلا :

ـ لم يطلقوا المياه حتى الآن .. ماذا يفعل الدغيدى ؟

لم يهتم أبى وامى بما يقول . وكان يحدق فى وجهيهما متسائلا . كانت أرض الدغيدى تبعد مسافة ثلاثة أحواض ، وكانت تسحب مياهها من القناة .

وقال له أبى يوماً .. انه سأل الدغيدى والرجل يبحث عن انفار .

وغضب جدى : «وهل ضرورى ان تكون الأنفار من البلدة ؟ لو انفق قليلا وجاء بهم من بلدة أخرى ؟»

حملت أمى الشاى اليه بجوار الباب . كان مبتهجاً ـ وقد اكتشف أنهم فى فترة غيابه عن المصطبة ـ قطعوا شجرة التوت . كانت شجرة ضخمة كثيفة الأغصان بين حوضين فى مواجهتنا كان جدى يقول انها غريبة فى المكان وأن جذورها تمتد فى الحوض وتضعف الزرع . بدت رأسه من فتحة العباءة ملساء وكان يشير بيده قائلا لأمى :

ـ قطعوها أخيراً . انظرى .. كانوا يقولون انه لا يوجد ظل آخر بين الأحواض .

فى هذا اليوم بدا وكأنما نسى عودة العم زيدان . كان يضحك . وداعبنى بالعصا ، وحكى لنا وقت العشاء عن الأشجار الضخمة التى رآها فى السودان وكيف كانوا ينامون بين فروعها .

اكتشف جدى مكانى فوق السطح ـ وكنت اتمدد فى الصباح بين أكوام القش محدقاً الى البيت المهدم حيث يقيم العم زيدان ، وأراه هناك وسط الأحجار المتساقطة يجمع اشياءه فى ركن الحجرة قبل خروجه ـ رمقنى جدى طويلا حين هبطت من فوق السطح ، وأحسست بعينيه تتبعانى وأنا أعبر الحوش ، وزمجر عندما اقتربت منه وتناول العصا من جواره .

قال لأبى : خذ الولد معك .. لا تتركه هنا ..

● ● ●

كان وهج النار يضيء مدخل البيت المهدم . وقفت لحظة متردداً ثم دخلت . كان العم زيدان راقداً ووجهه قرب النار . وأشار الى حجر مسطح بجواره . وجلست . قال :

ـ انت ابراهيم ؟

كان يشبه جدى كثيراً . نفس الأنف المدبب . والعينان الصغيرتان الدامعتان والحاجبان الكثيفا الشعر ، وقال فى صوت هادىء :

ـ ايضربونك حين تاتى ؟

وضع قطع الخشب الصغيرة فى النار وكان الدخان ينساب خفيفا على وجهه :

ـ لك يدا ابيك الطويلتان .. وفمه الواسع .. اما يزال ينام والأرز فى فمه ؟

وصمت . كان يحدق فى وجهى وقال :

ـ ورأيت صندوق جدك ؟

وصمت مرة أخرى . ثم قال :

ـ الصندوق الأسود الكبير فى ركن المندرة . والقفل الأسود . ثلاث سنوات وهو يحمله على ظهره فى الأراضى البعيدة . الم يحك لك ؟ . أرأيت ما فى الصندوق ؟ الأزرار الصفراء بلون الذهب هل قال لك انها من الذهب ؟ وفوارغ الرصاص وشظايا القنابل . والنيشان البرونزى فى علبته السوداء . الم يخبرك كيف منحوه النيشان ؟ كان الجندى السودانى مختبئاً فوق الشجرة ، وقفز يريد قتل القائد الانجليزى ، فضربه جدك بالسونكى .

كان يحرك النار بطرف اصبعه ، وقلت اننى رأيت الصندوق .

ـ والنيشان ؟
ـ والنيشان .



ـ والأزرار ؟
ـ والأزرار .
ـ وفوارغ الرصاص ؟
ـ وفوارغ الرصاص .

ابتسم : والجندى الأسود فوق الشجرة ..

وضحك . واندفعت خارجاً .

● ● ●

قال جدى انه هناك .

وأمسك بذراع أبى مشيراً الى شجرة الجميز على النهر .

قال أبى .. انه رآه أيضاً .

ونظر من خلال الباب الموارب ، ثم استدار الى جدى . ونظر جدى اليه بعينين مرتعشتين وهمس :

ـ أمس كان هناك ايضاً .. وعاد من وسط الحقول فى مواجهتنا وعيناه طوال الوقت على البيت . ومر أمام الباب ، وكان موارباً ، وحدق فى وجهى ..

قال أبى : أتريد ان أنقلك بعيداً عن الباب ؟



ـ آه .

نقل أبى «الفرشة» الى ركن الحوش . وحمل جدى على كتفه . وقال جدى :

ـ سيقتلنى .. جاء ليقتلنى .

وضعه أبى على الفرشة ، ولفه بالعباءة . وقال جدى :

ـ اترك الولد . لا تاخذه معك .

● ● ●

قال أبى : انه ـ «العم زيدان» ـ أرسل من ثلاث سنوات رجالا الى جدى ، قابلوه فى الجامع ورفض جدى أن يتحدث معهم وتركهم ومضى .

قالت أمى : لم تخبرنى من قبل ؟

قال أبى : انه أيضا لم يعرف إلا اليوم حين قال له جدى .

قالت أمى : وماذا كانوا يريدون ؟

قال أبى : ان جدى لم يخبره .

كانا يتحدثـــان فى همس علـــى المصطبة . وكان جدى نائما فى الحجرة .

● ● ●

فى الليل يتدفق وهج النار أمام البيت المهدم . ويمتد الضوء الى منتصف الحوض المواجه .. انه العم زيدان قد عاد الى البيت . ويصمت جدى فجاة ، وينظر من فوق كتف أبى الى الضوء .

وتخف حدة العتمة فوق الحقول .. حتى تلك الأشجار على النهر كنت ألمح ظلها المعتم . وتهمس أمى فى صوت خافت :

ـ ويشعلها طوال الليل ..

لا أحد يسمعها غيرى . كنت راقدا ورأسى فوق ساقها .

● ● ●

فى الصباح الباكر كنت أرى العم زيدان من فوق السطح يمضى بحمارته الى شجرة الجميز ، ويخلع ملابسه منزويا خلف الشجرة ، وينحنى ساحبا الحمارة الى المياه . ويتطاير الرذاذ متألقا . كان يعبر النهر بقدميه سابحا مع التيار . وفى عودته كان يأتى مخترقا الحقول ورأسه عارية والشال مهدل على كتفه ، والحمارة تتعثر وراءه على حافة الحوض الرفيعة . ويرمقنى فى مكانى فوق السطح بنظرة ، ويبدو وهو يتقدم وكأنما سيقتحم البيت ، وأرى جدى فى ركن الحوش ينتبه فجاة من غفوته ـ وكأنما ميز زفرات الحمارة . ويحدق نحو باب الحوش مترقبا . ويمر العم زيدان بالبيت ، ويبتعد .

● ● ●

قال جدى : انه يسمعه فى الليل حين يمر خلف البيت الى الحقول . وسأل أبى عما يفعله هناك .

كان أبى يدفىء يديه فوق وهج النار . وظل صامتا .

وقال جدى : انه يسمعه أيضا حين يعود . ونظر الى وجه أبى متسائلا .

كان الجو باردا . ووضعت أمى لفة البردة الساخنة حول وسطه . وحمله أبى الى الحجرة . وفى الصباح ظل جدى فى الحجرة . وحملت أمى وعاء النار اليه .

● ● ●

صحوت فى الليل على صوت سعاله الحاد . ورأيته جالسا فى الفراش وقد سقطت العباءة عن جسده ، وبدا كتفه عاريا من فتحة الجلباب .

سألته ان كان يريد أن يشرب .

أشار لى أن أصمت . كان يلهث وقد رفع رأسه مترقبا . وسمعت صوتا فى الخارج أشبه بالرياح تلمس أطراف الزرع ، ثم بدا لى أنه صوت تنفس يلتصق بالنافذة . كنت أحدق الى جدى ثم غفوت .

وعندما دخل أبى الحجرة فى الصباح وجده ميتا .

● ● ●

جمع العم زيدان أشياءه ووضعها فى فتحتى الخرج . وكنت ممددا فوق السطح وكان الحوش مزدحما بالنساء والرجال يعدون للجنازة .

حمل العم زيدان الخرج . ووقف لحظة ساكنا مطرقا ، ثم استدار الى الخارج وسحب الحمارة وذهب .

محمد البساطى ـ القاهرة



ثمن الحرية .. كما عبر عنه الفنان الذى يحتل مكانة كبيرة فى تاريخ الفن

الفنان والاختيار

د. زينب عبد العزيز

تعتبر حياة الفنان الأسبانى فرانسسكو جويا من أخصب السير التى يتناولها النقاد ، ويرجع ذلك الى ما يحتله جويا من مكانة فى تاريخ الفن ، وإلى ما حققه من اضافات ، وخاصة الى الجرأة والوضوح اللذين راح يعبر بهما عن ارائه .

لقد عرف جويا بالقلق والمعاناة من كثرة ما تحتوى عليه حياته من عواصف درامية صاخبة ، وما اعتراها من متغيرات. فقلما جمع فنان من قبله بين عالم الخيال ، وجوانبه الشاعرية أو الخرافية ، وعالم التناقض والمحن ، بأبعاده الانسانية المتضاربه . إلا ان اهم ما يتضح من تلك السيرة الجامحة هى مواقف جويا الواضحة

التى كان يختارها بصرامة قاطعة .. مواقفه من نفسه ومن المجتمع ، وتحديد اهدافه بحسم ووضوح . ومهما تنوعت او تناقضت هذه المواقف وتغيرت ، إلا انه ظل دائما مرتبطا بارض اسبانيا التى اختلطت دماؤه بنبضاتها وعنف احداثها ..

عصره وتفرده

امتدت حياة جويا من عام ١٧٤٦ حتى عام ١٨٢٨ ، أى انه عاصر فترة تاريخية طاحنة ومميزة من تاريخ اسبانيا وحروبها ، الى جانب ما كانت تقاسيه من بطش محاكم التفتيش وشعوذة السحرة «اتاوات تفرضها العصابات .. وخلال هذه الأعوام وخضم احداثها ، صور جويا حوالى خمسمائة لوحة ، ومائتين وثمانين قطعة حفر ، وما يقرب من الالف رسم .. ولعل اول ما يلفت النظر فى هذه الأعمال التشكيلية هو التناقض العنيف : سواء فى اختيار الموضوع او فى الاسلوب . فما أشد الفرق شكلا وموضوعا ومعالجة بين لوحة « العائلة المالكة » واحدى لوحات «الرسوم السوداء» او لوحة «بائعة اللبن فى بوردو» .. إذ ان هذه الاعمال تبدو فى الوهلة الأولى ، وكأنها لثلاثة فنانين ينتمون الى ثلاث مدارس فنيه مختلفة . فلوحة «العائلة المالكة» تمثل مرحلة التفاصيل الشديدة والثياب الفاخرة التى تغلف اناس يقفون كالدمى .

ولوحات « الرسوم السوداء» تعكس الهلع النفسي الذى كان يعيشه الشعب الاسبانى انذاك ولوحة «بائعة اللبن فى بوردو» تمثل بساطة وحزنا فى التعبير لا يمت الى المرحلتين السابقتين بصلة . غير ان هذا الأختلاف الواضح لم يكن عفويا او مرتجلا ، وانما نتيجة لتحديد موقف جويا من نفسه ومن قضايا



الفنان الاسباني جويا



الأسباني فى وقت راحته

● لم يكن المرض وحده هو الدافع الحقيقي لتغيير موقف جويا

المجتمع الذى يعيش فيه .

الحلم الكبير

كان فرانشسكو جويا ، الفلاح المتبت ، يتطلع الى اضواء البلاط ويود الوصول الى لقب «فنان البلاط الملكي» ، بل لقد كان فى الواقع يحلم بأن يرقى الى لقب «رسام الملك» . ومن خلال هذا التحديد الواضح ، كرس جويا كل امكانياته ليصل الى تحقيق هدفه ـ حتى وإن لجأ الى المكر والدهاء ...

ولم يكن جويا قد اجتاز السابعة عشرة من عمره عندما اتخذ هذا القرار . فترك قريته ليذهب الى مدريد سيرا على الاقدام .. وذلك ليشترك فى المسابقة التى اعلنت عنها اكاديمية سان فرناندو ويفشل جويا . إلا ان ذلك لم يمنعه من الاستقرار فى العاصمة ليواصل محاولة تحقيق حلمه الكبير وفى خضم احداث العاصمة وتياراتها المتصارعة ، تعرف جويا الى الفنان بايو ، وكان فى بداية مجده آنذاك . وسرعان ما تآلف الفنانان رغم فارق السن بينهما بل ورغم فارق المكانة الاجتماعية . ولعل اكثر ما جمع بينهما هو ذات الهدف إذ كان بايو ايضا يصوب نظراته نحو البلاط .

ثم سافر جويا الى ايطاليا ليشترك فى مسابقة اكاديمية الفنون الجميلة فى مدينة بارم . وكانت هذه الجائزة بمثابة جواز مرور للفنان ينفذ بفضله الى الطبقات العليا . وللمرة الثانية يلاحقه الفشل . فعاد الى وطنه ليجد استاذه وصديقه بايو قد اصبح من رسامى البلاط الملكى فنشط تفكير جويا ... وما هى إلا فترة وجيزة حتى كان قد تزوج من شقيقة زميله ، الآنسة جوزيفا بايو ..

فنان البلاط

وبهذه الزيجة تم لجويا تدعيم مكانته الفنية والاجتماعية ، كما ضمن لنفسه منفذا الى البلاط وما كاد يصل الى الثلاثين من عمره حتى بدا الحلم يتسم له بمعاونة شقيق زوجته . فقد اسند اليه بايو مهمة القيام بعمل مجموعة من تصميمات اللوحات الخاصة بالسجاد للمشاغل الملكية . وفرح جويا بهذه المهمة التى رأى فيها البداية الأكيدة لما يرمى إليه ..

وحتى ذلك الحين ، كانت الموضوعات الفرنسية والاسطورية التقليدية هى السائدة فى صناعة السجاد الملكى . إلا ان الملك شارل الثالث كان قد قرر عام ١٧٧٣ تغيير هذا النمط الغريب عن الحياة الاسبانية ، وطالب الفنانين بتنفيذ موضوعات تعبر عن الحياة فى اسبانيا ، ولأول مرة بدأ إيقاع الحياة اليومية يتدفق على فن السجاد بملامحه البراقة الزاهية . وراح جويا يعبر عن مظاهر المرح والطرب فى حياة اهل بلده فتوالت رسومه التى تعبر عن الاعياد والاوبرات الخفيفة والحفلات ومصارعة الثيران .

وطوال سبعة عشر عاما ، صور جويا ما يقرب من الستين لوحة مستوحاة من ذلك الجانب الشعبى البهيج . وساعدت هذه الفترة على ذيوع صيته فى الأوساط الارستقراطية وانهالت عليه الطلبات لعمل بورتريهات لأفراد الطبقة الارستقراطية .

نجاح مبكر ووافر

وتدفق الذهب بين تلك الأصابع الخشنة المتبت ، وانعكست ملامح الثراء على مظهره وعلى ايقاع معيشته . فاشترى جويا فيلا محاطة بحديقة شاسعة ، وعربة تجرها الجياد ، وانغمس فى حياة البذخ والتظاهر ، بينما كانت فرشاته تواصل انغماسها فى خدمة الطبقة الحاكمة والبلاط وفقا لما رسمه لنفسه من خطط واهداف ..

وماهى إلا سنوات حتى تم انتخابه بالاجماع عضوا فى الاكاديمية الاسبانية . ثم عين مديرا لها . وماكاد يبلغ الاربعين من عمره حتى حصل على لقب «رسام الملك» وبحصوله على هذا اللقب اصبح مسموحا له بان يخط ملامح صاحب الجلالة بفرشاته ؛ ومع تحقيق ذلك الحلم الذى راوده منذ بداية حياته ، بدأ جويا يتساءل عن جدوى ذلك الحلم وعما حققه له من اهداف

الكشف والادانة

فلقد اتاحت الظروف لجويا ، بتداخله فى البلاط ، ان يطلع على ما يدور فيه من خبايا .. فخلف تلك المظاهر البراقة ، كانت النفوس تتآكل وتتطاحن فى عنف لا هوادة ولا رحمة فيه ، بينما المؤامرات تحاك خلسة فى سكون وثبات .. وامتدت اسبانيا باحشائها الدامية امام عينيه .. امتدت بكل ماتحمله من مكائد وشعوذة وغموض وبكل ما تحويه فى جوفها من مؤامرات وخدع بينما الشعب غارق فى ظلمات بعض رجال الدين ورعب محاكم التفتيش وسيطرة السحره . وقد وصل عدد رجال الدين هؤلاء فى تلك الفترة الى اكثر من مائة الف شخص ، اكتظت بهم جدران اكثر من ثلاثمائة دير اسبانى . وبخلاف تداخلهم فى المجالات السياسية وتياراتها ، كان الانحلال والجهل والاستبداد متفشيا بينهم لدرجة انه اصبح منبعا لحركة ادبية بأسرها ، تقوم اساسا ضد شعوذة تلك الوجوه وغموض اقنعتها الزائفة ..

آفاق جديدة

واصيب جويا بالمرض .. أصيب بشلل نصفى فى الجانب الايمن ارقده طوال عام ١٧٩٣ يصارع الموت يائسا ، ويعانى من ذلك المرض الذى ادى الى فقدانه حاسة السمع تماما . واضطره الصمم الى الاتصال بالآخرين عن طريق الكتابة او الاشارة . إلا أن ذلك الصمت الرهيب الذى احتواه قد فتح له عالم الاصداء .. اصداء اليمة تتردد فى اغواره وتفصل مابين العالم الخارجى وبين دنياه . ويقول كلود روا ، أحد النقاد الفرنسيين ، عن هذه الفترة من حياة جويا : « إن ذلك المرض ، والشعور الجسمانى بالموت ، قد فتحا آفاقا جديدة امام جويا ، الرسام الملكى والشاب الوصولى الجسور .. آفاق كان يرفض النظر إليها حتى ذلك الحين » ..

وقد ازدادت هذه الآفاق عمقا بعد كل التساؤلات التى راح يطرحها على نفسه وهو يواجه الموت .. ذلك الموت الذى يترقبه وهو يختم بنهايته كل المخلوقات .. فما الذى يبقى بعد الموت سوى حقيقة ما انجزه الانسان ؟

آلام الشعب

لم يكن المرض وحده هو الدافع الحقيقى لتغيير موقف جويا ، وإنما تداخل الاحداث التى عاشها بكل ما اعتمل فى اعماق نفس لا تهدأ ولا تكف عن التساؤل .. وقرر جويا النزول الى جحيم الشعب الاسبانى .. النزول الى ظلمات شعب يعانى ولا يعرف الخلاص ، وانطلق الى الطريق

جويا

ملامح من حياة الفنان الأسباني

.. انطلق ليدور فى الأزقة القائمة حيث شاهد السحرة وهم يمارسون طقوسهم ، والمساجين او المعتقلين السياسيين وهم يعذبون ، والمحكوم عليهم وهم يعدمون علانية وسط احتفالات صاخبة .. وعايش اليأس والصرخات البريئة والتهديدات ، وامتزج بكل ما يمكن للأزقة المظلمة المتداخلة ان تحويه من مآس ..

ما اشد الفرق بين الواقع الشعبى البراق الذى صوره فى المسجيات ، والواقع الشعبى الداكن السواد الذى يراه ملطخا بالدماء .. كم عبر فى لوحاته السابقة عن البسطاء وعن حياتهم اليومية وكم زخرفها فى رسوم السجاد .. لكنه لم ير انذاك سوى الجانب البهيج الذى يليق بجدران البلاط. اما وقد اختلط بالمحن عن قرب وارتفعت الصرخات فى جوفه ، فكيف لا يدافع عن الحرية ضد القهر ؟ وكيف لا يدين كل ما يدور حوله من استعباد ؟ كيف لا يدافع عن النور ويحاول بثه ليبدد الجهل والظلمات ؟!

واتسمت رسومه ولوحاته بشحنات جديدة الاسلوب .. اصبحت تحمل طابع الكشف والادانة الى جانب عنصر التوعية . فبعد ان كانت اعماله تبدو كرسوم تسجيلية ، تعبر عن الشخصيات من خارجها المنمق ، وفقا لطلباتها ،



رحلة جويا فى مدريد .. من أهم لوحاته الزيتية

جزء من إحدى لوحاته التى اتسمت بشحنات جديدة الاسلوب

راح يصور ما يراه وما يعايشه من معاناة ، عبر انفعالات تهز اعماقه الهائمة .

تنوع الأساليب

وبسبب تغيير مواقفه واهدافه ، يعد جويا من "الفنانين الذين لجاوا إلى مجالات واساليب مختلفة للتعبير عن افكارهم ومشاعرهم . فقد اختار جويا التصوير الزيتى ، وهو يمثل الجانب الاكبر من اعماله ، كما استخدم الحفر والرسم بخلاف الفرسك (الرسم على الحائط) . وتنوع هذه المجالات مرتبط عنده بالغايات التى كان يحددها لنفسه . وعندما اختار التعبير عن تناقضات المجتمع الاسباني ومعاناته ، لجا جويا فى بادىء الامر الى اسلوب الكاريكاتير كسلاح ساخر ، يكشف به من خلال الضحكة عما يعيشه الناس من زيف . وهنا تكمن القيمة الحقيقية لرسوم جويا المحفورة ، التى لجات الى السخرية عبر الألام للكشف والتعرية او للأدانة والاتهام . إذ أن قيمة فن الكاريكاتير ، مثله مثل بقية الفنون التشكيلية ، تكمن اساسا فيما يحمله من معان فكرية وانسانية تدفع الى التأمل . .

مجموعة «النزوات»

واول مجموعة من الحفر رسمها جويا فيما بين ١٧٩٦و١٧٩٩ ، بعنوان «النزوات» ، وعددها اثنان وثمانون لوحة ، اصابت الجمهور بالفجيعة والاعجاب فى ان واحد ، فجعته بكل ما تتضمنه من موضوعات تكشف عن خبايا الاحداث والحكام بجراة فريدة ، كما اثارت الاعجاب بما تتضمنه من شحنة فنيه من حيث الاسلوب والمعالجة ، فلم يكن من الحفر ، حتى ذلك الحين يستخدم إلا فى طباعة رسوم فرنسية الطابع ، تفيض بالشاعرية او بالرومانسية الحالمة . فكانت اول مجموعة حفر تتعرض للمتناقضات الاجتماعية بخطوط مبسطة سريعة الشحنات . ولاول مرة عرف فن الحفر الاسبانى عالم القبح والبشاعة .

وتنقسم هذه المجموعة الى نوعين : احدهما يتعلق بالجانب الأخلاقى ، والأخر بالباب الخيالي ، فمن جهة راح جويا يعبر عن الحياة الاسرية وعما هو سائد فيها انذاك من غش وخداع ، ومن جهة أخرى تعرض لأضغاث احلام بكل ما تحويه من رموز ، الى جانب تعرضه الى عالم السحر والشعوذة . ولا يربط بين النوعين سوى كره جويا للاستبداد الاجتماعى والسياسى والدينى وبغضه للتقليديات الزائفة .

وسرعان ما خشى جويا ان يتعرض لبطش محاكم التفتيش فسحب ما تبقى من بيعها بعد صدورها بيومين . إلا ان طبقات هذه المجموعة توالت فيما بعد واصبحت بمثابة الغذاء الفنى والاجتماعى والفلسفى لكثير من فنانى القرن التاسع عشر . وبعد مجموعة «النزوات» هذه ، اصدر مجموعات اخرى منها «ويلات الحرب» و «مجزرة الثيران» ثم «متفرقات» . ولعل نجاح هذه الرسوم يرجع الى ما فيهم من اضافة فى مجال الحفر وهى : عنصر الخيال . إذ ان جويا يربط فيها بين ماضى اسبانيا الضاحك وبين قسوة الحاضر بماسيه وبين اشخاص ادت بهم الظروف الاجتماعية والسياسية الى اسوا مراتب الحيوانية .. وإن كان لهذه الضحكات والمواقف التى تثيرها هذه الرسوم رنين قوى يهز الاعماق ويفوق البكاء ، فذلك يرجع إلى انها تعبر عن رجفات المواجهة .. فقد اختار جويا التعبير عن امراض بلده وامراض عصره من الداخل مما اضفى على رؤاه قتامة ومرارة ..

ويلات الحرب

ولعل اعنف واعمق التجارب التى عايشها جويا واختار التعبير عنها هى حرب التحرير ضد نابليون فقد هبت رياح الحرب والثورة على اسبانيا واجتاحت مدنها بكل ما تحويه من تخلف ففى الثانى من شهر مايو ١٨٠٨ ثارت مدريد باسرها وتبعتها اسبانيا بارجائها .. واندلعت ويلات الحرب والقهر طوال ستة اعوام دامية . وعلى الرغم من ان جويا كان – فى بادىء الأمر – يصور بعض كبار شخصيات قوات الاحتلال ، غير عابىء بحقيقة تواجدها على ارضه ، إلا انه سرعان ما اتخذ نفس القرار الذى سبق ان اتخذه من البلاط عندما اطلع على خباياه .. واتجه الى التعبير عن الجحيم الذى يعيشه الشعب الاسبانى .

وبدا جويا الغاضب الحزين يخلد ذكرى الثانى والثالث من مايو ، ذكرى تلك الليلة الرهيبة التى تم خلالها اعدام ثلاثة واربعين من الثوار الوطنيين .. وانطلق بكل امكانياته الفنية والفكرية والانسانية ليعبر عن ويلات الحرب وما تخلفه من اشلاء وسط صرخات الموت والعدم ..

الرسوم السوداء

وتلاحمت الماسى فى حياة جويا ومن حوله .. فبينما أهوال الحرب مازالت تتردد فى الاذهان باصدائها الحزينة ، توفيت زوجته وكان فى السبعين من عمره ، فتجرد من كل شيء يمتلكه ، وكانه يحيط نفسه بعزلة ارادية . فابتعد عن كل المحيطين به لينزوى وحيدا فى فيلا اشتراها بعيدا عن المدينة ، عرفت باسم « لا كونيتا دل سوردو » (فيلا الاصم) . وبين هذه الجدران الصماء راح جويا يطلق العنان لتفجرات اختزنها وتراكمت فى اعماقه ..

وكانت ثمرة هذه العزلة الارادية اربعة عشر رسما حائطيا ضخما ، ستة منها فى غرفة الطعام بالدور الأرضى ، وثمانية بقاعة الجلوس بالطابق العلوى وعرفت هذه الاعمال باسم «الرسوم السوداء» . لما تعكسه من هلع ورهبة تحيط بوجوه متشحه بالسواد .. والسواد هنا بكل ابعاده ، فهو ينعكس من واقع الشخصيات ومما تعبر عنه ، مثلما ينعكس من اعماقها حتى وان ضحكت وهى ملطخة بالدماء ..

وانتكست الثورة الاسبانية ، وزهد جويا من الحياة فى بلده . فاهدى مسكنه الى حفيده وطلب من السلطات السماح له بالسفر الى فرنسا واستقر فترة فى مدينة بوردو ، ثم انتقل الى باريس حيث عاش باعوامه الثمانين فى شبه عزله ، لا يقابل سوى بعض الأسبان المقيمين بها ، مكرسا كل وقته للرسم والتصوير .

.. الثورة الرومانسية

وكم كانت سعادته وهو يعايش احداث الثورة الرومانسية عن قرب ، ويرى انطلاقتها عام ١٨٢٤ ، وتحرير الفن التشكيلي من القيود الاكاديمية الثابته . وتضيف هذه الثورة الفنية بصيصا من النور فى ظلمات حياة من كان سباقا عليها بحوالى خمس وعشرين عاما ، عندما قام بتصوير الرسوم الحائطية للكنيسة ، بنفس ذلك الاسلوب المتحرر من القواعد الجامدة الذى استخدمه ديلاكروا ابتداء من لوحة «دانتى وفرجيل فى الجحيم» . لقد حقق جويا بعمله المتواصل وفى الظروف التى عاش تحت وطاتها اوسع تطور استطاع فنان ان يقوم به فى عصره .

فقد انغمس جويا فى الحياة وارتشف من اعماقها بنهم وصدق . وارتشف من كل ما فيها من متناقضات بلا خوف وبلا تردد ليخلق عالما فنيا يحمل بصماته .. عالم هو فى الواقع خلاصة زمنه المعاصر له ، من خلال رؤيته الذاتية ومواقفه المحددة . ويبدو موته فى فرنسا وكانه يرمز الى ان جويا قد اسلم المشعل لمن يستكمل الطريق من بعده .. فماهى إلا بضعة اعوام حتى كان التاثيريون يعتبرونه استاذا لهم ، بفضل كل ما اضافه فى مجالى الاسلوب والمضمون . ففى مجال الاسلوب ، تبدو اعماله كعرض لتطور فن التصوير . فمن الكلاسيكية المنمقة ، المتزنة ، المرادفة لهيكل البلاط ، وصل جويا بانطلاقته وتحرره الى فتح افق من أفاق المذهب الرومانسى بل لقد لامس مذهب التاثيرية حينما تجرا على استخدام اللون الأسود ، الذى كانت تحرمه الاكاديميات من قبل ، واصبحت اعماله المسماة بالرسوم السوداء تمثل إحدى مراحل تطور الفن التشكيلى . اما فى عالم المضمون فقد ادخل جويا قطاعا من المجتمع بكل ما يحمله من تناقضات وصراع .. بل لقد ادخل كل ما بهذا القطاع الهائل من احلام وأمال وخرافات ، مازجا عالم الواقع بالخيال ، او مخترقا حدود ذلك الواقع ليصل الى مابعد الرؤية الملموسة والتعبير عن عالم المجهول .

ومهما اختلفت هذه الاعمال وتنوعت ، فان الرابط الاساسى بينها ، عبر اختيار جويا لمواقفه يظل دائما الانسان .. الانسان الاسباني بكل ما يعتمل فيه من سعادة وألام .

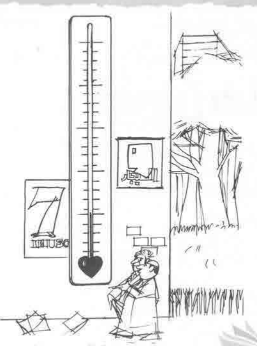
د. زينب عبدالعزيز



ضحكات الشهر
صلاح الليثي
الحر
... !!
SALE
تخفيض كبير في درجة ...
الحرارة !!
دار مصلحة الارصاد
بدون كلام .. !!
بدون كلام .. !!



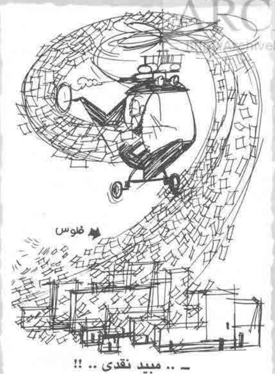
ـ .. دير بالك على السيارات السريعة
وابعد عن خط الاستواء .. !!



ـ .. لقياس درجة حرارة الحب .. !!



بدون كلام .. !!



ـ .. مبيد نقدى .. !!

محاكمة أدبية

جبران خليل جبران

لماذا بدأ ثائرًا.. وانتهى مهادنًا للاستعمار؟

بقلم: حارث طه الراوي

بعد نصف قرن مضى على رحيل «جبران» من عالمنا .. تطرح بعض التساؤلات نفسها :

لماذا لم يندد بوعد بلفور عام ١٩١٧ ؟

ولماذا لم يندد بالاستعمار البريطاني يوم قامت الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ ضد هذا الاستعمار الغاشم ؟

لماذا تجنب التنديد بالاستعمار الفرنسي الغادر يوم انقض الفرنسيون على دمشق عام ١٩٢٠ ؟

ولماذا أيضا تجنب التنديد بهذا الاستعمار اثناء الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ ؟

استطاع «جبران خليل جبران» اكثر من سواه من ادبائنا فى الثلث الأول من القرن العشرين أن يهز بعنف مشاعر الشبيبة العربية المتطلعة الى غد افضل فى شتى مجالات الحياة ..

ولأنه كان ظاهرة متفردة بأسلوبه الشعرى ونزوعه الرمزى الخيالى ، فقد سحر الكثيرين من الأدباء والمتأدبين ، فترسم بعضهم خطاه ، وحاولوا النسج على منواله ، ولكن اين المقلد من المبدع ؟ واين السراب من الماء ؟!

لم تكن فى صيدلية جبران جميع الأدوية التى كان يحتاجها الانسان العربى فى تلك الفترة المكفهرة من تاريخ امتنا ، ولكن الناس تلاقفوا بعض الأدوية الجبرانية المنبهة والمنشطة بعد أن سئموا الحبوب المنومة التى توارثوها منذ قرون ، فلجوا بالثناء على هذا النطاسى البارع الشجاع الذى زودهم بالأدوية الشافية المنوعة !..

لقد كانت رسالة جبران فى عهده الأول محاربة المسيطرة والتعصب والاستبداد والاستغلال ، وقد خاض بشجاعة حرباً ضارية على هذه الجبهات المزودة بالأسلحة الجهنمية الفتاكة ، فحقق نصراً مشهوداً بفضل كتبه الثائرة «الأرواح المتمردة» و «الأجنحة المتكسرة» و «عرائس المروج» و «العواصف» .

ومهما قيل فى كتبه الأولى من انها لا تمثل نضوجه كما مثله كتابه «النبى» فيما بعد وانه حذا فى بعضها حذو «نيتشه» كما فعل فى «العواصف» فان كتب جبران المشار اليها أدت دوراً ايجابياً فى ايقاظ العالم العربى من سباته . فقد كان العالم العربى بحاجة ماسة لمن يهزه ، وكلنا يعلم ما فعلته صيحات الرصافى الذى هالته الهوة بين ماضى امته وحاضرها فصرخ :

فدعنى والفخار بمجد قوم
اذا فاخرتهم نكروا الجدودا

لقد اجمع المنصفون على أن نجاح جبران فى مؤلفاته التى كتبها بالانكليزية كان أعظم من نجاحه فى مؤلفاته التى كتبها بالعربية لأن جبران كان قابضاً على زمام اللغة الانكليزية كاديب من ادبائها ولكنه لم يكن بالقابض على زمام اللغة العربية ، ملماً بقواعدها وأسرار بلاغتها كما ينبغى أن يلم أديب كبير من امثاله . وربما لا يعلم الكثيرون أن الأديب الراحل ولي الدين يكن كان أول من نبه جبران الى وجوب العناية ببيانه العربى وذلك سنة ١٩١٢ عندما أهدى جبران اليه نسخة من كتابه «الأجنحة المتكسرة» الصادر فى تلك السنة . ومما قاله ولي الدين بهذا الخصوص :

«.. ولقد تخون الكاتب بديهته فيطلب كلمات لتؤدى مراده حق أدائه ثم لا يظفر بها فيقنع بكلمات تشير الى ذلك المراد وتقوم فى مواضعها غير ثابتة . وإنما استطاع التغلب على هذه الصعاب

بكثرة التعاطى لمختار الكلام حتى تنشا فى النفس ملكة البيان . ولو كانت معانى هذا الكتاب فى أسلوب أقرب الى مناهج العرب لجاوزت غاية الاطراب» .

والذى يقرا مقال ولي الدين فى «الاجنحة المتكسرة» يتضح له أن هذا الماخذ إنما هو نصيحة صديق معجب فيها كل الفائدة لجبران لو طبقها ، بعكس التبريرات العاطفية غير المنطقية التى دافع بها عن «جبران» الأديب المهجرى الراحل «حبيب مسعود» كقوله :

«.. اما الذين عابوا جبران فى لغته وفى بعض تعابيره التى خرجت على النمط العربى فقد كان أكثرهم متعسفاً لا يرى فى أدب جبران وحلاوة تعابيره وعذوبة بيانه وطرافة تشابيهه ونبضة الحياة فى الفاظه ، غير تلك الهفوات التى لم يسلم منها احد من أدباء هذه اللغة التى تعجز أى بشرى عن الاحاطة بها لكثرة سماعها وغرائب قواعدها وتعدد وجوه الاجتهاد فيها» .

ويقتضينا الانصاف ان نقول : ان هفوات «جبران» اللغوية وركاكته البيانية قد سلم منها الكثيرون من أدبائنا الذين هم من عيار جبران أو دون عياره . واذا كانت هذه اللغة «تعجز أى بشرى عن الاحاطة بها ، لكثرة سماعها وغرائب قواعدها وتعدد وجوه الاجتهاد والتخريج فيها» كما يقول «حبيب مسعود» فما علاقة ذلك ــ إن صح هذا الزعم ــ بالعثرات اللغوية والنحوية عند «جبران» وهى عثرات لا يكثر فيها السماع ولا تتعدد فيها وجوه التخريج والاجتهاد ..

لقد ارتفع «جبران» ببعض أفكاره ومعانيه الى قمم الابداع الشاهقة فكان

معروف الرصافي



نيتشه






جبران خليل جبران

لماذا بدأ ثائراً.. وانتهى مهادناً للاستعمار؟



طاغور




برنارد شو



سومسرت موم



برتراند راسل

يجمل به الا يضيع اسلوبه العربى فى غير مستوى القمم ، ولا يكفى أن يقول الأديب العربى لاخوانه ادباء العربية : «لكم لغتكم ولي لغتى» كما قال جبران لكى يكون معصوما من الهفوات ، بعيداً عن المآخذ . فجبران قال ذلك باللغة العربية لا بلغة ابتدع حروفها والفاظها وقواعدها من مخيلته !...

● ● ●

وادب جبران بسيط من حيث شكله وموضوعه ، لا تعقيد فى الفاظه ولا التواء فى افكاره وهذا لا يعنى ان الرجل كان واضحاً فى كل اثار قلمه وريشته ، فالمعروف عنه ـ فى عهده الثانى ـ انه كان يسرف احيانا فى الرمزية اسرافا يخرجه عن نطاق الادب الواضح المفهوم الى حيث الكلمات والأفكار الضبابية التى لا رصيد لها فى الوضوح لاسيما فى السنين الاخيرة من حياته عندما الف كتابه الضبابى «آلهة الأرض» ..

ولم يبلغ جبران فى «آلهة الأرض» ذروة الانجذاب الماورائى وقمة التفكير الميتافيزيقى ، فقد سبق له أن بلغ هذه الذروة وتلك القمة فى كتابه «النبى» الذى نشره سنة ١٩٢٣ ـ هذا الكتاب الذى يمثل جبران فى عهده الثاني مسالما ومهادنا وثائراً على ثورته فى عهده الأول ويمثل ايضا طموحه نحو الارتفاع على البشر وكانه كائن اعلى من كل انسان

ومهما قيل فى هذا الطموح الجبرانى غير المشروع ، فانه على كل حال اضعف رسالته كاديب من البشر يكتب لصالح البشر وحصر قراءه فى طبقة معتنقى مذهب التناسخ ووحدة الوجود والمفتونين باى اتجاه روحى غريب من الأميركيين الذين يحيون حياة متناقضة لهذا الاتجاه . اما السواد الأعظم الذين عشقوا جبران الثائر فى «الأرواح المتمردة» و «عرائس المروج» و «الأجنحة المتكسرة» و «العواصف» وحتى الذين عشقوا جبران الرومانسى فى «دمعة وابتسامة» فقد أصيبوا بخيبة امل كبرى تجاه هذا الاتجاه الجبرانى ..

ما هى الدوافع التى جعلت جبران ينتقل من مناخ الثورة الى مناخ السلام والمهادنة ؟ هل انتهت المشكلات التى ثار جبران من اجلها ؟ أم أن ادراكه ازداد اتساعا ؟ أم أن هذا الاتجاه الروحى المسالم اضمن للربح المالى ؟

لا نعرف بالضبط الدوافع لهذا التحول ولكننا نعرف جيداً أن جبران العربى اللبنانى المتامرك هو ابن بيئته الجديدة ، بحيث لا يمكنه ان يتنصل مما تفرضه عليه هذه البيئة الجهنمية من مفاهيم واتجاهات اذا أراد أن يعيش فى بحبوحة ..

فهل من مصلحة القوى المؤثرة فى البيئة الاميركية فى زمن جبران وحتى الوقت الحاضر ، وهى قوى راسمالية استعمارية وصهيونية جشعة ان يظهر كاتب عربى مغترب يتجاوب مع آمال وآلام أمته العربية المتطلعة نحو الحرية والتقدم ؟ بالطبع لا . ولهذا شجعت جبران على اتجاهه الجديد الذى لا يهدد مصالح المستعمرين فى البلاد العربية ولا يعصف بالبنية الاجتماعية العربية الموغلة ، آنذاك ، بالرجعية والجمود والتخلف ..

ولهذا وجدنا جبران خليل جبران يتجنب التنديد بوعد بلفور سنة ١٩١٧ وبالاستعمار البريطانى يوم قامت الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ضد هذا الاستعمار الغاشم مثلما تجنب التنديد بالاستعمار الفرنسى الغادر يوم انقض الفرنسيون على دمشق سنة ١٩٢٠ وحملوا جثث شهدائنا الابطال على الجمال إمعانا فى التشفى والارهاب ، وتجنب التنديد بهذا الاستعمار ايضاً اثناء الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥ ..

وإذا قيل ان جبران كان بعيداً عن السياسة فما شانه بتاييد هذه الثورة أو تلك والتنديد بهذا الاستعمار او ذاك ، فهذا القول مردود لأن جبران كان يمارس نشاطاً سياسياً ضد العهد العثمانى وكان من الد اعداء العثمانيين كما تشهد رسائله الموجهة الى مارى هاسكل الاميركية التى انفقت على جبران ورعته فى مستهل حياته الفنية والأدبية .

لقد اراد جبران أن يكتب للانسانية فى عهد «طاغور» و «برناردشو» و «ويلز» و«رسل»و«سومسرت موم»و«دانونزيون» و «جورج سانتيانا» وغيرهم من أعلام الكتاب والمفكرين العالميين ، فلم تكن الانسانية بحاجة الى قلمه فى ذلك العهد الذهبى فى الأدب والفلسفة ، بل كان وطنه العربى بامس الحاجة الى قلمه السيال ، وكان بما يتمتع به من اسلوب خاص وطاقة روحية هائلة يستطيع أن يلعب دور غاندى فى محاربة مستعبدى وطنه الأصغر لبنان والأكبر العالم العربى باسره ، ولكنه ـ وااسفاه ـ لم يفعل . ولو فعل لكان اكبر حجماً من حجمه الحاضر الذى يحاول البعض ان يضخمه على حساب الحجم الحقيقى .

حارث طه الراوى



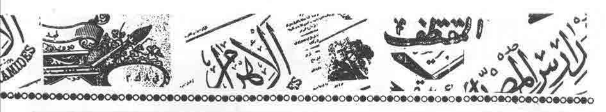




مجلة علمية أدبية صناعية زراعية
تصدر مرة في الشهر
العدد الثاني - يوليو تموز ١٨٨١
لمنشئها ومحررها: صلاح الدين المغربي

من مواد هذا العدد

قارىء القرآن فى احد المساجد العربية فى القرن الماضى



عزيـــزي القـــارئ

PLEASE ... اتهــــا لا نفتتحي

عزيزي القارىء :

فى يونيو الماضى ، كنا فى الشارقة ، وتلقينا دعوة عشاء على مائدة كاتب لبنانى يعمل هناك .. وما ان اكتمل المدعوون عدداً حتى اكتشفنا انهم ـ بالصدفة التى ليست محضة ـ يشكلون جامعة شعوب عربية ، فقد كان من بينهم صحفيون وكتاب وادباء ورجال أعمال ومهنيون ينتمون الى معظم أقطار الوطن العربى .. من مشرقه الى مغربه .. ومن خليجه الى محيطه ..

وكان طبيعيا أن يتحول العشاء الى سوق عكاظ تزدحم بالهموم العربية التى اخذت تتنافس دخان اللفائف فضاء الحجرة الواسعة ، ويحجب ايقاعها هدير امواج الخليج .

وحين اثار احد الحضور تعليقا على العدد الماضى من هذه المجلة ، قضية «التأصيل» اندمجنا جميعا فى المناقشة بحماس ادهشنى انه خلا من اللجاج ، واتفقنا رأيا على أن العودة للاصالة هى خط الدفاع الرئيسى لنا فى مواجهة هؤلاء الذين يريدون اقتلاع شخصيتنا وطمس هويتنا العربية ، وافقادنا الثقة فيما صنعنا فى الماضى ، لنفقد الثقة بالتبعية فى أن نفعل شيئا اخر اليوم او غدا .. وتلك هى الكارثة التى تهددنا .

من العموميات انتقل الحديث الى التفاصيل : اذاك لم يبد الموضوع بسيطا كما تخيلنا فى البداية ، فالعودة الى «التأصيل» تتسع لمختلف عوامل الشد والجذب وسوء الفهم وسوء القصد ، قال البعض لا تنسوا أن فى امتنا كثيرين يزدرون كل تقدم ، ويؤكدون أن العرب كانوا اسعد حالا واهنأ بالا حين كانوا يرعون الابل ويتبلغون بضع ثمرات .

وقال الاخرون : ولا تنسوا ان فى امتنا كثيرين يزدرون كل ما هو عربى ، ويعرفون عن شكسبير وكانت ، وكيتس ، وشيلى ، وبايرون ، اكثر مما يعرفون عن الجاحظ ، والمعرى ، وابن رشد .

فضت ربة المنزل الاشتباك بين الفريقين حين قطعت المناقشة ، فنادت مدبرة منزلها قائلة : سناء .. من فضلك «وقالتها بالانجليزية» احضرى كوب ماء !

ودخلت سناء الغرفة .

جزمت لاول نظرة الى ملامح وتعبيرات وجهها ، ان خطأ ما قد حدث ، وإلا فكيف تأتى لهذه المرأة الريفية أن تفهم كلمة «من فضلك» التى القتها مضيفتنا بكل ما فى الطباع الانجلوسكسونية من وقار ؟ وكيف لم نلتفت نحن العـــرب الى ذلك الفصام الذى نعيشه . فنحن نتحدث عن الأصالة فنحسن الحديث ، ونطالب بالعودة اليها فتتحمس للدعوة ، ونتنبأ بالكارثة التى ستحيق بنا ما لم تواجه الاعصار القادم بتلمظ لنفطنا ويتنمر لموقعنا الحيوى ، ويحاربنا على جبهة انتمائنا للوطن ، بأضرى مما يحاربنا على جبهات القتال او على موائد المفاوضات ، فتؤكد حوادث كل يوم نبوءتنا .

لكننا مع هذا نتصرف ونعيش ، وفى اعماقنا ـ ربما دون أن ندرى ـ احساس بالضعف تجاه كل ما هو أوربى ، فنحن نبالغ كثيرا فى تقديس رأى الأوروبيين فى شئوننا ، ونسر اكثر من اللازم إذا مدحوا عملا مما نعمل ، وكان مدحهم هو الشهادة التى لا نستحق بغيرها الحياة . ونحن نتصرف غالبا وكان كل ما هو جميل أوربى ، سواء كان امرأة أم زجاجة مياه غازية . ونحن ذوى قابلية عالية للاستهواء إذا ما كانت الفكرة أو السلوك أو التقاليد أوروبية .

وحتى هؤلاء الذين يملأون اسماعنا هجوما على كل ما هو اوروبى ، فيطالبون بمقاطعته ، ينطلقون من نفس الموقع ، فهم ينظرون الى الحضارة الأوروبية كأنها انجاز اوروبى ، فيروجون بذلك لفكرة اوروبية بالأساس ، بينما الواقع يؤكد ان ما يسمى الآن بالحضارة الأوربية هو محصلة مسيرة انسانية طويلة شارك فيها العرب ، حين ازدهرت حضارتهم ، رعاة ابل واكلة تمر ، يتنازلون ـ دون تفويض ـ عن امجاد ليست ملكهم وبين ايدينا اعمال البيرونى وابن رشد وابن خلدون وابن سينا إذا أرادوا الاحتكام الى محكمة التاريخ !

وفى السنوات الأخيرة ، تصاعدت اعداد الشبان العرب الذين يرحلون الى اوروبا للدراسة ، وهى ظاهرة طيبة ، فالعلم ضالة طالبه ، وهو ميراث الانسان من كان على الأرض انسان ، ولان هذا الجيل من المتخصصين العرب ـ فى كافة فروع المعرفة النظرية والتطبيقية ـ هم بناة المستقبل وصناع وطن الغد ، فلابد أن تقلق لذلك الاعوجاج فى السنتهم ، تتلكأ المفردات العربية على أطرافها ، ويعجزون عن صياغة جملة عربية كاملة ، ولا يتجاوزون مازقا فى التعبير إلا اذا استخدموا كلمات لاتينية .

الأرجح ان هؤلاء ذهبوا الى اوروبة بعقلية ترى انهم عيالا على حضارتها وعلمها وتقدمها ، فلم يستطيعوا الصمود امام الاستهواء ، فعادوا وعلى رءوسهم قبعة «وبايب» .

ولان تلك ـ فى رأينا ـ هى الكارثة ، فقد اخترنا ان تكون افتتاحية هذا العدد مقالة بعنوان «اضاعة اللغة .. اضاعة للذات» .

وصاحب المقال هو المفكر العربى «عبد الله نديم» (.... ـ ١٨٩٦) ، وهو صعلوك سكندرى ، ولد فى ميناء يقع على الشاطىء الشرقى للبحر المتوسط ، وحملته البواخر ـ منفيا مطاردا ـ الى معظم موانيه فنزل فى يافا وطرابلس واللاذقية ، ورحل شمالا الى البوسفور والدردنيل ، وعاش يخطب ويكتب الشعر وينشىء الصحف والجمعيات ، ويحاور الساسة والصعاليك ، وهو فى كل ذلك اسير فكرة واحدة : إن وعى الأمة بذاتها هو خط دفاعها الرئيسى ضد الانسحاق .

والمجلة التى نشرت هذا المقال ، منذ مائة عام كاملة ، هى مجلة «التنكيت والتبكيت» ، وهى لا تقل غرابة عن شخصية صاحبها عبد الله نديم واسمها ذاته كاف لوصفها ، فقد صدرت لتخدش لا لتجرح ، فاذا طعنت ففى غير مقتل

كانت بوقا كبيرا زلزل سكون الليل العربى منذ قرن كامل ، ينبه النيام ويقيم الراكعين ويشجع الخائفين والمترددين ، ويطالب ببناء صناعة وطنية ، وانشاء مدارس تعلم النشء مبادىء الانتماء للامة ، وتغرس فى نفوسهم مشاعر الاعتزاز بادبها ولغتها وتاريخها ، ويلح على العرب أن ينتقلوا من الانتماء للنفس أو للعائلة والعشيرة ، للانتماء لجامعة الوطنية ، بالعمل المشترك من اجل تقدم الوطن ورقيه ..

واظنك توافقنى ـ عزيزى القارىء ـ على أن كاتبا تظل كلماته صالحة للنشر بعد مائة عام ، لابد وأنه جزء من ماض لا يدعو للخجل بل للفخر ، ولعلك توافق على أن ابناء يعجزون عن تنفيذ وصية ابائهم طوال قرن كامل ، هم الذين يبعثون على الخجل !

صلاح الدين المقريزى



التنكيت والتبكيت
لصاحبها ومحررها
عبد الله النديم

إضاعة اللغة تسليم للذات

عبد الله النديم

أيها الناطق بالضاد :

بم تستبدل لغتك وما لها من مثيل والى من تتركها وانت لها كفيل ، وما الذى استحسنته فى غيرها واستقبحت مقابله فيها ، واى شىء طلبته فيها ولم تجد له إسما . ترى انك فى عصر تمدن يقضى عليك باستعمال ارق اللغات ، لسهولة التركيب وعذوبة اللفظ ورقة المعنى .

ناشدتك الله هل وجدت فى اللغات الحديثة العهد ما اشتملت عليه لغتك القديمة ، ام رأيت حسناً فى اللغات التى تنقح كل يوم بقلم المتمدنين لم تره فى لغتك الفطرية الخلق ، المجموعة فى زمن الهمجية كما يزعم الجاهلون . اترى إذا عبرت عن شىء بلفظ فى غير لغتك وأردت تتصرف فيه بعبارة اخرى هل تجد له مرادفا واحداً كما تجد فى لغتك للفظ جملة مترادفات ، ام انت الجاهل بقدر لغتك ، الغافل عن عظم قدرك فى تاريخ العالم قديما وحديثا .

اظنك فى احتياج لفهم سر اللغة ومعرفة ما يترتب على ضياعها ، ولا تترتب عليك فى امر لم يبحث فيه إلا بعد الغور فى حساب العواقب ، شديد الحرص على بناء وحدة الهيئة الاجتماعية .

لبيك ايها الأخ الشقيق وإن لم نحمل فى بطن واحد ، اللغة سر الحياة والحد الفارق بين الانسان والبهيم . بها يترجم اللسان خواطر القلب ويجلو بنات الافكار ، وبها يعشق المرء وإن كان دميم المنظر . إن رقت استعطفت القلوب القاسية وإن غلظت اخضعت النفوس العاتية ، وإن فحشت حركت الطباع . وإن لطفت رفعت الأوضاع وإن حسنت الفت القلوب وإن سهلت اظهرت الغيوب .

وهى التى بها جذبت قلب امك واستعطفت جانب ابيك وتملكت فكر اخيك واستملت صاحبك والفت جارك وتعارفت مع مواطنك وقابلت بها نزيلك . فهى انت إن كنت لا تدرى من انت . وهى وطنك إن لم تعرف ما الوطن ، اما كونها انت فقد قدمت لك من عرفتهم بها وانت اذا فقدتهم صرت وحيداً غريبا فى الوجود لا ترى من يقول لك من انت . واما كونها وطنك إنما يعمر ويسمى وطنا برجال يتعاونون على احيائه وإظهاره فى الوجود محلا للسكنى ودارا للاقامة . وقد علمت انك بمفردك لا تهتدى لشىء ولا تقوى على اى امر كان ، ومن فقد المواطن فقد الوطن .

اسمعك تقول إذا فقدت لغتى اعتضت عنها باخرى ، اجل انك اعتضت عنها ولكن بما اضاع منك الوطنية والمعتقدات الدينية ، فانك لا تخاطب إلا اجنبيا من البلاد مغايرا فى الجنسية ، وانت تعلم ان لمعانى الالفاظ تصوراً لا يقوم به مقابلها فى غيرها فانك لو سمعت قولى :

ومن غرر الاخلاق ان تهدر الدما
لتحفظ اعراض تكفلها المجـــــد

وأردت أن تلقيه بلغة أخرى لفقد قوة الحماسة ووقع الالفاظ ، وربما عبرت عنه بما لا يؤدى معنى .

ولو سمعت قولى :

اجل صفات المرء فضل ومنطـق
وبعدهما كل الصفـــــات غـــرور

لسردت عبارة يضيق صدر السامع بها ، ولا يصل لفهم المقصود . وهبك توسعت فى غير لغتك وتفننت فيها ، اتناجى ربك فى أوقات عبادتك بها ام تقرا بها كتابك المعجز بحسن نسقه ، أم تخاطب بها باعة الفجل عندما تشتريه ، ام تستعطف بها قلب امك وقتما تغضب عليك ، أم تعاشر بها عامة قومك وهم اهل البلاد .



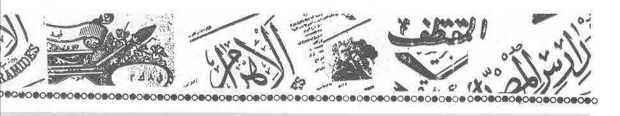
اراك استهجلتنى وقلت إن الرجل لعدم علمه بغير لغته ينكر بلاغة غيرها . مهلا ايها المدل بنفسه ، فان فى قولى (لمعانى الالفاظ تصور لا يقوم به مقابلها فى غيرها) حكما يقضى بها على كل ذى لغة على عدم قيام غيرها بما تقوم به ، فربما كانت حماسة هذا اللفظ فى لغتك تخنثا فى غيرها وبالعكس ، وهذا ما يأخذه الذوق من غير بحث فى اللغات ، واراك تعدنى من الجاهليـــن بضروريات الاختلاط من معرفة لغة النازلين بوطنك .

رويدا فقد قدتك الى الحق ورميتنى بالضلال ، فانى لم احرم عليك غير لغتك لضرورة تقضيها ونازلة تدفعها ، ومشكل تحله ، وإنما اردت تذكيرك بأن لغتك كان منطوقا بها من غير تعلم محفوظة فى غير كتاب وبمخالطة الدخيل فسد بعضها وخيف عليها الضياع ، فدونت فى بطون الاوراق وبقيت قوتها فى اللفظ والكتابة ، ثم كثر فيها الدخيل حتى انتخب لها كتاب ومنشئون ، ثم تعدد فيها الدخيل فاستبدلت بلغة اصطلاحية لا قاعدة تمشى عليها ولا كتاب يحفظها ولا ضابط يجمعها ولا حروف تؤلف منها ، وإذا اردت معرفة لغة آبائك افنيت الكثير من السنين فى طلبها ، وهيهات إن ادركتها وقد عظمت المصيبة فقد الكتاب والمنشئين ثم تم التغيير بتكلم العامى بعبارة طويلة ثلثاها اجنبى عن لغته الأصلية والاصطلاحية .

الا تعلم ان اللغة تقضى على المتكلم باتباع ما تقتضيه عبارتها فتراك تهتز فى عبارة اجنبية يلزمك الثبات بها فى لغتك ، وتستحسن امرا عنون بغير لغتك وهو مستقبح فى عادة بلادك ومعتقد اهلك . ولاشك ان هذا يسير بك فى طريق الاستحسان حتى تستقبح لغتك وعادة بلادك فتبيت وانت وطنى مر وتصبح وانت فى يد اجنبى يصرفك كيف يشاء .

وناهيك بالاندلس الذى كان روضة الآداب وبستان المعارف العربية وبترك لغته واستعمال الدخيل فقدها فقد محو وجهل ... جهل طفولته ، فمن يجتمع معك فى جدك السابع أو الثامن من اهله اصبح يعبر عنك الآن بلفظ (ارابو) اى عربى وساءت تلك المبادىء وبئس هذا المنقلب .

هون عليك فالأمر سهل ، فاننا لا نحتاج لحفظ لغتنا اكثر من إحداث درس فى جميع المدارس يلقن فيه الطفل لغته العربية الشريفة بطريقة تهذيبية ، لا يصعب الأخذ بها ولا تمل النفس من ملازمتها مع اجتماع الأمة على تكثير المدارس بالجمعيات ، وصرف ثلث وقت الطفل فى تعلم اللغة والوطنية وتهذيب الأخلاق وحفظه من معلم اجنبى يغرس فى طبيعته الساذجة حب بلاده ، ويحسن لافكاره الخالية طباع اهل جلدته ، وإذا تمت هذه المبادىء رايت لبلاده نشأة جديدة ، وخلقا بديعا . وعلمت بما تراه من جمع الكلمة وسر وحدة التعليم وانتظام الهيئة الاجتماعية . إن إضاعة اللغة تسليم للذات .



المقتطف

جريدة

علمية صناعية

تصدر اول كل شهر

لمنشئيها يعقوب صروف وفارس نمر

مدير الجريدة شاهين مكاريوس

المقتطف وترغيب القراء في العلوم

صدرت صحيفة المقتطف فى عام ١٨٨٥ ميلادية ، واخذت كلمة مقتطف من معنى اقتطاف ما فيه نفع الناس من العلوم ، وقد ارادت المجلة ان توضح الهدف من اصدارها فقالت : «إن كل من يتدبر احوال المجلات العلمية يحكم بان اتعابها تزيد على ارباحها ، والذين ينشئونها فى الشرق يخطئون اكبر خطأ اذا اتخذوها وسيلة لاكتساب المال ، فالمقصد الأول من المقتطف ترغيب القراء فى العلوم وتربية ذوقهم عليها .

وكانت مجلة المقتطف تخصص مقالاتها الافتتاحية لشارلس داروين ونظريته فى الارتقاء ، وتضمنت ايضا فى اعدادها الأولى سلسلة من المقالات عن عمر الارض ومواليدها وتعاقب الحيوان والنبات ثم الانسان على الأرض ..

وادت تلك المقالات وغيرها الى ان قرظتها الجمعية البريطانية الفلسفية (مجمع فيكتوريا) ، غير أن المجلة بصورتها التى قدمها أصحابها (صروف ـ نمر ـ مكاريوس) وجدت معارضة من مثات مثقفة كثيرة فى ذلك الوقت ، واعتبروها مجلة تلجا الى كل بدعة على وجه الارض تضليلا للبسطاء

(عدد ٢٤) يوم السبت غاية الحجة سنة ١٢٨٨ (ختام السنة الثانية)

روضة المدارس المصرية

تعلم العلم واقرأ * تحز فخار النبوه
فالله قال ليحيى * خذ الكتاب بقوه

تحت نظارة

حضرة رفاعة بك ناظر قلم الترجمة بديوان المدارس

ومدير تحريرها

علي فهمي مدرس الانشا بمدرسة الادارة والالسن

تظهر في الاسبوعين مرة واحدة

وثمن ترتيبها عن سنة واحدة ــ ص

الثمن يدفع: بالقاهرة ٦ ٧٧ ، بالديار المصرية ٨٢ ، بالخارج ٩٠

أو ٢٣ فرنكا ونصفا

طبعت بمطبعة المدارس الملكية
بدرب الجماميز من القاهرة المحروسة

روضة المدارس وأبرز مثقفي العصر

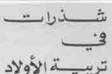
عندما عهد «ديوان المدارس» وناظره علي مبارك برئاسة تحرير المجلة الفكرية التى قرر اصدارها الى رفاعة الطهطاوى ، جاء فى قراره : «إن المشار اليه من بين ارباب المعارف ومعترف بدرجة فضله الرفيعة على كل انسان» ..

وقد كانت مجلة «روضة المدارس» التى راس تحريرها عام ١٨٧٠ ميلادية عبارة عن مجمع علمى وادبى وفنى .. وكانت الاولى من نوعها فى مصر ..

وضمت نخبة من الكتاب المثقفين وابرز علماء العصر ومفكريه ومترجميه .. وكانت هذه المجلة تنشر ملاحق لاعدادها باقلام متخصصين امثال عبد الله فكرى وعلي مبارك والدكتور محمد بدر ، ونشرت للطهطاوى نفسه عدة مقالات بالاضافة الى كتابه «نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز» ..

وظل الطهطاوى رئيسا لتحريرها حتى توفى فى اليوم التالى لصدور عددها السادس من العام الرابع فى ٢٦ مايو ١٨٧٣ ميلادية فراس تحريرها ابنه علي فهمي رفاعة الذى واصل على نهجه





قال بعضهم . تهذيب الولد يبتدىء قبل تعليمه فى المدرسة يبتدىء بنظرة امه والتفات ابيه وتبسم اخته واجتهاد اخيه .

وقال احد الاطباء . ان ما يسمعه الطفل ويراه فى السنتين الأوليين من عمره ينطبع فى ذهنه انطباعا لا يمحى ويؤثر فيه مادام حيا . فيجب الانتباه التام الى كل كلمة يسمعها وكل عمل يراه لكي لا يسمع إلا الكلام الصادق المهذب ولا يرى إلا الاعمال الحسنة المفيدة .

وقال غيره . الصدق امس ما يجب اتباعه فى تربية الأولاد وتهذيبهم والسلوك معهم فمن كذب على ولده او تلميذه ولو مرة واحدة علمه الكذب ونزع هيبته من عينيه

الأدب في العالم:

لا يعرف الفضل إلا ذووه ..!

تمثال لفيكتور هوكو!



لم يفت هذا الشاعر المفلق والرجل العظيم شيء من مظاهر الاكرام والاجلال التى يمكن أن ينالها الانسان فى ادوار حياته ، وقد كنا نحسب انه بلغ من التكريم مقاما امتنعت الزيادة عليه لأنه حصل من الشهرة فى جميع اقطار المسكونة وعند جميع الامم مرتبة لا يتصور الانسان ارفع منها ، واقرت له اوروبا بالسبق فى حلبة الشعراء والخطباء حتى اظهرت له الشعوب على اختلاف اجناسهم ولغاتهم انه منتهى امالهم ومقتدى ادابهم ، وانه هو رب الشعر وابو الفضل ، وانهم لو كانوا فى امكانهم لجعلوا له فى قبة الزرقاء عباءه ، ولرفعوه فوق القمرين إجلالا وعقدوا له فى العلياء عروشا . ولا غرو فان هذا النابغة قد بلغ فى مراتب العلا السدرة الكبرى فلا يأخذ بعد ذلك على قومه ما خصوه به من الاكرام والتعظيم ، فانه جدير به وهم قوم يقدرون الاشياء اقدارها ، ولا يغفلون عن مقدار ذرة من فضل علمائهم الاعلام ولكنهم علموا من انفسهم انهم مع كل ما ابدوه لشاعرهم من الاجلال والاكرام لم يوفوه حقه ، فلم يعدموا إلى ذلك وسيلة ولم يروا شيئا اظهر لفضل شاعرهم المفلق وخطيبهم المصقع من إقامة تمثال له فى حياته فعقدوا فى اواخر الشهر الماضى فى باريس جلسة حافلة حضرها جمهور غفير من اهل الأدب ومحررى الجرائد ، فشكلوا لجنة مؤقتة مؤلفة من ١٣ شهما برئاسة لويس بلان احد زعماء الحرية ، ولتهتم باقامة تمثال لشاعرهم فى إحدى ساحات باريس تدعى « افنوديلو » وجعلوا اسمها بلاس هوكو (ساحة هوكو) وقد اقيم له قبل الآن تمثال فى التياتروفرانسه كما اقيم لفولتير من قبله والآن عادلوا بينهما باقامة تمثال لهوكو فى ساحة عمومية ، ولسوف ترى هذه الساحة تمثال اعظم شعراء العصر وما اجدر هذا التمثال بان يكتب عليه بماء الذهب « من ادباء الأمة الفرنسوية الى فيكتور هوكو خطيب الحرية وشاعر الانسانية » .

(العصر الجديد)

فلتسمع نساؤنا .. بل فليسمع رجالنا

النساء وحقوق الانتخابات

تقرر عند اهل كرواتيا وهم نحو مليون نفس ان النساء قد خصتهن الطبيعة بمزايا وصفات يعز وجودها عند الرجال ، وانهن شريكات الرجال بالمعنى الحقيقى الباعث على الوجود الانسانى . فعدوا من الواجب مشاركة النساء للرجال بما تقدم به المدنية ويستقيم أمر التمدن وتتشيد مبانى التهذيب ولاسيما ان على النساء تربية الاطفال وتهذيب اعضاء العائلة وتثقيف عقول الاولاد ليرضعوا لبان المعارف منذ نعومة الاظفار .

ومعروف ان النساء والرجال من جهة الجبلة سواء لا فرق بين الفريقين بظاهر التركيب بل ذهب الكرواتيون إلى ان الرجال والنساء من جهة الحقوق المدنية سواء وهو مذهب بعض اهل امريكا . فاقاموا المراة بمنزلة الرجل وخولوها الحق فى انتخاب أعضاء المجلس والحكام حتى لهن فى الانتخاب اصوات واراء كالرجال ، وقد دعا اهل كرواتيا النساء الى مشاركة الرجال فى انتخاب اعضاء المجالس البلدية فى جميع الولاية ، فظهر من القوائم الواردة الى إغرام – وهى مركز كرواتيا – ان عدد المنتخبين ٣٢٠٠ نفس منهم ٨٠٥ نساء . فلتسمع نساؤنا .. بل فليسمع رجالنا .

سليم النقاش

العصر الجديد

إعلان

من إدارة المحروسة والعصر الجديد بالإسكندرية

بعد الاتكال على الله تعالى عزمنا على طبع كتاب (علم الدين) تاليف سعادة على باشا مبارك ناظر الاشغال العمومية على اجزاء لا تنقص عن الاربعة كل جزء منها خمسون ملزمة او ٤٠٠ صفحة وقد جعلنا شروط الاشتراك كما يلى :

(١) ثمن الجزء الواحد منه للمشتركين ١٠ فرنكات فقط .

(٢) باب الاشتراك مفتوح لغاية شهر سبتمبر (ايلول) وحينئذ يصير ثمن الجزء ١٥ فرنكا .

(٣) الدفع يكون سلفا عن كل جزء بمعنى ان المشترك يؤدى سلفا ثمن الجزء الأول ١٠ فرنكات وعند استلامه الجزء الأول يؤدى ثمن الجزء الثانى وهكذا عند استلام الثانى يؤدى عن الثالث ومثل ذلك سلفا للرابع .

(٤) تتعهد ادارة جرائدنا بطبع الأجزاء الاربعة فى ستة شهور او ثمانية .

فمن اراد الاشتراك فى هذا الكتاب الجليل فليخابر جناب سليم افندى النقاش مدير ومحرر المحروسة والعصر الجديد وصاحب المطبعة .



عبد المنان زعرور

بودلير والروائح

لعل من أهم الشعراء الذين اهتموا بالروائح الشاعر الفرنسي شارل بودلير(١٨٢١ ـ ١٨١٧) ففى ديوانه « ازهار الشر » الذى خصصه لرسم تاريخ الاضطرابات النفسية للشباب الحديث ، تنتشر الروائح فى كل قصائده ، وصار لها طريقة خاصة فى العرض فى الذاكرة كما فى الحقيقة . إن ربات الجمال لا تبقى ساكنة لديه تحت القمر ولا تنام في سريرها الوثير ، انها تنشر في الهواء رائحة شعرها وجسدها وثيابها المخملية ، إنه الشاعر اليائس يسخر من الريحان العفن الذى حضره الموت ، ويدخل في ليال غريبة ، يحلم فيها ، مشبعة بالروائح المجهولة المخبأة كالتمائم ، او الروائح الظاهرة المنتشرة والمحبوبة : الروائح التى تفوح من الجمال والاناقة . هناك إذا صح التعبير نظرية للروائح : انها غضة وطرية ، خضراء او فاسدة ، غنية ومنتصرة ، انها المرايا الثابتة التى إذا ذكر اسمها او ناديناها تعكس الزمن الضائع باشكاله الحقيقية : « الأبهة والطمأنينة والمتعة » .

إن الروائح تبدو متدرجة كسلم للقيم :

هناك روائح غضة كبشرة الأطفال
ناعمة كالمزامير ، خضراء كالمروج .
واخرى فاسدة ، غنية ومنتصرة
لها انتشار لا متنـاه
مثل العنبر والمسك والتبغ والبخور
إنها تغنى انفعالات الفكر والاحاسيس .

إن العنبر والمسك والعطر والبخور والتبغ والصبر هى الروائح التى تجعل ربات الشعر تغنى في « ازهار الشر » وربما ان هناك روائح اقوى يمتدح الشاعر خصائصها فى النفاذ عبر المادة ، هذه الروائح تنفذ إلى الذاكرة وتبعث الحياة المنطفئة فى فكر الانسان :

هناك روائح تنفذ في كل شيء ،
انها تجتاز الزجاج ، وتفتح الصناديق القادمة من الشرق .
او فى منزل خال هناك بعض الخزائن المغلقة من زمن بعيد
تفتحها وتفجر فيها الحيـاة .

وبمكننا ان نتبين عناصر خارطة الروائح فى كل نغم لدى «بودلير» ، في الطبيعة هناك زجاجة مفتوحة او امراة تذكرنا بالمسك والعنبر .

إنها مقدسة غريبة ، سمراء كالليل
ذات رائحة من المسك والعنبر .

او انها الريحان والبخور او المسك :
إن المراة ذات الشفاه القرمزية
تجرى من فمها كلمات مليئة بالمسك

او انهاالبخور : آهات القلوب المتعبدة .
تجرى كالبخور فى حديقة الأزهار .
او انها التبغ :
من اعلاها إلى اسفلها
كان جسمها الناعم تفوح منه رائحة الزيت المعطر والتبغ .

وإنه يعود دائما الى شعر حبيبته ، الى رائحته القوية والمتوحشة الى رائحة زيت جوز الهند والمسك الذى اشبع هذا الشعر برائحته :

أيتها النشوة : لكي املا المخدع الغامض .
بالذكريات النائمة فى هذا الشعر
أريد ان اهزه فى الهواء كالمنديل

ومن الرائحة المجردة المثقلة بالكسل واليد القلقة ، تظهر صفات الروائح وترتسم الحركة أمام أعيننا :

ايها الشعر الازرق ، ياموئل الظلمات الممددة

إنك تعيد لي لون السماء الواسع والمدور .
على اطراف جدائلك المفقودة
إنني اسكر من رائحته الممتزجة .
بزيت جوز الهند والمسك والعنبر
إن يدى تزرع إلي الأبد فى غرتك
الياقوت والجواهر واللؤلؤ
ولئلا تكوني غريبة عن رغبتي
الست الواحة التى احلم بها
والزجاجة التى اعب منها شهد الذكريات ؟

إن الروائح تثير الذكريات ولكن الجواب واضح . سحر عميق ، وفتنة تعيد لنا فى الحاضر الماضي المتجدد . واخيراً فهناك رائحة الجحيم التى يحبها بودلير

واما الرائحة الوحيدة التى يأسف عليها فهى الفردوس الأخضر فى الحب الطفولي :

كم انت بعيدة يافردوس العطر .